

إهداء لـ..

«نورا»^٢

تحسين

UPGRADE

عنوان الكتاب: تحسين UPGRADE

المؤلف: بليك كراوتش Blake Crouch

ترجمة: عبد الرحيم يوسف

مراجعة لغوية: شيرين يونس

إخراج داخلي: رشا عبدالله

23 7 23

المحرسة

للنشر و الخدمات الصحية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة

ت، ف:- 002 02 28432157



mahrousaeg



almahrosacenter



almahrosacenter



www.mahrousaeg.com



info@mahrousaeg.com



mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران

مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٠٢٢ / ١٩٠٩٥

التقديم الدولي: 6-921-313-977-978

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية

محفوظة لمركز المحرسة

2022

مكتبة

UPGRADE by Blake Crouch © 2022

"All rights reserved. No part of this book may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage and retrieval system, without permission in writing from the Publisher."

رواية

تحسين
UPGRADE

بليك كراوتش

ترجمة

عبد الرحيم يوسف

مكتبة | 1272

مكتبة

t.me/soramnqraa

23 7 23



بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

كراوتش، بليك

تحسين رواية/ بليك كراوتش؛ ترجمة/ عبد الرحيم يوسف. ط 1
القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2022

457 ص؛ 21.5×14.5 سم

تدمك 6-921-313-977-978

1 - القصص الانجليزية

أ- يوسف، عبد الرحيم (مترجم)

ب- العنوان

823

رقم الإيداع 19095/2022

إلى مايكل ماكلاكين
جندي البحرية، والمحامي، والصديق العزيز
(1946-2021)

الجزء الأول

"يمكنكم التوقُّف عن شطر الذرَّة، يمكنكم التوقُّف عن زيارة القمر،
يمكنكم التوقُّف عن استخدام بخاخات المعطر، يمكنكم حتى أن
تقرُّروا ألا تقتلوا تجمعات كاملة باستخدام بضع قنابل،
لكن لا يمكنكم استرداد شكلٍ جديدٍ من الحياة."

– إروين تشارجاف

1 مكتبة

t.me/soramnqraa

وجدنا هنريك سورين في حانة للنبيذ في البوابة الدولية، قبل ثلاثين دقيقة من الصعود إلى متن طائرة نفاثة فائقة السرعة متجهة إلى طوكيو.

قبل الليلة لم أكن قد رأيته إلا في صور الإنترنت الفوتوغرافية ولقطات أنظمة المراقبة. على الحقيقة، كان أقل مهابة؛ طوله ما يقرب من 167 سنتيمترًا ويرندي حذاء رياضيًا بالغ البؤس ماركة سان لوران وكنزة رياضية تغطي قلنسوتها معظم وجهه. كان جالسًا في آخر الحانة ومعه كتاب وزجاجة شامبانيا (كروج).

احتللتُ المقعد المستدير إلى جواره ووضعتُ شارتي بيننا (حملتُ وسم نسر أصلع أحاط جناحاه بالتركيب اللولبي المزدوج لجزيء الحمض النووي). لهنيهة لم يحدث شيء، لم أكن حتى واثقًا إن كان قد

رأى شارقى وهي تلتمع أسفل المصابيح الكروية المتدلية، لكنه عندئذٍ أدار رأسه ونظر إليّ.

ابتسمتُ ابتسامة سريعة.

أغلق كتابه. لو كان متوترًا، فهو لم يبدِ ذلك، فقط حدّق إليّ بعينين زرقاوين اسكندنافيتين.

قلتُ: "أهلاً هنريك، أنا العميل رامزي، أعمل لصالح وكالة الحماية الجينية: الجي بي إيه".

- وماذا تراني فعلت؟

وُلِدَ قبل ثلاثة وثلاثين عامًا في أوصلو لكنه تلقى تعليمه في لندن، حيث عملت أمه في السلك الدبلوماسي، سمعت لكنة هذه المدينة تحوم حول صوته.

- لمَ لا نتكلم عن ذلك في مكان آخر؟

كان الساقى يراقبنا الآن، بعد أن ميّز شارقى؛ ربما كان قلقًا على دفع الفاتورة.

قال سورين: "رحلتي على وشك الإقلاع".

- لن تذهب إلى طوكيو، ليس الليلة.

انشدّت عضلات فكّه وومض شيء ما في عينيه. ساوى شعره الأشقر المتهدل حتى ذقنه ودسّه وراء أذنيه، وألقى نظرة حول حانة النبيذ، وبعد ذلك نظر خارجها، إلى المسافرين المتحركين عبر القاعة الكبيرة.

سألته: "أترى المرأة الجالسة إلى الطاولة العالية خلفنا؟ شعر أشقر طويل. ستره مطر زرقاء، إنها شريكتي، العميلة نيتمان، وشرطة المطار تنتظر في الردهات. انظر، يمكنني أن أجرك إلى الخارج من هنا أو يمكنك أن تسير خارجًا وحدك، الأمر لك، لكن عليك أن تقرر الآن".

لم أعتقد أنه سيجري، كان لا بُدَّ لسورين أن يعرف الاحتمالات
المستحيلة للهروب من عملية القبض عليه في مطار يعجُّ بالأمن
ونظم المراقبة، لكن اليائسين يفعلون أشياء يائسة.

نظر حوله مرة أخرى، ثم نظر إليّ من جديد، تنهَّد ثم شرب ما
تبقى في كأسه من الشمبانيا ورفع حقيبته من الأرض.

عدنا بالسيارة إلى المدينة، وقد جلست نادين نيتمان خلف عجلة
قيادة سيارة شركة إديسون المعدلة وطريق أي 70 السريع خالٍ فعليًا
في هذه الساعة من الليل.

أجلسنا سورين خلف مقعد الراكب الأمامي ورسغاه مربوطان
خلف ظهره. كنت قد فتشت حقيبته -حقيبة كتف ماركة جوتشي-
لكن الشيء الوحيد المهم كان جهاز حاسوب محمول، سنحتاج إلى إذن
فيدرالي لفتحه.

"أنت لوجان رامزي، أليس كذلك؟" تساءل سورين ناطقًا بكلماته
الأولى منذ اصطحبناه خارج المطار.

- هذا صحيح.

- ابن ميريام رامزي؟

"نعم" حاولت أن أبقى نبرتي حيادية، لم تكن المرة الأولى التي يقوم
مشتبه فيه بهذا الربط. لم يقل شيئًا آخر، شعرت بنادين تنظر إليّ.

حدقتُ خارج النافذة. كنّا على أطراف وسط المدينة، نسير بسرعة
120 ميلًا في الساعة، كانت المحركات الكهربائية المزدوجة شبه صامتة.
من خلال زجاج الرؤية الليلية المحيط، رأيت واحدة من لوحات جي
بي إيه الإعلان الجديدة تمر بسرعة - جزء من أحدث حملة لرفع
الوعي العام.

بحروف سوداء على خلفية بيضاء:

التعديل الجيني جريمة فيدرالية.

#جي بي إيه

لاح وسط مدينة دنفر من بعيد.

ارتفع برج هاف-مايل العملاق محلقًا في السماء... سهم من الضياء.

كانت الساعة الواحدة صباحًا هنا، وهو ما يعني أنها الثالثة هناك في واشنطن العاصمة.

فكرت في أسرتي وهي تنام في سلام ببيتنا في مدينة أرلينجتون.

زوجتي، بث.

ابنتنا المراهقة، آفا.

لو سار كل شيء بسلاسة الليلة، سأعود قرب وقت العشاء مساء الغد. كنّا نخطط لرحلة في عطلة نهاية الأسبوع إلى وادي شيناندواه لنرى ألوان الشلال من طريق سكاي لاين درايف.

مررنا بلوحة إعلانية أخرى:

خطأ واحد تسبّب

في المجاعة الكبرى

#جي بي إيه #لن ننسى أبدًا

لقد رأيت هذه اللوحة من قبل، وباغتني الألم، وجع في مؤخرة حلقي؛ لم يفشل قطّ الشعور بالذنب مما اقترفناه في أن يترك أثره. لم أنكره ولا حاولت أن أدفعه بعيدًا.

فلأدعه فقط إلى أن يمر.

يقع مكتب دنفر الميداني لوكالة الحماية الجينية في مجمع مكاتب لا شيء يميزه في مدينة ليكوود، وتسميته بالمكتب الميداني كرمٌ زائدٌ.

كان مبنى من طابقٍ واحدٍ، به وحدة تحكُّم في الإضاءة ووزنات حيز وغرفة للمقابلات ومختبر بيولوجيا جزيئية ومستودع أسلحة. لم تكن لدى وكالة الحماية الجينية مكاتب ميدانية في أغلب المدن الكبرى، لكن بما أن دنفر هي المركز الأساسي لنظم الهايبرلوب⁽¹⁾ عالية السرعة في الغرب، كان من المنطقي أن تكون للوكالة قاعدة مخصّصة للعمليات هنا.

كنّا وكالة شابة لكنها تنمو سريعاً، بها خمسمائة موظف مقارنة بجيش مكتب التحقيق الفيدرالي المكوّن من أربعين ألفاً. لم يكن هناك إلا خمسون عميلاً خاصاً مثلي أنا ونادين، وكنّا جميعاً متمركزين في منطقة العاصمة، مستعدين للقفز بالباراشوت حيثما ارتاب قسمنا الخاص بالاستخبارات في وجود مختبر جينات أسود.

دارت نادين خلف المبنى القصير وأبطأت سرعتها وهي تعبر بوابة الدخول إلى المصاعد. أوقفت السيارة خلف مركبة مصفّحة، حيث نشر أربعة ضباط من قوات التدخل البيولوجي السريع معداتهم على الأرض الخرسانية، ليقوموا بفحص أسلحة أخير استعداداً لِمَا يمكن أن تكون غارة مأمولة قبل الفجر بناء على المعلومات التي كنّا على وشك أن ننتزعها من سورين.

ساعدتُ مشبوهنا على الخروج من السيارة، وصعد ثلاثتنا إلى الطابق الثالث.

(1) مفهومٌ لنظام نقل عالي السرعة وهو عبارة عن دمج أنابيب منخفضة الضغط خالية من الهواء تربط بين محطتين، وداخل هذا الأنبوب كبسولات ركاب تندفع بسرعات عالية على وسادة هوائية مضغوطة ولا تحتك بجدران الأنبوب بفعل حقل مغناطيسي يولّده مُحركٌ كهربائي يستمد قوته من الطاقة الشمسية.

ما إن دخلنا غرفة المقابلات، حتى قطعْتُ الشريط اللاصق الذي قيّد يديه وأجسستُ سورين إلى طاولة معدنية بها مزلاجٌ ملحومٌ في سطحها من أجل المشبوهين الأقل انصياعًا.

ذهبت نادين لتأقي بالقهوة.

اتخذتُ مقعدًا في مواجهته.

تساءل: "أليس من المفترض أن تقرأ عليّ حقوقي أو ما شابه؟".

- في ظل قانون الحماية الجينية، يمكننا احتجازك لمدة اثنتين وسبعين ساعة فقط لأننا نريد ذلك.

- فاشيون.

هزرتُ كتفي؛ لم يكن مخطئًا تمامًا.

وضعت كتاب سورين على الطاولة، على أمل أن أحظى برد فعلٍ.

سألته: "هل أنت معجبٌ كبيرٌ بكامو؟".

- نعم، أجمع طبعات نادرة من أعماله.

كانت نسخة قديمةٌ بغلافٍ مقوَّى من رواية (الغريب)، تصفحت الكتاب بحذرٍ.

قال سورين: "إنه نظيف".

كنت أبحث عن تيبس في الصفحات، عن آثار لابتلالها في موضعٍ ما، عن بقعٍ دائرية متناهية الصغر، يمكن أن تُخبأ كمياتٌ كبيرة من الحمض النووي، أو البلازميدات، في صفحات كتابٍ عادي؛ تُقطر بمقادير ميكرو لترية وتُترك لتجفّ على الصفحات، فقط ليُعاد ترطيبها واستخدامها في مكانٍ آخر. حتى رواية قصيرة مثل (الغريب) يمكن أن تضم مقدارًا شبه لا نهائي من المعلومات الجينية، حيث تخفي كل صفحة تسلسل الجينوم الخاص بحيوانٍ ثديي مختلف، أو مرض

مريح، أو أنواع اصطناعية، يمكن تفعيل أي منها في مختبر جيني أسود جيد التجهيز.

قلت: "سنضع كل صفحة تحت مصباح الضوء الأسود".

- عظيم.

- هم يجلبون أمتعتك إلى هنا أيضًا، كما تعرف، سنمزقها أشلاء.

- فلتفعلوها يا مجانين.

- لأنك قمت بالتسليم فعلًا.

لم يقل سورين شيئًا.

سألته: "ماذا كان؟ أجنّة مُعدّلة؟".

نظر إليّ وهو يكاد لا يخفي اشمئزازه، وقال: "هل لديك أي فكرة كم عدد الرحلات التي فاتتني بسبب ليالٍ مثل هذه؟ يظهر أحد رجال الجينات عند بوابتي، ويجرني للتحقيق؟ لقد حدث ذلك مع هيئة سلامة الجينوم الأوروبي، في فرنسا، البرازيل، والآن أنتم أيها الحمقى تدمّرون رحلتي. ورغم كل هذه المضايقات، لم أنهم بجرمة واحدة".

قلت: "هذا ليس صحيحًا تمامًا. مما أسمع، ستود الحكومة الصينية بشدة أن تتبادل الحديث معك".

اعتري سورين سكون رهيب.

انفتح الباب من خلفي، شمت الرائحة اللاذعة والمحترقة لقهوة الأمس. دخلت نادين بسرعة، وركلت الباب خلفها لتغلقه، جلست إلى جوارى ووضعت كوبين من القهوة على الطاولة. مدّ سورين يده إلى أحدهما، لكنها صفعت يده.

- القهوة للأولاد المهذبين.

بدت رائحة السائل الأسود منفرة كأنها بول الشيطان، لكن الوقت كان متأخرًا ولم يكن هناك نومٌ في مستقبلي القريب، أخذت رشفة جعلتني أجفل.

قلت: "سأدخل في الموضوع مباشرة، نحن نعرف أنك ذهبت إلى المدينة بالأمس في سيارة دفع رباعي مستأجرة طراز ليكسوس آخر موديل".

مالت رأس سورين على غير إرادته، لكنه أبقى فمه مغلقًا.

أجبت السؤال الذي لم ينطق به: "لدى الجي بي إيه القدرة الكاملة على الوصول إلى آلية التعرف على الوجوه بالذكاء الاصطناعي والتابعة لوزارة العدل، وهي آلية تمسح كل كاميرات المراقبة وقواعد بيانات أنظمة المراقبة الأخرى. ثمة كاميرا التقطت وجهك من وراء زجاج السيارة عند منحدر طريق آي 25 وطريق ألמידا في الساعة 9:17 صباح أمس. قطعنا كل الطريق من واشنطن العاصمة إلى هنا ظهر اليوم. من أين كنت قادمًا؟".

- أنا متأكد أنكم تعرفون بالفعل أنني استأجرت تلك السيارة في مدينة ألباكركي.

مكتبة

كان على حق. كنّا نعرف.

سألته نادين: "وماذا كنت تفعل في ألباكركي؟". t.me/soramnqraa

- مجرد زيارة.

دارت نادين بحدقتها في عينيها: "لا أحد يقوم بمجرد زيارة لألباكركي".

تناولت قلمًا ودفترًا صغيرًا من جيبتي ووضعتهما على الطاولة، "اكتب أسماء وعناوين كل من رأيته، كل مكان أقمت فيه".

اكتفى سورين بالابتسام.

سألته نادين: "ماذا تفعل في دنفر يا هنريك؟".

"ألحق رحلة إلى طوكيو، أحاول أن ألحق رحلة إلى طوكيو".

قلت: "سمعنا كلامًا عن مختبر جيني في دنفر، عمليات معقدة لهندسة منتجات بيولوجية مدفوعة الثمن؛ لا أعتقد أن وجودك في المدينة محض صدفة".

- لا أعرف عمًا تتحدث.

قالت نادين: "نحن نعرف، والكل يعرف، أنك تتاجر في العناصر الجينية الراقية، شبكات وتسلسلات جينية، (سايت)".

كان (سايت) هو نظام تعديل الحمض النووي البيولوجي الثوري، الذي صار الآن غير قانوني تمامًا، والذي اكتشفته ونالت براءة اختراعه أمي، ميريام رامزي. كان بمثابة قفزة مزلزلة إلى الأمام تركت الأجيال السابقة من التكنولوجيات -إنزيمات التقييد الاصطناعية، وإنزيمات المستجيب، والتكرارات العنقودية المتناظرة- تلهث في التراب. لقد دشّن سايت عصرًا جديدًا من تعديل وتوزيع الجينات، عصرًا جلب معه نتائج كارثية، لهذا صار القبض على أحدهم يستخدمه أو يبيعه لتعديل الخط الجرثومي -أي صناعة كائن جديد- يستوجب حكمًا إلزاميًا بالسجن لمدة ثلاثين عامًا.

قال سورين: "أعتقد أنني أود الاتصال بمحماتي الآن. ما زال لديّ هذا الحق في أمريكا، أليس كذلك؟".

كنّا نتوقع هذا، بصراحة، اندهشت لأنه استغرق كل هذا الوقت.

قلت: "يمكنك بالقطع أن تتصل بمحاميك. لكن أولاً ينبغي لك أن تعرف ماذا سيحدث لو سرتَ في هذا الطريق".

قالت نادين: "نحن مستعدون لتسليمك إلى مكتب الجينات الصيني".

قال سورين: "لا تملك أمريكا معاهدة لتسليم المجرمين مع الصين".

مالت نادين إلى الأمام، مستندة بكوعها إلى الطاولة، وبخار القهوة السوداء يتصاعد إلى وجهها.

قالت: "بالنسبة إليك، سنقدم استثناء، الأوراق تُجهز بينما نتحدث الآن".

- لا يملكون شيئاً ضدي.

قالت: "لا أعتقد أن الأدلة وسير الأمور وفقاً للقانون أشياء لها نفس المعنى هناك".

- تعرفون أن لدي جنسية مزدوجة نرويجية وأمريكية.

قلت: "لا أبالي"، نظرتُ إلى نادين: "هل تبالين؟".

تظاهرتُ بالتفكير في الأمر. ثم قالت: "لا، أعتقد أني أبالي".

في الحقيقة، كنتُ أبالي؛ لم نكن لنسلم مواطناً أمريكياً إلى الصين أبداً، لكن خداع المجرمين جزءٌ من اللعبة.

تراخى سورين عائداً بظهره في مقعده. "هل يمكننا إجراء حوارٍ افتراضي".

قلت: "نحن نحب الحوارات الافتراضية".

- ماذا لو أني كتبت عنواناً في هذا الدفتر؟

- عنوان ماذا؟

- لمكان ربما جرت فيه عملية تسليم افتراضية في وقتٍ سابقٍ اليوم.

- ماذا تم تسليمه؟ افتراضياً.

- بكتيريا تعدين.

تبادلنا أنا ونادين النظر.

سألته: "هل قمت بالتسليم للمختبر نفسه؟ وليس مكان تسليم عشوائي؟"

قال سورين: "لم أقم بأي تسليم، هذا كله افتراضي".

- طبعًا.

- لكن لو فعلت، ولو تشاركت العنوان معكم، ماذا سيحدث؟

- يتوقف الأمر على ما سنجده افتراضيًا في هذا العنوان.

- لو فرضنا أنك ستجد هذا المختبر الجيني الذي تسمعون به، ماذا سيحدث لي؟

قالت نادين: "ستكون في الرحلة التالية إلى طوكيو".

- ومكتب الجينات الصيني؟

قلت: "كما أشرت أنت، لا غم لك معاهدة تسليم مجرمين مع الصين".

جذب سورين القلم والدفتر إلى جانبه من الطاولة.

تبعنا مركبة قوات التدخل السريع المنسلّة في وضع التعقيم عبر شوارع مهجورة. كان العنوان الذي شخبطه سورين على طرف حي فايف بوينتس في دنفر، ذلك الحي الذي تعرض للإحلال العمراني الطبقي، والذي لم يكن مفتوحًا فيه في هذه الساعة من الليل إلا بضع حانات لتدخين الحشيش.

أنزلتُ زجاج النافذة.

كان هواء أكتوبر المتدفق في وجهي أكثر إنعاشًا من القهوة التي جرعتها هناك في المكتب.

كثًا في أواخر الخريف في منطقة جبال روكي.

فاح الهواء برائحة الأوراق الميتة والفاكهة العطنة.

ترُبّع قمر الحصاد أعلى خط الأفق المسنن بسلسلة جبال فرونت - قمر أصفر كبير.

كان يجب أن يظهر الثلج على أعلى القمم قبيل الآن، لكنها كانت كلها جافة، صخور يضيئها القمر أعلى خط الأشجار.

وباغتني مرة أخرى الوعي بأي حي في أوقات غريبة، كان هناك إحساس ملموس بانهييار الأشياء.

إفريقيا وحدها لديها أربعة مليارات نسمة، أغلبهم يفتقدون الأمن الغذائي وما هو أكثر. حتى هنا في أمريكا، كُنّا ما زلنا مشلولين أمام موجات النقص في الغذاء، واضطرابات سلسلة التوريد، وندرة العمالة. ومع صعود سعر اللحم بسرعة الصاروخ، فإن أغلب المطاعم التي أغلقت أبوابها خلال المجاعة الكبرى لم تفتحها مرة أخرى قط.

عشنا في دولة رقابة حقيقية، مرتبطين بالشاشات أكثر من ارتباطنا بأحبائنا، وصارت الخوارزميات تعرفنا أكثر مما نعرف أنفسنا.

ومع كل عام يمر، نخسر المزيد من الوظائف لصالح الأتمتة والذكاء الاصطناعي.

صارت أجزاء من مدينة نيويورك وأغلب ميامي تحت الماء، وثمرّة جزيرة من البلاستيك في حجم أيسلندا تطفو في المحيط الهندي.

لكن لم يكن البشر فقط هم من تأثروا؛ لم يعد هناك أي حيوان وحيد قرن أبيض شمالي أو غمر من جنوب الصين، انقرضت الذئاب الحمراء، إلى جانب ما لا يُحصى من الأنواع الأخرى.

لم تُعد هناك أي أنهار جليدية في الحديقة الوطنية الجليدية.

أصبحنا على حق في أمور كثيرة صحيحة.

وعلى خطأ في أمور أكثر بكثير.

كان المستقبل هنا، ولم يكن إلا فوضى لعينة.

تساءلت نادين: "هل أنت بخير؟".

- تمامًا.

- يمكنني أن أتوقف جانبًا إذا كنت...

- ليس بعد.

لقد عملنا أنا ونادين معًا لمدة ثلاثة أعوام تقريبًا، كانت عالمة بيئية لدى اليونسكو قبل الانضمام إلى الجي بي إيه.

أخرجت هاتفي وفتحت سلسلة رسائل النصية مع بـ، كتبت لها:

أهلاً بـ. أقود الغارة. فقط أردت أن أقول أحبك. احضني آفا من أجلي، واجعليه حضناً جيداً. سأصل بك في الصباح.

ضغطت زر الإرسال، وطقق جهاز اللا سلكي الخاص بنا.

قال الضابط هارت، قائد فريق التدخل السريع: "أمامنا ثلاث دقائق".

شعرت بشيء يفور في أحشائي، كانت الاندفاع الأولى من الأدرينالين بادئة في تشغيل منظومتي استعدادًا لما هو آتٍ.

ثمة أشخاص مهنيون مثل هذه النوعية من الأمور. هؤلاء الذين ترعرعوا على الاندفاع في اجتياح أي مستودع مرتدين الدروع الواقية للجسد في منتصف الليل، ولا فكرة لديهم عن الدمار الذي يتوجهون إليه.

لم أكن واحدًا منهم، أنا عالم، أو -على الأقل- حلمت ذات مرة بأن أكون عالمًا.

قلتُ: "توقفي جانبًا..".

دفعت نادين السيارة الإديسون إلى جانب الطريق، ونظامها الأتوماتيكي يدق ويتذمر.

دفعْتُ الباب لأُفتحه، ومِلْتُ خارجًا، وقذفت ما بجوفي في الشارع.

جاء صوت هارت عبر اللا سلكي مرة أخرى: «هل كل شيء بخيرٍ هناك في الخلف؟ لقد فقدناكم».

سمعتُ نادين تقول: «كل شيء بخير، سنلحق بكم حالًا».

مسحتُ فمي، وبصقت عدة مرات، وجذبت الباب لأغلقه مرة أخرى.

لم تقل نادين شيئًا، لم تكن مضطرة إلى قول شيء. كان تقيؤي لتوتري أقرب ما يكون لدينا لطقس ما قبل الهجوم.

كان يعني أنه بمقدورنا الذهاب إلى العمل الآن.

ضغطت نادين بدال السرعة.

اقتربنا من مؤخرة مركبة التدخل السريع.

بقدر ما كنت أكره الذهاب إلى الهجمات، كنت أذكر نفسي دائمًا أن الخوف جزءٌ ضروري من توبتي.

أغلب العلماء الخارجين على القانون الذين نستهدفهم كانوا مجرمين، هكذا بوضوح وببساطة. مع تزايد طلب السوق السوداء على المنتجات الحيوية المركبة أضعافًا مضاعفة مع كل عامٍ يمر، صار هناك الكثير من المال الذي يمكن اكتسابه -من الحيوانات الأليفة المصممة حسب الطلب، والملابس المصنوعة من نسيج العناكب،

والأطعمة الغرائبية المعدلة وراثيًا، وحتى شكل جديد تمامًا من الحياة اخترع في مختبر بفانكوفر الكندية، يشبه غوريلا وردية ضئيلة والتي صارت نوعًا ما رمزًا للمكانة لدى الأوليغاركية الروسية.

لقد تعززت خدمات ومنتجات السوق السوداء أيضًا.

حشيش وهيروين مقرصنان.

دُمى جنس مغطاة بعضلات وجلد بشري صناعي.

ثمة مختبر جيني أسود في مكسيكو سيتي ضبطه رجال المباحث الفيدرالية وهو يصنع «دبابير انتقام» لجماعات المصالح. يمكن لهذه الأغلفة الصفراء أن تستهدف أي شخص بناء على بصمته الجينية. كما حملت هذه الدبابير نظام سايث بدائيا قادرا على تعديل شبكات جينية كاملة، مؤديًا إلى تدمير المخ، والجنون، والموت الأليم.

بالنسبة إلى البعض، كان العبث الجيني يجري فقط لإظهار أن بمقدورهم أن يفعلوه، مثل الطلاب الجامعيين الأربعة الذين كانوا يدرسون علم الأحياء في جامعة براون والذين أرادوا ببساطة أن يروا إن كان بمقدورهم صنع ذئب رهيب.

لكن بالنسبة إلى قلة منتقاة، كان المسعى شخصيًا على نحو عميق، مثل ذلك الفتى ذي الستة عشر عامًا المنعزل اجتماعيًا والعبقري في الوقت نفسه، الذي حاول أن يُهندس بكتيريا آكلة للحم ومقاومة للمضادات الحيوية كي يصيب بها مُتتمرًا في المدرسة.

أو اختصاصي الوراثة الوغد الذي قبضنا عليه وهو يحاول أن يستنسخ صورة معدلة من زوجته الميتة باستخدام السوق السوداء وبيضات بشرية ملقحة جرى استئصالها.

والأبوان اليائسان بلا تأمين صحي اللذان حاولا القيام بتعديل بدني لضمور العضلات في الحمض النووي لابنهما. نجحا بالفعل في شفائه،

لكن الطفرات غير المستهدفة التي خلقها من دون قصد غيّرت شبكة عمل الفص الجبهي الوسطى لديه، أصبح مريضًا بالذهان، وقتلها قبل أن ينتحر.

ثم كانت هناك مختبرات كوابيسي، حيث قامت منظمات إرهابية بهندسة عوامل مُمرضة وأسلحة دمار حيوية، مثل تلك المجموعة في باريس التي كانت على وشك إطلاق توليفة قريبة من فيروس جدري فائق عندما أسقطت هيئة سلامة الجينوم الأوروبي قبلة حرارية على مستودعهم.

لم يزعج تدمير هذه الأعمال ضميري قط.

أما المرات المؤلمة فكانت الهجمات على علماء حقيقيين. هؤلاء الذين كانوا يقومون بعمل رائد، من أجل الجنس البشري كله، عندما أصيبت الحكومات بالذعر وجعلت من المستحيل عمليًا على أحد أن يكون مهندسًا جينيًا.

أشخاص مثل أنطوني روميرو.

ما زلت أتذكره أحيانًا. كان قد بنى مختبره في مزرعة مواشٍ بغابة بيجورن الوطنية خارج مقاطعة شيريدان بولاية وايومنغ.

قبل أن يقضي قانون الحماية الجينية فعليًا على كل الأبحاث الجينية الخاصة والجامعية، كان د. روميرو في طليعة الباحثين في الأدوية الجينية لعلاج السرطان. وأشيع أنه في القائمة القصيرة لجائزة نوبل في الطب أو علم وظائف الأعضاء. لكن افتتاحيته في جريدة النيويورك تايمز التي أدان فيها بقوة قانون الحماية الجينية بسبب تجاوزاته البالغة قضت على أي فرصة له كي يُضاف إلى قائمة مختصي الوراثة المقبولين من الحكومة.

قبضنا على د. روميرو بهدوء في الساعة الثانية والنصف صباحًا بينما كان ثلجٌ خفيفٌ يتساقط على صف أشجار الصنوبر الأصفر خارج كوخه. شعرت بإعياء جسدي عندما وضعت يديه في الأصفاد وأجلسته في المقعد الخلفي بسيارتنا. لم أكن فقط ألقي القبض على بطل - رجل كنت أتطلع إلى حياته ومساره المهني وأحسده عليهما، بل كنتُ أحكم عليه بالسجن مدى الحياة، لأنني لم يكن لدي شك في أن وزارة عدلنا ستطبق عليه أقصى عقوبة ممكنة.

ثم أنه -مرة أخرى- قد خرق القانون. أليس كذلك؟

عندما سلّمنا د. روميرو إلى المارشالات الأمريكان في مطار مقاطعة شيريدان، نظر العالم إليّ وقال شيئًا لن أنساه أبدًا:

"أعرف أنك تحاول أن تفعل الشيء الصحيح، لكنك لا تستطيع أن تعيد هذه المعرفة إلى داخل العلبة".

لم أشعر قطُّ بكل هذا الإحباط بينما كنت أشاهد المارشالات يأخذونه إلى الطائرة بينما الثلج يتساقط ويذوب على مدرج الإقلاع. كاني خائن للمستقبل.

أبطأت مركبة قوات التدخل السريع من سيرها ودخلت زقاقًا، ودخلت نادين وراءها.

تطلّعت إلى ما حولنا عبر زجاج السيارة الرمادي-الأخضر، متوقعًا أن أرى أبنية منطقة صناعية. وبدلاً من ذلك، رأيت عبر الزقاق سياجات مائلة وجراجات في ظهر بيوت فيكتورية الطراز، برزت سطوحها المائلة بحدة على خلفية من سماء مرصعة بالنجوم.

قلت: "هذه منطقة سكنية..".

- غريب، أليس كذلك؟

لقد هاجمنا مختبرات كثيرة كانت مخفية في أقبية أو جراجات بيوت الناس. كانت التكنولوجيا، في أبسط أشكالها الأولى، بهذه السهولة. لكن بالنسبة إلى عمليات على النطاق والتعقيد اللذين كنت أتوقعهما الليلة -مختبر قام بالعمل مع هنريك سورين ذات نفسه- كنت لأراهن بمبلغ كبير من المال أننا سنهاجم مستودعًا، وليس بيتًا فيكتوريا في منطقة تاريخية.

حوّلت بث جهاز اللا سلكي الخاص بنا من أجهزة الاتصال في لوحة التحكم المركزي بالسيارة إلى سماعات أذاننا. "لوجان معك، هل أنت متأكد أننا عند العنوان الصحيح؟".

- هذا هو ما كتبه مصدر معلوماتك.

في أغلب الأحيان يكون أفراد فريق التدخل السريع أغبياء.

- أي منزل هو؟

- المنزل ذو القبة. سنطلق الطائرة من دون طيار الآن، استعدوا.

عبر الزجاج، استطعت أن أرى ضباط فريق التدخل السريع الأربعة خارج المركبة بالفعل، وأحدهم يجهز طائرة التصوير الحراري من دون طيار. ستطير في خط محيط حول الموقع المستهدف، محاولة أن تحدد بدقة الإشارات الحرارية حتى تكون لدينا فكرة عن عدد الأشكال الحية بالداخل.

سيدخل فريق التدخل السريع أولًا، متخذين وضع المواجهة، بينما نشكّل أنا ونادين المؤخرة. وما إن يجري تأمين المختبر، سيظلون مطوقين للمكان حتى نتأكد من الدخول للعمل، حيث نقوم بمجرد وفحص المعدات والتحقق مما كان يفعله هؤلاء العلماء الأوغاد بالضبط.

قمت بتثبيت الأحزمة المغناطيسية على درعي الواقى الاستقرائي وأخرجت سلاحى من حقيبة ظهري. كان مسدسًا طراز جلوك 47، به خزانة طلقات عيار 45. كنت قد ضبطت مقبضًا ليمسك كشافًا يدويًا على أجزاء المسدس الجلوك بعد هجمات كثيرة للغاية على مستودعات ضعيفة الكهرباء.

في الوقت نفسه، كانت نادين تغلق قفل خزانة القذائف الأسطوانية على سلاحها المختار: بندقية آلية ماركه أتشيسون. كان يروقني استفزازها بالتهكم على إحضارها مثل هذا الوحش معها بينما كان لدينا في العادة دعم فريق التدخل السريع، لكن كان من الصعب التحايل على حجتها، لقد وجدت نفسها في موقف سيئ في مدينة سبوكين بواشنطن، قبل أن نبدأ العمل معًا، كانت قد أفرغت خزانة كاملة من الرصاص عيار 40 في عالم قام بتجربة علاج جيني بسيط معدّل ذاتيًا حول مجموعة من الجينات في ممرات الجين الورمي النووي ومنشط جاما لمستقبلات البيروكسيسوم وعامل النمو شبيه الأنسولين 1. ونتيجة لذلك، تعرضت عضلات المشبوه الهيكلية لدورة تضخم هائلة، جعلتها -مع مصوراته الحيوية- ضخمة وكثيفة للغاية. هذا الرجل، الذي وصفته بأنه يبدو مثل شخصية كنج بنج في القمص المصورة- ضربها تقريبًا حتى الموت قبل أن ينزف دماءه كلها في النهاية.

لكن بما أن نادين مغرمة بلفت الانتباه، لم يكن هناك أي حيوان يسير على الأرض لا يمكن لخزانة ذات عشرين طلقة رصاص عيار 12 أن تطرحه أرضًا على الفور.

في سماعه أذني، سمعت الضابط هارت يقول: "لا نلمح أي إشارات حرارية في المبنى".

- غلم.

لا أحد في البيت، وهذا ما كان يروقنا بالضبط. الآن سنستكشف المختبر الخالي، وننتظر حتى يظهر العلماء. كان من الأسهل بكثير أن نطرحهم أرضاً في الشارع عن أن يحدث هذا داخل غرفة مليئة بمواد كيميائية متفجرة ومخاطر بيولوجية.

راجعت الساعة: 2:35 صباحًا.

أمامنا ثلاث ساعات كاملة قبل أن يبرز أول ضوء.

نظرت إلى نادين: "هيا بنا؟".

كان الجو بالخارج باردًا لدرجة أن أنفاسي خرجت في سحابة بيضاء.

أخرجنا بدلاتنا الليلية المموهة المضادة للمواد الخطرة من صندوق السيارة، وساعد أحدها الآخر في إغلاق سحاباتها. كانت تحتوي داخلها جهاز تنفس وقناعًا مصنوعًا بشكل خاص ليوفر مجالًا أوسع للرؤية من أجل المواقف القتالية.

أخيرًا، فتحنا أسطوانات الأكسجين والتحقنا بالطابور التكتيكي لقوات التدخل السريع.

تساءل هارت: "رؤية ليلية أم كشافات يدوية؟".

قلت: "كشافات..". كان يحيط بنا ضوء أكثر من اللازم، وقمر الحصاد ذاك كان في مسار صعوده. عمًا قليل سيسطع عبر نوافذ البيت الفيكتوري.

كان السياج الخلفي أطول من أن نرى من خلاله، لكننا اجتزنا البوابة المؤدية إلى داخل الحديقة الخلفية من دون أن نضطر إلى كسر أي شيء.

لم يرَ العشب ماءً أو يلقَ عنايةً أخرى طوال دهور.

نمت الحشائش بارتفاع الخصر.

تطلّعت إلى نوافذ البيت الفيكتوري القديم، بعضها كان يفتقر إلى الزجاج تمامًا، وكلها معتمة.

صعدنا فوق منصة من الألواح الخشبية أنّت تحت أقدامنا الثقيلة. ركع الضابط هارت عند الباب الخلفي، وفتح القفل في عشر ثوانٍ. تبعناهم إلى الداخل في ظلام تامّ.

مسحت أضواء بنادقهم القتالية مطبخًا تحت الإنشاء.

تابعنا التحرك إلى داخل غرفة طعام، تقشّرت جدرانها تمامًا، وامتدت الأسلاك الكهربائية في كل مكان، وتناثرت الأدوات عبر الأرضية. همستُ عبر قناة الاتصال المفتوحة: "كانها عملية إعادة بناء".

قال الضابط هارت: "انتظروا هنا".

وقفنا أنا ونادين على الطبقة الأصلية من الأرضية المحفورة فيما كانت غرفة معيشة.

على الرغم من بدلتني، كان بمقدوري أن أشم رائحة نشارة الخشب والبولي يوريثان في الهواء.

تدفق ضوء القمر عبر النوافذ المواجهة للشارع.

تكيفت عيناى على الرؤية ببطء.

كان بمقدوري سماع وقع أحذية فريق التدخل السريع الثقيلة وهم يتحركون بطريقة منهجية أعلننا، من غرفة إلى أخرى.

سألتُ: "هل من شيء؟".

قال هارت: "لا شيء. المزيد من الأمر ذاته هنا بالأعلى، كل شيء متجرد حتى النخاع".

نظرت نادين إليّ: "أعتقد أن سورين تلاعب بنا؟".

- ولماذا يفعل هذا؟ هو ما زال في الحجز، ويعرف أنه لن يخرج إلا إذا أعطينا إشارة الموافقة.

لاحظتُ بابًا أسفل السلام، كان مؤمنًا بقفلٍ رئيسي يفتح بتوليفة من أربعة أرقام. جذبته بقوة، لا فائدة.

قالت نادين: "تحرك".

عندما التفتُ ورائي، كانت تمسك في يدها قالبًا من الطوب. خطوط مبتعدًا عن طريقها بينما كانت تنهال بها على القفل. انفلق المعدن، وارتطم القفل المكسور بالأرضية.

قلت للفريق: "كنا نحن ذاك، كسرنا للتو قفلًا من على باب". قال هارت: "نحن عائدون إليكم، إنها مدينة أشباح هنا بالأعلى". دفعت الباب لأف்தحه.

أصدر صريرًا مزعجًا عندما تحرك على مفصلات الصدئة. سدّدتُ مسدسي الجلوك نحو السواد الدامس، وأنار الضوء مجموعة من السلام القديمة التي تهبط مؤدية إلى قبو. دقّ قلبي بشدة.

سألتُ: "أتريدون انتظار فريق التدخل؟".

قالت نادين: "لا توجد إشارات حرارية؛ لا أحد هنا".

أنت الدرجة الأولى تحت ثقلي.

ازداد شعوري بالبرودة مع نزولي السلم.

حتى مرشح الهواء في بدلتني لم يستطع التخلص من الرائحة الكريهة للعفن الفطري والحجارة الرطبة.

قال ضابط آخر عبر قناة الاتصال: "الطابق الرئيسي خال".

عندما وصلت أسفل السلم وخطوت على أرضية ترابية، انتابني شعورٌ مُقبض بأن نادين على حقٍّ، ربما تلاعب بنا سورين. أما لماذا فعل ذلك، فلم أستطع أن أتبيّن السبب.

قالت نادين: "أتعرف؟ كل ما أخبرنا به سورين أنه سلّم عبّوته إلى شخص ما عند الباب الأمامي، لم يدخل قطّ".

- ماذا تقصدين؟

- ربما هم يستخدمون هذا المكان كموقع تسليم فقط.

"هذا أكثر منطقية من وجود شخص يدير مختبرًا معقدًا في حي هادي" قلت ذلك وأنا أتساءل في داخلي إن كنّا قد أهدرنا وقتنا بالملجئ إلى هنا.

بالطبع يمكننا احتجاز سورين لمدة اثنتين وسبعين ساعة، نثير حفيظته أكثر قليلًا، لكن لم يكن لدينا شيء ضده؛ لقد تبينّ نظافة أمتعته بعد التفتيش.

لُوّحت بمسدسي عبر البراح الأسود للقبو.

تكاثف بخار زفراقي على حواف قناعي.

كانت الجدران هي حجر الأساس الأصلي للبيت.

رأيت غلاية صدئة.

أثاثًا صدئًا.

ومكعبًا أسود عجيبًا تبلغ مساحة كل وجه فيه قرابة القدم، يستقر في حوضٍ جافٍّ عتيقٍ.

"لوجان" كان هناك شيء ما في صوت نادين جذب انتباهي على الفور.

التفتُّ إلى اتجاهها.

قالت: "انظر...".

سَدَدْتُ مصباحي، ورأيت كاميرا تستقر على حامل ثلاثي.

موجهة إلينا.

ومض ضوء أحمر.

قلتُ: "لقد بدأت التسجيل للتو...".

كان فريق التدخل السريع يهبط السلم الآن.

تركت مصباحي يمسح القبو ببطء مرة أخرى.

لم أعد قلقًا من أننا أهدرنا الوقت بالمجيء؛ هناك شيء ما غير مضبوط.

في وسط الحجرة، مرَّ مصباحي على المكعب الذي كنت قد رأيته منذ لحظة.

كان قد بدأ ينشق منفتحًا.

قلت: "نادين...".

- أرى ذلك.

عندما سقطت جوانب المكعب، أضاء مصباحي عبر جسم كروي لِمَا بدا أشبه بالثلج، كان تقريبًا في حجم كرة بولينج، وبناءً على كمية البخار المتصاعدة من السطح، شككتُ في أنه فائق البرودة، أو ربما مصنوع من شيء آخر غير الماء.

قالت نادين: "يوجد واحد آخر هناك".

التفتُ، ورأيت أنها كانت تسلط ضوء مصباحها على كرة مطابقة من الثلج بالقرب من السلم.

تساءلتُ: "ما هذا بحق الجحيم؟".

قلت: "لا يروفتني بالفعل الجو هنا...".

قاطعني صوت طنين... كان قادمًا من الحوض الجاف.

تحركت نحوه، ورأيت مصدر الذبذبة، وشعرت بذعر هائل.

إلى جوار كرة الثلج، كان هناك هاتف به شاشة لمس مضاءة مع استقباله لمكاملة. امتدَّ سلكان من الهاتف، عبر ثقب في الطاولة، وتحت الثلج.

بدأت كرتا الثلج تتوهجان من ضوء أزرق مستقر في مركزيهما.
صرخت: "اخرجوا!".

كان فريق التدخل السريع يصعد بالفعل قاطعًا نصف السلم.
تبعته نادين بحميّة.

رأيت الجميع يختفون في الطابق الرئيسي، وكنت على مبعدة عدة
ثوانٍ من الدرجة السفلى عندما استحال القبو إلى البياض.
شعرت بضغط هائل على صدري.

ثم وجدت نفسي راقدًا على ظهري فوق الأرضية، أحْدَقُ إلى
العازل المكشوف أسفل الطابق الرئيسي.

كان قناع غطاء رأسي مشروخًا ومخدوشًا في أماكن عديدة، وكانت
هناك شظايا واضحة ضئيلة مغروزة في البلاستيك، لم أفهم ماذا كانت
حتى قطرت إحدى قطع الشظايا نقطة ماء مثلجة في عيني اليسرى.
تمكّنتُ من رفع مسدسي وتسليط الضوء على بدلتني، كانت ممزّقة
ومثقوبة في أماكن أكثر مما يمكنني أن أحصيه.

ذعرٌ مؤلم.

ألمٌ متدفق.

ذراعاي وساقاي... كل مساحة من جلدي لم يحميها درع الجسد...
شعرت باحتراقها فجأة كأني لدغت ألف مرة.

2

عندما أخذتُ نَفْسًا، قبض وجعُ كاسر على صدري.
سمعت صوتي يتألم.
فتحت عينيَّ.
كنت راقداً في سرير بمستشفى.

على حامل بجواري، كانت شاشة مراقبة للعلامات الحيوية تطلق صغيراً متقطعاً في فواصل منتظمة، وضخَّ كيس محلول شيئاً ما في وريدي عبر إبرة وريدية ملصقة في ذراعي اليسرى الملفوفة بضمادات ثقيلة. أمّا ذراعي الأخرى وساقاي فكانوا ملفوفين بالشاش. الأكثر إزعاجاً كان الحاجز البلاستيكي غير الشفاف الذي أحاط بي وبالسرير

تمامًا. من خلفه، لم أستطع أن أرى إلا ظلالًا وأشكالًا مبهمًا، كانت الأصوات التي سمعتها نائية، مشوشة.

حاولت أن أستعيد آخر ذكريات صحوي، وسواء كان ذلك بسبب المخدر أم إصابتي، تطلب الأمر مني بعض الجهود كي أعثر عليها.

كنت راقدًا على الأرضية الترابية في قبو المنزل الفيكتوري الذي هاجمناه في دنفر، كان هناك انفجار، حاولت أن أنهض، لكن الألم في صدري أصابني بالشلل.

وهكذا رقدتُ هناك في الظلام، متسائلًا أين ذهب بقية الفريق. متسائلًا إن كنت أحتضر.

الألم يشوّه الزمن، لذا لم تكن لديّ فكرة عمّا مرّ منه عندما سمعت أخيرًا هدير خطوات تهبط السلام إلى القبو. أحاط بي فريق طبي في كامل معدات الوقاية من الخطر، وعندما رأوا ألمي البالغ، حقنني أحدهم في رحمة بمخدر جميل.

أبحرْتُ بعيدًا في بحرٍ هنيء من الظلام.

إلى أن استيقظت هنا.

أينما كان هنا.

- أهلاً لوجان، كيف حالك؟

أتى الصوت من مكبر صوتٍ صغيرٍ على الطاولة إلى جانب السرير - صوت أنثوي أعمق من المؤلف.

قلت: "التنفس مؤلم... جدًا".

- كيف تُقدّر ألمك بمقياس من واحد إلى عشرة؟

- سبعة، ربما ثمانية.

- علي يمينك، هناك شيء كالعصا به زرُّ أرجواني. اضغطة بضع مرات وستحصل على بعض المورفين.

شرعت في مد يدي نحوه لكنني توقفت، لقد تناولت المورفين من قبل -في أعقاب هجمة فاشلة في منطقة إنلاند إمباير قضت على حياة شريكتي الأولى وتركتني مصاباً بطلق ناري في البطن، أحببتُ المورفين، لكنه كان يجعلني مسترخياً للغاية لدرجة أنني بالكاد كنت أستطيع متابعة حتى أبسط الحوارات، وفي هذه اللحظة، كنت بحاجة إلى بعض الإجابات.
سألت: «أين أنا؟».

- مركز دنفر الصحي الطبي، اسمي دكتورة سينج. أنا اختصاصية عناية مركزة.

أخذتُ نَفْسًا آخر مؤلماً.

- أنا في العناية المركزة؟

- صحيح.

واو! مع الفيروسات الجديدة والطفرات في أمراض غير معروفة تجوب الكوكب باستمرار، صار الطلب شديداً على الأسرة في وحدات العناية المركزة، وكثيراً ما كانت غير متاحة. إمّا أن الجي بي إيه استخدمت نفوذها وعلاقاتها لإدخالي هنا وإما أني كنتُ في حالة سيئة بشكلٍ خطير.

- هل أنا أموت؟

- لا، علاماتك الحيوية جيدة الآن.

- وماذا عن البلاستيك؟

- هل تذكر ما حدث ليلة أمس؟

- كنت في هجوم، انفجر شيء ما.
- انفجرت عبوة ناسفة مرتجلة في ذلك القبو، ربما تكون قد تعرضت لشيء ما.
- أحاطت بي موجة من الخوف شلت حركتي.
- تساءلتُ: "مثل ماذا؟".
- أحد العوامل المُفرضة أو مادة سامة.
- هل حدث ذلك أم لا؟
- لا نعرف بعد، نحن نُجري اختبارات، سأقول إنه لا يبدو أنك سُممت؛ وظائفك العضوية جيدة.
- ماذا عن الآخرين الذين كانوا معي؟ شريكتي نادين، فريق التدخل السريع.
- هم في الحجر الصحي هنا كذلك، فقط من أجل سلامتهم، لكنهم كانوا خارج القبو عندما انفجرت العبوة؛ لم تُخترق بدلاتهم.
- تحرّكت في السرير بشكلٍ غير مريح.
- كان الألم يشتد، والزر الأرجواني يناديني.
- سألتها: "ما هي إصاباتي؟".
- ضلعان مكسوران، ثلاثة ضلوع مشروخة، انهارت رئتيك اليسرى، لكن جرى علاج هذا. وذراعاك وساقاك غطّتهم الجروح من شظايا الثلج.
- كان انفجارًا سيئًا إلى هذا الحد؟

- كنت في مكانٍ ضيقٍ، لذلك تسبَّب الاختلاف بين أعضائك
الممتلئة بالهواء وموجة الضغط في بعض الدمار. لحسن
الحظ، لا شيء يهدد حياتك، لا شيء لن تتعافى منه.

وجدت الألم قد بلغ حدًّا أن يصبح على نفس القدر من التشييت
الذي يمكن أن يجعلني المورفين عليه.

ضغطت الزر الأرجواني عدة مرات.

شعرت بالارتياح على الفور.

على الفور شعرت بالخفة والدفء.

- أرى أنك فعلتَ للتو مضخة المورفين، حاول أن تنام قليلاً يا
لوجان، سأطمئن عليك بعد بضع ساعات.

صحوت مرة أخرى.

كان هناك شيء مختلف هذه المرة.

شيء خاطئ.

كان ما زال هناك ذلك الألم المشع في صدري، لكن الآن كان صدري
يؤلمني كذلك، وشعرتُ بسخونة تتجاوز الخيال. كانت الملاءات غارقة
في العرق؛ سال العرق ودخل عيني، ولم أكن أتنفّس بقدر ما كنت
ألهث.

أصدرت شاشة مراقبة العلامات الحيوية صفاراتها المتقطعة أسرع
مما يجب.

وقف أحدهم إلى جوار سريرى، يحقن محتويات إبرة في أنبوبي
الوريدي.

تساءلت: "ماذا يحدث؟".

بدا صوتي حائلاً، واندغمت كلماتي في بعضها.

رمقني الطبيب أو الممرض عبر درع الوجه في البدلة الواقية، حاولت أن أقرأ خطورة الموقف في العينين، لكنهما راوغتاني.

أتى الصوت عبر مكبر صوت في درع الوجه. بدا مثل صوت الطبيبة التي تحدثت إليها من قبل، رغم أنني لم أستطع تذكر اسمها.

- لقد أصبتَ بحمى شديدة جداً يا لوجان؛ نحن نحاول تخفيض حرارتك.

- كم بلغت درجة حرارتي؟

- أعلى مما يجب.

قلتُ شيئاً بدا هذياناً، حتى بالنسبة إليّ.

انفتح سحاب باب في الحاجز البلاستيكي ودخل عاملٌ طبي آخر في بدلة وقائية إلى فقاعتي.

- أتيتُ بالكُمادات الباردة يا دكتورة سينج.

- أشكرك يا جيسيكا.

وضعت د. سينج الإبرة جانباً وسحبت الأغشية التي كانت تغطيني. كنتُ قد تعرّقت تماماً عبر ضماداتي ورداء المستشفى.

رفعت د. سينج رأسي بحرصٍ عن الوسادة بينما لفت جيسيكا كمادة باردة حول عنقي.

حاولت أن أسأل إن كنت أموت، لكن الكلمات خرجت مندفعة في ألوان زاهية، كان بمقدوري أن أراها فعلياً وهي تغادر فمي في قطار من الألعاب النارية المتفجرة.

تعرّقت وتأوّهت خلال أحلام الحمى بما يتجاوز أي شيء مررتُ به من قبل.

شيء خيالي.

متكرر.

مرّوع.

عندما صحوّت، كانت الحمى قد انكسرت.

ورغم أن صدري كان ما زال يؤلمني، فإنه لم يكن ذلك الألم الغاشم الذي سبق.

كنت وحيدًا في فقاعتي، وكان صوت د. سينج يأتي عبر مكبر الصوت مرة أخرى.

- أهلاً لوجان، كيف حالك؟

- أفضل.

- أربعتنا، وصلت إلى درجة حرارة 41.17 مئوية.

- لم أكن أحاول أن أسجّل رقمًا قياسيًّا أو أي شيء من هذا القبيل.

- لا نحب أن نرى حالات حمى تصل إلى هذه الدرجة العالية. في تلك المستويات، يصبح من المحتمل حدوث تلفٍ عضوي أو نوبات مرضية أو حتى الموت.

تساءلتُ: "ماذا كان السبب وراءها؟".

- ما زلنا نُجري الاختبارات، لكن لا توجد أي مؤشرات على أنها إصابة بكتيرية أو تسببت فيها أي عدوى، لذلك في هذه اللحظة، نعتقد أن أبا ما كان يجري ربما يكون شيئًا فيروسيًّا.

شخص مجنون ما لديه ثأر مع الجي بي إيه نصب فخاً، بل سجّل لحظة الانفجار.

الأدهى من فيروس صناعي يغرز منجله في جسدي كان السبب الآخر الذي يجعل الناس يهندسون الفيروسات؛ أنها الماكينات المثالية لحمل المعلومات الجينية الأجنبية إلى الخلايا. بعبارة أخرى، يمكن استخدامها لإصابة الناس بعامل تغيير قادر على إعادة صياغة حمضهم النووي.

بالنسبة إليّ، وأنا راقِدٌ هنا في الحجر الصحي، كانت فكرة أن هذا الفيروس ربما أصابني بشيء مثل سايث، مُعدّل للحمض النووي يعيد صياغة الشفرة التي تجعلني أنا، مرعبة أكثر أضعافاً مضاعفة من احتمالية الإصابة بفيروس بسيط.

- لديك شخصٌ هنا يود أن يحييك.

أتى صوتٌ جديدٌ من مكبر الصوت.

- لوجان؟

ابتسمتُ ابتسامةً واسعة جداً لدرجة أني شعرت بزاوية شفتي تتشقّق: «بِث؟».

- أنا هنا في الحجرة المجاورة.

بدا كأنها تبكي.

بدأت أنا أيضاً في البكاء.

لعلّها ألفة صوتها -هذه المرأة التي أحبّنتني رغم كل شيء- وتذكّري أني كان يمكن أن أفقدها في ومضة انفجار عبوة ناسفة.

سألتها: «متى وصلتِ إلى دنفر؟».

- أمس، أخذنا أنا وآفا الهايبرلوب إلى هنا بمجرد أن سمعنا بما حدث.

- آفا هنا؟
- أهلاً بابا.
- آه يا ربي! أهلاً طفلتي، من الجميل أن أسمع صوتك.
- وصوتك أيضًا.
- سألتهما: "بم أخبركما؟".
- ليس كل شيء. قال إدوين إن مختبراً دخلته انفجر. وأخبرنا الأطباء أنك ربما تعرضت لشيء في الانفجار ولهذا أنت في الحجر الصحي.
- آسف بشأن رحلتنا في عطلة نهاية الأسبوع، كان يجب أن نكون جميعاً في شيناندواه الآن.
- قالت آفا: "سنذهب بمجرد أن تخرج من هنا".
- هل توظفين على المدرسة يا حبيبتي؟
- نعم.
- لا أريدك أن ترسبي مرة أخرى، وكوني كدث أنسف ليس عُذراً.
- أعتقد أنه عُذرٌ عظيم. لقد أحضرتُ حاسوبي المحمول، وكنت أعمل في قاعة الانتظار.
- قالت بث: "حسناً، يقولون لنا إن علينا أن نتركك تستريح الآن. وستكونين أنت وآفا قريبتين؟
- لن نذهب إلى أي مكان.

تلك الليلة، عاودتني الحمى.

حاولتُ أن أنام، لكنَّ أحلامًا وحشية طاردتني. ظللت أهلوس متخيلاً أني داخل جسدي، أراقب الفيروس وهو يغزو خلاياي. ثم أصبحت أنا الفيروس، أذيب نفسي وتعليماتى الجينية مخترقاً جدران الخلايا ومختطفاً أنظمتها لصنع المزيد منى، المزيد من جزئيات الفيروس.

مرة بعد مرة بعد...

ارتطمتُ بوعي حار، مشوش.

ممرضات ببدلات واقية يلففن رقبتى بكمامات باردة ويصببن الثلج على صدري.

كنت أتوجّع.

أتمتم بهذيانات.

قلت: "أنا الفيروس، أنا الفيروس".

قالت د. سينج: "حقنة إنترفيرون ستمائة ملليجرام".

نطلعتُ إلى درع وجه طبيبتى، وقلت: "يمكننى أن أشعر به فى خلاياي".

تجاهلتنى د. سينج ونظرت إلى إحدى ممرضاتها وقالت: "المزيد من الثلج، بسرعة".

بدأت تمطر داخل مملكتى البلاستيكية، فيما عدا أنها لم تكن مثل أي عاصفة رأيتها فى حياتى من قبل.

سقطت قطرات المطر مفردة كحروف متوهجة...

أ

ج أ

س ج أ

ث س ج أ

ث س ج أ

ث س ج أ

ث س ج أ

ث س ج أ

ث س ج أ

ث س ج أ

ث س ج أ

ث ج ج

ث س

ث

.... أدنين، جوانين، سايتوسين، ثايمين: القواعد الكيماوية الأربع
التي تشكّل الحمض النووي الصبغي.
الدنا.

امتلاً الهواء بالقواعد النووية.

تطايرت منحرفة.

شكّلت دَوّامات دَوّارة.

سالت على جدران الحاجز البلاستيكي.

تباديل غامضة لا نهائية من مخطط الحياة كلها على الأرض.

استطعت أن أشعر بالحروف تطرطش على وجهي.

استنشقتها.

وابل من الشفرة الحيوية ظلّ يتغيّر، يتحوّر.

اشتعلت رأسي، وفكرت لو استطعت فقط أن أحلّ الشفرة، سأتمكّن

من فهم ما يفعله الفيروس بي.

عندما أفقت، كان هناك شخصٌ ما يرتدي بدلة واقية ويجلس إلى

جداري، شعرت أن ضلوعي أفضل حالاً وقد ذهبت الحمى، لكنني

كنت منهكاً حتى النخاع.

التفت الشخص ذو البدلة الواقية ليواجهني.

تطلّعت إلى وجه رئيسي، مدير وكالة الحماية الجينية، إدوين

روجرز؛ كنتُ سعيداً لرؤيته. كنتُ قد قدّمت طلباً للعمل في الجي بي

إيه من السجن مباشرة. لم أعتقد أنهم سيأخذونني على محمل الجد،

لكن إدوين روجرز قابلني بنفسه ووظّفني على الفور رغم سجلي

ذي الإدانات الجنائية العديدة وانعدام خبرتي في تطبيق القانون، لذلك،

سيكون ولائي له دائماً.

قال إدوين: "انظر من عاد للوعي".

قلْتُ بضعفٍ: "أهلاً، كيف حال نادين؟".

- ما زالت في الحجر الصحي، بلا أعراض. قد تخرج خلال يوم أو اثنين. أخشى أنك تحملت العباء الأكبر من الأمر.
- وهل نعرف ماذا يكون هذا الأمر الآن؟

تنحج إدوين وقال: "لقد دخلت فحاً، كما أثق أنك استنتجت. ما زلنا نحتجز هنريك سورين. سنتهمه بمحاولة القتل".

سألته: "ما هي قصة سورين؟".

"إنكار تام، يُقسم أنه قام فقط بعملية تسليم إلى رجلٍ عند ذلك البيت صباح الخميس".

سألته: "ألا توجد أسماء؟".

- أعطانا وصفاً جسدياً عاماً ومدخلاً إلى شبكة الإنترنت السوداء، وهو -كما تعرف-...

"بلا فائدة" جاهدتُ كي أعتدل في جلستي، لكن ضلوعي صرخت من الألم، ساعدني إدوين على ترتيب الوسائد خلفي. "هل ذهبتَ إلى القبو الذي حدث فيه الانفجار؟".

- ذهبتُ، وجدنا بقايا قنبلتين ثلجيتين، بالقطع أغرب عبوتين ناسفتين رأيتهما في حياتي.

- هل كان الثلج من الماء أم...؟

- من الماء، تشكّل في كرتين صلبتين بطريقة لا تُصدّق، حوّل الانفجار الثلج إلى قذائف مدببة، وهذا ما خرق بدلتك، وخرقك.

- هل تمكّنتم من استعادة أي قدرٍ من الماء الذائب أو شظايا الثلج؟

- نعم، وانتهينا للتو من تسلسل عينة. حملت هاتان الكرتان
الثلجيتان فيروسًا في حالة سبات فائقة البرودة.
شعرت فجأة أي في كامل إفاقتي.

مضى متابعًا حديثه: "شيء عبثي في الحقيقة. تدخلك الشظايا عبر
جروح سطحية وتذوب من دون أي تلف جسدي دائم".
- يا إلهي!

وضع يده المكسوة بالقفاز على كتفي، وقال: "قبل أن تُجن من
الفرع، هو ليس واحدًا من عائلة الفيروسات الخيطية التي ربما
تنتابك الكوابيس بشأنها، ليس إيبولا ولا ماربورج، ونعرف أنه ليس
الجدري. في الحقيقة لديه سمات العائلة المخاطية".

- الأنفلونزا؟

- نعم.

- فيروس مُصنَّع؟

- هذا هو الافتراض.

وعندئذٍ سألته السؤال الذي لم أكن أرغب تقريبًا في إجابة عنه:
"هل يحمل شفرة مُركب سايث؟".

أوما برأسه.

آه، اللعنة! لقد أصبت بالعدوى، ليس فقط من فيروس مجهول
الأصل، لكن بعبوة تحمل شفرة أقوى نظام مُعدّل للجينوم نشأ من
قبل. أكاد أقول إنه من المؤكد أنه صُمِّم لا ليجعلني مريضًا، لكن
ليصيب بالعدوى بعض أو كل الخلايا في جسدي، ومن المحتمل أن
يُعدّل ويعيد صياغة أجزاء من حمضي النووي.

سألته: "هل تعرف أي الجينات والمسارات المستهدفة؟".

- ليس بعد، لكننا نُجري اختبارًا وتحليلًا كاملاً لعينة من كرات دمك البيضاء.

حاولتُ أن أتماسك أمام موجة الخوف، لكنني لم أستطع أن أصدّها، لقد ساوتني بالأرض ببساطة. كان هذا أسوأ خبر ممكن، رغم أنه لم يكن مفاجأة بالضبط، لقد رقدت على الأرضية الترابية في القبو بينما كان الثلج يذوب بداخلي، لكنه جعل حقيقة موقفِي صلبة بطريقة لم تكن عليها من قبل.

استند إدوين إلى سياجٍ سريري وربت على كتفي، قال: "أريدك أن تسمع هذا مني.. سنجد من فعل هذا ونذيقه العذاب، فقط عليك أن تركز على تحسن صحتك".

- سأحاول يا سيدي.

كان يحاول أن يريحني، لكنّ القبض على الجاني لن يفيد في الحقيقة إن تبين أن هذه التغيرات في الحمض النووي قاتلة، يمكن لنظام سايث أن يسبّب كل أنواع الخراب بشريطي الوراثي.

لو كُتبت الشفرة الجينية للمرء في كتاب من الحجم العادي، سيكون هذا الكتاب مجلدًا بطول عشرين طابقًا يتكوّن من ثلاثة مليارات تنويع لحروف أ، س، ج، ث، التي تمثّل القواعد النووية الأربع: أدنين، سايتوسين، جوانين، ثايمين. الترتيب المحدد لهذه القواعد النووية الأربع هو ما يخلق الشفرة المصممة لكل الحياة البيولوجية على كوكب الأرض. هذه الشفرة هي النمط الجيني، والطريقة التي تتجسّد بها ماديًا في شكلٍ من أشكال الحياة (لون العين مثلاً) بالاشتراك مع تفاعلاتها مع البيئة المحيطة، تُسمّى بالنمط الظاهري. لكن فهم العلاقة المتبادلة بين النمط الجيني والنمط الظاهري -التي ترمج شفرة الحمض النووي أي سمات تكون لها- ما زال يرواغنا إلى حدّ كبير.

نهض إدوين من مقعده، ثم سار إلى الباب، وفتح سحَّابته، وخطا عبره إلى الجانب الآخر.

بينما كنت أراقبه وهو يغلق عليَّ الباب من جديد في كوني البلاستيكي الملوَّص، شعرت أنني وحيدٌ حقًّا.

ذُكرني ذلك بزماني في السجن والإحساس المحطَّم بأن الآخرين يستطيعون الذهاب والمجيء.

لكنني كنتُ هنا.

محبوسًا مع شريطي الوراثي المتغيِّر.

بدووا معي خطة علاجية بجرعات من بروتينات إنترفيرون جاما ومجموعة من مضادات الفيروسات الجديدة.

هاجمتني الحمى مرة أخرى في الليلة التالية، وبعد ذلك بدأتُ فترة من التحسن السريع؛ عادت طاقتي هادرة، عادت شهيتي، بدأتُ النوم خلال الليل.

خلال ثلاثة أيام، أُزيلت عني ضماداتي، وتغطَّت جروحي التي صنعها الثلج بالقشور.

ما زالت ضلوعي تؤلمني، لكنني كنت مثلهفًا على النهوض من السرير والتمشية في المكان، حتى لو كان المشي فقط جيئةً وذهابًا في ممر وحدة العناية المركزة.

تُفَتُّ إلى حمامٍ حقيقي بدلًا من وعائي السريري المُدَلِّ.

لكنهم لم يسمحوا لي بمغادرة فقاعتي.

لأنهم لم يعرفوا أيَّ شيء تقريبًا عن السلالة المصنَّعة من الأنفلونزا التي أُصبت بها، لم تكن د. سينج لتخاطر بأي احتمالات. ورغم أنني

كنتُ خاليًا من الأعراض، فلإني كنتُ ما زلتُ أتخلَّص من الفيروس، الأمر الذي يعني أنني من الممكن أن أكون مُعديًا للآخرين.

وهكذا أمضيتُ أيامي أحملُ الأفلام على حاسوبي اللوحي أو أحاول ملمة ما يكفي من التركيز للقراءة، لكن في أغلب الوقت كنت موسوسًا بالتفكير فيما قد يفعله سايث بي.

قاومت المستشفى فكرة السماح لزوجتي وابنتي بارتداء البدلات الواقية وزيارتي داخل فقاعتي، لكن بعد أسبوع في السرير، أصررت على السماح لي برؤيتهما.

خطت ابنتي ذات الأربعة عشر عامًا عبر الحاجز البلاستيكي في بدلة واقية كاملة ابتلعتهما بالكامل، وتدلَّت حقيبة قماشية على كتفها. ضحكْتُ عندما رأيتها -ضحكتي الحقيقية الأولى منذ صحوْتُ في وحدة العناية المركزية قبل خمسة أيام- لكن مع ضلوعي المشروخة والمكسورة، تحوَّل الفرح على الفور إلى عذابٍ.

قالت آقا: "أهلاً بابا.." خرج صوتها عبر مكبر الصوت المزروع في البدلة. ثم مالت إلى السرير ومنحتني أعظم وأعجب عناقٍ حظيت به في حياتي، ووجهي ينضغط في درع وجهها البلاستيكي. حتى على الرغم من أنه كان عناقًا عبر قفازات مطاطية وبدلة واقية كاملة، جعلتني لمسة شخص أحبه ويحبني أبكي مرة أخرى.

- هل أنت بخير يا بابا؟

مسحتُ عيني وقلت: "أنا بخير".

جذبتُ المقعد لتقرُّبه ومدَّت يدها داخل الحقيبة التي أحضرتها معها، وأخرجت منها لوح شطرنج:

- أتريد أن تلعب؟

- يا إلهي، نعم؛ لقد مللت من التحديق إلى الشاشات.

اعتدلتُ في جلستي، متأوِّهاً وأنا أحاول أن أرُتب الوسائد بشكلٍ مريحٍ ورائي. فتحت آفا لوح الشطرنج ووضعتُه على الفراش، وبدأتُ ترص القطع.

تأثرت مشاعري كثيراً بأن ترتدي آفا هذه البدلة المغلقة وتقضي الوقت معي داخل فقاعتي؛ لو أنك غير معتادٍ عليها، يمكن أن تكون البدلة الواقية تجربةً خانقة، رداء يصيبك بالاحترار ومن الصعب تحريكه، وحتماً سيبدأ وجهك في إثارة رغبتك في هرشه في اللحظة التي تدخل فيها منطقة الحجر الصحي، وبالطبع يلوح من خلف كل هذه المتاعب الخطر الحقيقي بأن تتعرض للفتق.

مدتُ يديها مضمومتين وربتُ أنا على اليد اليمنى، التي فتحتها لتكشف عن بيدق أبيض.

- سألعبُ أولاً.

علّمتُ آفا الشطرنج عندما كانت في الخامسة، انجذبت إليه على الفور وسرعان ما طوّرت فهمًا فطريًا ليس فقط للكيفية التي تتحرك بها القطع لكن أيضًا للحاجة إلى استراتيجية أوسع للفوز.

حاولنا أن نلعب دورًا كل يوم، جالسين في العادة إلى الطاولة المصنوعة من الحديد المطاوع في الحديقة الخلفية أو -إن كان الجو عاصفًا- أمام النار وقد وضعنا اللوح على الموقد الحجري.

قبل أن تبلغ العاشرة، كانت قد أصبحت لاعبة قوية.

وقبل الثانية عشرة، كنّا متكافئين في القوة.

قبل الثالثة عشر، تجاوزت مستوى مهارتي بمجموعة هائلة من الألعاب الافتتاحية وإنهاء قوي للعبة؛ لم يُعد باستطاعتي أن أهرمها إلا باللعب الذي لا يشوبه الخطأ والانتظار على أمل أن ترتكب خطأ واحدًا على الأقل، لكن هذا المزيج كان نادرًا.

أحيانًا كنت أتساءل إن كانت قد وُهبْتُ ذكاء أمي.

قمْتُ بحركتي الافتتاحية.

«مرحى يا بابا؟» قالتها وهي ترد بتحريك حصان الوزير إلى المربع F6. «خمسمائة وواحد وستون، أردت فقط أن أتأكد أنك تعرف».

رفعتُ حدقتي ودُرتُ بهما في عيني.

كانت تبتسم ابتسامة عريضة من وراء درع وجهها.

خمسمائة وواحد وستون يومًا هو ما تقصده.

كانت تُدكّرني بالمدة التي مرّت منذ قلتُ لها «كش مات» لآخر مرة.

لعبنا كل يوم طوال الأسبوع التالي.

فازت كل مرة، ولم نتعادل حتى مرة واحدة.

كانت بِث ترتدي البدلة أيضًا كي تأتي لتجلس معي، وبعيدًا عن الأعمال الروتينية وإلهاءات الحياة اليومية في فيرجينيا، تكلمنا أكثر مما فعلنا طوال سنوات.

ذات يوم بعد الظهر، رنت إليّ عبر درع وجهها وأخذت يدي في يديها، وجسدانا مفصولان بطبقة من المطاط،

سألتنِي: "متى تكتفي؟".

كانت تقصد عملي، كثيرًا ما ثار بيننا هذا الشجار.

- لا أعرف.

- لقد تعرضت لإطلاق النار، والآن أضف (كدت أن تُنسَف) إلى بطاقة أدائك.

- إنها ليست بطاقة أداء.

قالت: "بل هي كذلك بالتأكيد، من فضلك انظر إليّ، لو كنت أعتقد أنك تحب هذه الوظيفة، فبقدر ما أكره الخطر الذي تضعك فيه دائماً، لم أكن لأنطق بكلمة عنها. لكنني أعرف أنك لا تحبها، إنها ليست حقيقتك. أنت تفعل هذا من منطلق الواجب والشعور بالذنب، وربما كان هذا منطقياً في البداية، لكن مرّ خمسة عشر عاماً منذ أن حظيت بالعفو، ربما حان الوقت كي تسامح نفسك وتفعل شيئاً تحبه بالفعل".

ما أحببته حقاً، ما أردته حقاً -أردته دوماً- هو أن أكون اختصاصي وراثية، أن أفهم وأسيطر على قوة الشفرة الأصلية للحياة كي أجعل العالم مكاناً أفضل. ألقى بلائمة ذلك على نشأتي في مدار أُمي، كانت طاغوتاً، وحملني تأثيرها طموحات هائلة.

لكنني عشتُ في عالمٍ لم تعد أي من أحلامي ممكنة فيه.

وأصعب حقيقة -الحقيقة التي ظلّت تأكلني من الداخل طوال معظم حياتي كرجلٍ- أنه حتى لو كان هذا العالم صالحاً، فأنا لا أمتلك جزءاً من الذكاء الخام لشخصٍ مثل أنطوني روميرو أو ميريام رامزي. كانت لديّ أحلامٌ غير عادية وعقل عادي.

بعد أسبوعين بالضبط من دخولي وحدة العناية المركزة في مركز دنفر الطبي، انفتح سحّاب الباب المؤدي إلى فقاعتي، ودخلت د. سينج بابتسامة عريضة على وجهها وشلال من الشعر الأسود ينسدل متجاوزاً كتفيها.

قلت: "لديكِ شعْر..".

- لديّ، الكثير منه في الحقيقة.

- أين بدلتك؟

- لست بحاجة إليها.

اقتربت وجلست على المقعد إلى جوار سريري، أصغر قليلاً في السن مما خمنتُ بناءً على بحّة صوتها.

"نحن نقول بارتياح أن الفيروس، أيًا كان، قد مضى إلى حال سبيله. سيظل الألم شهرًا آخر أو نحو ذلك، لكننا سنطردك من هنا. آه، ومعني شخص على هاتفني يريد أن يقول لك شيئًا" أخرجت هاتفها الخلوي من جيبها، وشغلت مكبر الصوت: "سيادة المدير روجرز؟ أنت مع لوجان".

- لوجان، هل تسمعني؟

- نعم يا سيدي.

- أبلغتني طبيبتك للتوّ بالخبر الطيب، ولديّ بعض الأخبار الطبية من جانبي. أتى تحليل الحمض النووي الخاص بك؛ أنت في الأمان.

سألته: "لا تغييرات في شريطي الوراثي؟".

- لا شيء يمكننا أن نراه.

كتمتُ الدموع.

- أشكرك يا سيدي، أشكرك شكرًا جزيلاً.

- أراك عند عودتك إلى واشنطن.

عندما أنهت د. سينج المكالمة، اندفعتُ بِثِثٍ وأُفَّا عبر الفتحة في الحاجز البلاستيكي وقفزنا على سريري، سعدت كلتاها على الحشية الضيقة، معتصرتين إياي بينهما.

تأوّهتُ: "احترسا لضلوعي..".

كُنَّا جميعًا نضحك ونبكي؛ لقد افتقدتُ المشاعر البسيطة، راثتُهما،
نبرة صوتيهما في الهواء الطلق بدلاً من الصوت المفلتر عبر درع الوجه
في البدلة الواقية، ملمس الجلد على الجلد بدلاً من المطاط.
بعد أربعة عشر يومًا في العزل، كان الأمر أشبه بدعوة إلى العودة
إلى الحياة من جديد.
العودة إلى البيت.

3

بعد شهر

انفتح باب الحمام محدثًا صريرًا، وأُطلتِ بـث.

"ماذا تفعل؟" تساءلتُ بعينين غائمتين.

سؤال منطقي؛ كانت الساعة الثالثة صباحًا، وكنت جالسًا في حوض استحمامٍ ساخنٍ قدر احتمالي.

تساءلتُ: "هل أيقظتك؟".

- لا، مددتُ يدي نحوك، لكن لم تكن موجودًا، هل هو الأمر ذاته مثل الأسبوع الماضي؟

- نعم.

تساءلتُ: "أين الألم؟".

- ساقاي، ذراعاي، ظهري، في الواقع كل مكان.

دخلت بِثِ الحَمَّام، وبدأت تنبش في خزانة الأدوية.

قلت: "لقد تناولتُ بالفعل بعض الأدوية، أنتظر فقط أن يبدأ مفعوله".

اقتربت من حوض الاستحمام ذي القدم المخلبية (المصنوع من الحديد الزهر مع طلاء بلون صدأ النحاس) كان البخار المتصاعد من سطح الماء قد ملأ الحَمَّام بضبابٍ ساخنٍ ثقيلٍ.

تساءلت: "أنت لم تتبول في الحوض، أليس كذلك؟".

ضحكتُ: "لا، لماذا؟".

خلعت رداءها، وتركته ينزلق عن كتفيها ويسقط على الأرضية المصنوعة من بلاط القيشاني.

أمسكت بجانب الحوض، وأرجحت ساقاً طويلة وصعدت إليه.

"أف! إنه ساخن" زفرت ببطء من بين أسنانها وهي تسترخي في الماء قبالي: "لا أعرف كيف تتحمّل هذا".

- إلى هذا الحد السيئ وصل الألم.

- أي نوع من الألم هو؟

- أتذكرين آلام غمو العظام؟

- بالتأكيد.

- مثلها، في أقصى حالاتها، وجع عميق.

- أم تراك صرتَ طريقاً وواهنًا مع تقدّمك في السن؟

ابتسمتُ ورفعتُ لها إصبعي الوسطى.

ملتُ بظهري مستنداً إلى طلاء المينا الناعم، وأغلقت عيني. على الرغم من الماء الساخن، كانت ساقي ما زالتا تنبضان بالألم، لقد

تناولت ثلاث حبات من مُسكن الأُدْفِيل، لكنني بدأت أشك في أنني بحاجة إلى شيء أقوى لو استمر الألم.

- أتمنى أن تتحدث مع دكتور ستراند عن هذا.

- سأراه غدًا.

ما لم أقله ليث أنني تحدثت مع د. ستراند عن هذا الألم المتكرر في فحص اللابمثنان منذ عدة أيام، وانزعج بما يكفي لإرسالني للقيام بمجموعة من أشعات الفحص. سأخبرها بما يجري عندما ألقَى خبراً مؤكداً؛ لا جدوى من إزعاجها إذا لم يكن في الأمر شيء.

سألتني: "هل ستمكّن من الذهاب إلى العمل غدًا؟".

- أمل ذلك.

كانت الوكالة قد منحتني إجازة منذ حادثة دنفر، وغدًا أعود إلى العمل لأول مرة منذ كدت أقتل نفسي قبل ستة أسابيع. كانت ضلوعي تلتئم بشكل جيد، وتلاشت الجروح التي أصابني بها الثلج من دون ندبة واحدة.

سألتها: "ما موعد قطارك؟".

السابعة والربع.

كانت ليث ستستقل القطار إلى نيويورك لحضور مؤتمر في علم الاجتماع بجامعة كولومبيا، ستقدم محاضرة عن الجريمة في حي مانهاتن السفلي، الذي أصبح مخيمًا هائلًا للمشردين منذ أن غرق وتلف قبل ثمانية أعوام.

سألتها: "أما زلت عازمة على البقاء طوال أيام المؤتمر؟".

- بلى، أتمنى لو كان بمقدورك المجيء، يمكننا أن نجعله أسبوعًا رائعًا.

انخرطنا في حوارٍ هادئٍ بينما كان الماء يبرد. كان الحديث معِ بث واحدًا من المباحج الصافية القليلة في حياتي. في الحقيقة، عندما طلبت منها الزواج منذ كل هذه السنين، صغْتُ عرضي بطلبٍ يدها كما يلي: "لا يوجد شخص آخر على هذا الكوكب أفضلُ أن أتناول العشاء عشرة آلاف مرة معه".

خَفُّ الألم في ساقَيَّ رويدًا رويدًا.

أخيرًا نهضتِ بث وخرجت من الحوض، متنهدة وهي تنظر إلى هاتفها. سألتها: "ما الخطب؟".

- تجاوزت الساعة الرابعة، ما زال عليّ أن أحزم حقيبتي وأخرج إلى محطة يونيون قبل السادسة، لا جدوى حتى من محاولة العودة للنوم.

قلت: "آسف لأنّي أيقظتك".

لبست رداءها، وربطت الحزام، وعادت إلى الحوض.

انحنى وقبّلتنِي:

- لا تأسف أبدًا.

في الصباح، أنزلتُ أفًا عند المدرسة، وصففتُ السيارة في ساحة بالقرب من محطة مقبرة أرلينجتون، وأخذت الخط الأزرق إلى واشنطن. كان مقر وكالة الحماية الجينية في مركز الدستور، في نفس المكتب الذي كان يؤوي فيما مضى الصندوق الوطني للفنون.

أبرزتُ شارتي للأمن كي أمرٌ وأخذت المصعد إلى جناح مكبتي المدير ونائب المدير، حيث استُدعيت للقاء إدوين روجرز في التاسعة صباحًا.

انتظرتُ خارج حصن سكرتاريته لمدة نصف ساعة، وبعد ذلك خرج إدوين من مكتبه، قائلاً على سبيل التحية: "هل تناولت قهوتك بعد؟".
- نعم، لكن يمكنني دائماً تناول المزيد.

- سرّ معي.

كان رجلاً مهيباً مسيطراً.

طوله نحو 198 سنتيمترًا، رشيّقه له كتفان عريضتان، ويرتدي بدلة رائعة التفصيل.

في الستين من عمره، لكنه ما زال خفيف الحركة كما لو كان شابًا، وكان عليّ أن أسير بسرعة كي ألاحق خطواته الواسعة الواثقة.

أخذنا المصعد هابطين إلى الحديقة المركزية للمبنى ووقفنا في طابور عند كشك القهوة. كان صباحًا لطيفًا بالنسبة إلى هذا الوقت من العام، أواخر نوفمبر، وأبقانا مبنى مركز الدستور ذو العشر طوابق يواجهته الزجاجية الذي طوّق الساحة البالغة مساحتها فدانًا في مأمن من الريح القادمة من نهر بوتوماك وضوء الطريق السريع إلى جنوبنا تمامًا.

أخذنا قهوتينا إلى دكة قريبة.

سألني إدوين: "كيف حال تلك الضلوع المكدومة؟".

- ما زالت واهنة، سأرى طبيبي اليوم بعد الظهر.

رشف إدوين قهوته: "والعلاج النفسي؟ إذا لم يضايقك فضولي...".

- إنه مفيد.

- لا بأس، من المهم التأكد أنك تتعامل مع ما حدث في دنفر،

كان يمكن أن يسير الأمر على نحوٍ أسوأ بكثير.

شربت قهوتي.

- أعلنا مباشرة، سمعتُ صوتًا كطلقة المدفع صادرًا عن طائرة نفثة فائقة تكسر حاجز الصوت في صعودها من مطار ريجان الوطني.
- سألته: "إلى أين وصلنا مع سورين؟".
- وجهنا إليه تهمةً بمحاولة القتل، ورفض القاضي قبول الكفالة، هو ما زال محتجزًا في دنفر.
 - ألا يريد أن يعقد صفقة؟
 - لا يتحدث إلينا حتى.
 - ماذا لدينا ضده؟
 - ليس الكثير؛ كان حاسوبه نظيفًا.
 - أخبرنا بمكان ذلك البيت، واعترف بقيامه بعملية تسليم هناك، أدخلنا في الفخ مباشرة.
 - وبعد أن طلب محاميًا، كان ردك تهديده بتسليم غير قانوني إلى الصين.
 - سيدي، أنا...
 - لوجان، أنا في صفك هنا.
 - ماذا لو زرنا فيه رفاقة وأطلقنا سراحه؟
 - تقصد واحدة من هذه الأشياء النانو التجريبية التي تصنعها وكالة مشاريع البحوث المتطورة الدفاعية؟
 - لمَ لا؟ ونرى إلى أين يذهب.
 - إنها بالفعل مفيدة فقط مع المخبرين المتعاونين، فهي تذوب بعد ثمانية وأربعين ساعة، وهذا أيضًا -كما تعلم- فيه بعض الانتهاك لحقوقه، مرة أخرى.
 - إذن ما سيحدث في المرحلة التالية؟

"هناك جلسة استماع أولية خلال أسبوعين، ستكون تلك لحظة مواجهتنا لعواقب ما فعلنا" ألقى إدوين نظرة على ساعته ونهض، "عليّ أن أذهب إلى كاييتول هيل، أريدك أن تقدم تقريرك لقسم الاستخبارات، هم يعرفون أنك قادم، ستجلس إلى مكتب في قسم المحللين حتى تبرا وتصبح جاهزاً للعمل الميداني".

بينما كنت أراقب إدوين وهو يجتاز الساحة، نادى صوتٌ مألوفٌ اسمي، التفّفتُ لأرى شريكتي، نادين، تتحرك نحوي، وقد انشق وجهها عن ابتسامة.

قالت وهي تجلس إلى جوارِي: "أهلاً يا غريب، كيف حالك؟".

- أفضل، كلّفني المدير بأعمال مكتبية، لذا... أمامي أوقات ممتعة.
- آه، بربك، هذا حلمك؛ أنت تكره العمل الميداني، إنه يجعلك تتقيأ طوال الوقت.

- فعلاً. وأكره أيضاً أن أكون في حظيرة.

ضحكت نادين. "كأنه لا يمكن إسعادك أبداً".

دُرت بحدقتي في عيني.

تساءلت: "هل لديك خطط للغداء؟".

- لا.

- يوجد مكانٌ جديدٌ يقدّم الرامن⁽¹⁾ في الجهة المقابلة من الشارع، على حسابي.

- وما المناسبة؟

(1) الرامن هو طبق ذو شعبية كبيرة في اليابان، وهو عبارة عن نوع من حساء المكرونة، تحضّر في مرق اللحم أو السمك وتكون يطعم صلصة الصويا أو الميسو، كما تضاف إليها شرائح من لحم الخنزير أو الدجاج، أو الطحالب البحرية المجففة، أو البصل الأخضر، أو الذرة.

- لا أعرف، ألا يمكنني أن أبتهج لأنك لم تمت؟

تساءلت: "كم ستبقين في المدينة؟".

"سأخذ القطار إلى مينيابوليس هذا المساء" وهزّت كتفيها: "من الواضح أن شخصًا ما أقام مختبرًا جينيًا في قبو مستشفى نفسي مهجور".

- تبدو مثل افتتاحية فيلم رعب عظيم.

"سامرُ على قسم المحللين لأصبحك قبل الظهر بقليل" نهضت نادين، وقرعت كوب قهوتها بكوبي. "شيء طيب أن يستعيدك المرء من جديد".

وانطلقت عبر الساحة.

جلس د. جيف ستران -طبيب الباطنة الخاص بي- لِمَا يقرب من عقد- أمامي في غرفة الكشف، يدرس نتائج فحصي.

- إذن فقد حصلت على أشعة إكس الخاصة بك مرة أخرى.

"لا بأس" قلت وأنا أربط حزامي. كُنَّا نثرثر لبضع دقائق، لكن كان هذا كل ما استطعت التفكير فيه.

"توجد بعض... الأشياء غير العادية" جذب صورتي أشعة من ملفي ووضعها على الطاولة المبطنة التي كنت متربّعًا عليها. بدت الصورتان متطابقتين بالنسبة إليّ، لمس إحداهما: "هذه صورة لعظام الرسغ والساعد والزند بالذراع اليمنى، الرسغ والساعد، إنها طبيعية".

- هذا جيد، أليس كذلك؟

- هذه لمريض آخر لديّ.

- أوه.

أشار إلى صورة الأشعة الأخرى: "هذه صورة رسغك وساعدك الأيمن".

تنقلت بنظري بين الصورتين.

تساءل: "أترى الاختلاف؟".

- لا في الحقيقة. فقط أخبرني، أهو سرطان؟

- لا، لا شيء هكذا، هل كُسرت لك عظمة من قبل عندما كنت أصغر سنًا؟

- عظمة ترقوتي عندما كنت في الثالثة عشرة.

- وكُسرتَ للتو بعض الضلوع في أكتوبر الماضي في دنفر.

- صحيح.

تناول صورة أشعة أخرى من ملفي: "هذه صورة لضلوعك المكسورة الثقطة في مركز دنفر الطبي. باستثناء الكسور والشروخ، هذه العظام طبيعية" أشار إلى صورة الأشعة الحديثة لذراعي اليمنى: "أما هذه فلا".

- وما المشكلة فيها؟

- ليست مشكلة في حد ذاتها، يوجد مقياس اسمه الدرجة المعيارية، يقيس كثافة المعادن في العظام، أي شيء بين سالب واحد وواحد يكون في النطاق الطبيعي، أما درجتك المعيارية فهي 2.75.

- هل هذه درجة مرتفعة؟

قهقهه وقال: "طوال مسيرتي المهنية، لم أرَ قط عظامًا بهذه الكثافة، يمكن لهذا أن يفسر الألم الجسدي العميق الذي كنت تشعر به إذا كانت تمر بدورة من التكثيف".

- وماذا يمكن أن يسبب ارتفاعاً في كثافة العظام؟
- أشياء سيئة، سرطان البروستاتا المنتشر في الجسم بشدة، داء بادجيت العظمي، التعظم التغلطي، تصخر العظم... إنها قائمة طويلة مرعبة. لكن هنا تكمن المشكلة: أنت لا تعاني من أي من هذه الأمراض.
- هل أنت متأكد؟
- لقد فحصتك بكل شيء يمكن للذكاء الاصطناعي أن يفكر فيه، أنت فيما عدا ذلك بصحة جيدة تمامًا. فقط لديك عظام فائقة الكثافة الآن، أقل ميلًا بكثير إلى الكسور والشروخ.
- شعرت بموجة مفاجئة من الخوف.
- كان قلبي يتلاطم داخل صدري.
- نظرت إلى جيف، رجل ضئيل بلحية كثة وعينين وقورتين.
- سألته: "أي قدر من تاريخي الطبي تتشاركه مع جهة عملي؟".
- أنت وقَّعتَ إعفاءً يسمح لي بإرسال التقارير بعد حادثة دنفر، بهذه الطريقة يعرفون متى يعيدونك إلى الخدمة الفعلية.
- لماذا؟
- هل شاركتهم صور الأشعة تلك ونتائجك؟
- ليس بعد.
- لا تفعل.
- بدا جيف مترددًا.
- سألني: "ما الأمر؟".
- هل يمكنك أن تقوم بتحليل حمض نووي آخر لي؟

- ظننت أن تحليلك في دنفر كان سلبياً بالنسبة إلى التغييرات.

- كان كذلك.

- لماذا لم يُظهر أي تغييرات إذا كان شريطك الوراثي تعرض للتغيير؟

قلت: "هناك العديد من الأسباب، نحن نعرف أن هاتين القنبلتين الثلجيتين كانتا تحتويان على عبوة معدلة للجينات، لعلها استهدفت فقط الخلايا في أعضاء بعينها، أو لعل الناقل الفيروسي بُرمج بآلية تأجيل، تسمح له بالبقاء خاملاً وتعديل شريطي الوراثي لاحقاً".

نهض جيف وقال: "سأرسل عينة من حمضك النووي إلى دورة جديدة من التسلسل الجينومي، وسنقارنها بتحليلك الأخير" وبدأ يعيد صور الأشعة داخل ملفي. ثم قال: "لو كان هناك شيء شاذ، فأنا مُلزم قانوناً بالإبلاغ عن ذلك. بالطبع تعرف هذا، لكنني سأبلغك أولاً".

لعلّي كنتُ مذعوراً فقط، لكن لو كان شريطي الوراثي تغير في دنفر، أردت أن أعرف أي التغييرات الأخرى قد تحدث. آخر ما ينقصني أن تفكر الجي بي إيه في أنني فعلت ذلك بنفسي، أو تُنشر قصة صحفية في النيويورك بوست أو الجارديان ذات عنوان رئيسي فاقع عن ابن ميريام رامزي الموصوم بالعار الذي قُبض عليه بتهمة التعديل الذاتي.

لكن أكثر من كل هذا، لم أرد أن أصبح فأر تجارب لأحدهم.

تكسّرت كتلة هوائية باردة على مترو واشنطن في ساعة الذروة.

بطش من سماوات سوداء ورياح وأمطار، المسمار الأخير يُدق في قلب الخريف.

بينما كنتُ أقود سيارتي مارًا بالمربعات السكنية القليلة نحو بيتي في حي بلومونت في أرلينجتون، هبَّ الهواء مُدوِّمًا أوراق الشجر الميتة، وشعرتُ بتغير الضغط كأنه ملزمة حدّاد تقبض على ضلوعي.

مع وجود يث في مدينة نيويورك، طلبنا أنا وآفا طعامًا من مطعمنا الصيني المفضل.

أوقدتُ نارا.

أول نار في الموسم.

وبينما كان مطر بارد يغمر النوافذ المطلة على الحديقة الخلفية، أحضرت ابنتي لوح الشطرنج المصنوع من خشب الورد وبدأت ترصُ القطع الرخامية، اعتقدتُ أنني ملحتُ شيئًا ما في لغة جسد آفا وثقلًا في عينيها.

سألتني: "كيف كان يومك الأول بعد العودة؟".

- لا بأس، وضعوني على مكتب في قسم الاستخبارات.

- وماذا يفعلون هناك؟

مدّت يديها - بيدق أبيض في إحداهما، وبيدق أسود في الأخرى؛ اخترتُ اليسرى.

الأسود.

ستلعب أولًا.

- يراقبون كل العلماء المعروفين الذين كانوا يشتغلون بعلم الوراثة، يحاولون التنبؤ بمن من بينهم قد يكون راغبًا في خرق القانون.

"وكيف تتنبؤون بذلك؟" سألتني آفا وهي تقوم بحركتها الأولى.

البيدق إلى المربع e4.

- برنامج ذكاء اصطناعي اسمه (ميسنيك).

دفعْتُ بيدق الملك ليقابل بيدقها.

- واو يا بابا.

- ماذا؟

- أنت تعمل لدى الدولة العميقة.

لم تواتني الشجاعة كي أخبرها بما بدأت مؤخرًا فقط أتصالح معه،
لم أكن فقط أعمل لدى الدولة العميقة، بل كنت أنا الدولة العميقة.

حاورنا وناورنا، ودفعنا بأحصنتنا إلى الأمام.

بعد عشر دقائق من الدور، لم يفقد أيُّ منَّا قطعة واحدة.

تساءلت آفا: "هل تحب عملك؟".

- إنه عملٌ شائقٌ.

- لكن هل تحبه؟

- المحظوظون جدًا هم فقط من يسعدهم الحظ بما يكفي لأن
يحبوا...

- هذا ليس ردًا.

لم أستطع إلا أن أبتسم، تشبه جدتها كثيرًا.

قالت آفا: "حسنًا، أُمي تحب عملها".

- نعم، هي واحدة من المحظوظين.

- هل أردتَ أبدًا أن تكون عالمًا مثل أمك؟

أومأتُ برأسي، وقد وجدتُ سؤالها غريبًا؛ نادرًا ما سألت آفا عن
جدتها. بالطبع كانت تعرف من تكون، وما فعلت، لكننا نادرًا ما
تكلمنا عنها.

- كيف كانت؟
- واحدة من أذكي من عاش من البشر.
- لا، كيف كانت؟ لو كانت معنا في هذه الغرفة حالاً...
- جادة أغلب الوقت، دائماً ما كان لينتابك الشعور بأنها تفكر في شيء آخر، وهو ربما ما كان عليه الحال بالفعل، لكن عندما كانت تريد الاندماج، كان هذا لا يتطلب منها جهداً، كان يمكنها أن تصبح مرحلة للغاية في الموقف الملائم.
- أكانت أما جيدة؟
- أعرف أنها كانت تحبني، سأقولها هكذا: لم أكن أهم شيء في حياتها، أرادت أن تتمكّن من صياغة وتعديل الحمض النووي، أن تشفي المريض، أن تحسّن نوعية الحياة البشرية، البيئة، العالم، ولم يكن للمال علاقة بالأمر بالنسبة إليها، ولم تكن تهتم إطلاقاً بشهرتها.
- أكنت ساجها؟
- من الصعب قول ذلك؛ لم تكن لتغدو أبداً الجدة رامي. إن الأشخاص الذين لديهم هذه الأنواع من الطموحات ليسوا مثل بقيتنا، ثمة قسوة فيهم. يعتقدون أنهم يريدون السلام، يعتقدون أن الإنجاز سيجلبه لهم، ولا يفعل ذلك أبداً.
- ما لم أخبرها به كان حقيقتي من دون طلاء، كيف كنت في الحقيقة أشعر حيال ماما؟ كنت أكرهها، وكنت أحبها، وتمنيت لو كانت لي أم أخرى، حتى وأنا أريدها أن تكون هي، وكنت لأقتل من أجلها.
- قلت: «أنت لم تسألني قط في الحقيقة أسئلة شخصية عن أمي من قبل...».
- حرّز فرّز أي كارثة عالمية ندرسها في تاريخ العالم الحديث؟

في أوقاتٍ مثل هذه كنت أشعر بالامتنان لامتلاكنا بُعد النظر كي نعطي ابتنا اسم عائلة أمها: ويليامز، يكفي ما في النمو من مشاكل حتى لا نضيف إليها مشكلة أن تكون حفيدة لمصممة أكبر حادث قتلٍ جماعي عرضي في التاريخ البشري.

- هل عرف أي....

- فقط معلمتي تعرف، أعطتني رؤوس موضوعات سنتكلم عنها.

تلقيت تنبيهاً بأن طعامنا وصل.

خرجت من البيت وتناولته من المقعد الأمامي لمركبة التوصيل الخاوية ذات القيادة الذاتية. عندما عدتُ إلى الداخل، رأيت أن فيل آفا يهدد حصان وزيرتي. خلال وقتٍ قصيرٍ، إذا لم أنتبه، سيؤدي هذا إلى خسارتي الدور.

وضعت أكياس الطعام على طاولة القهوة بينما الرائحة الحلوة الحريفة لدجاج مطعم جنرال تسو ولحمه بالبرتقال تنتشر في غرفة المعيشة.

تطلعت آفا من فوق لوح الشطرنج وتساءلت: "هل أتيت بلحم حقيقي؟".

- لقد تهوَّرت وأنفقت ببذخ.

إبتسامتها جعلت الزيادة 300 في المائة تستحق كل قرش.

عدت للعب.

ما كانت تفعله آفا -أو تحاول أن تفعله- هو خداعي كي أصد ذلك التهديد ببندق. لو سقطتُ في ذلك الفخ، ستدفع بوزيرها بعد حركتين إلى ذلك المربع الحديث الإخلاء، d3، ومن هناك سيكون أمامها ثلاث عشرة حركة (بفرض أنني لم أسد الطريق أمام بيدقها وحصان

ملكها، وسبع عشرة حركة إن لم أفعل) ثم تقول «كش مات». لكنني لو ضحيت بحصان وزيرني واستخدمت هذه الحركة لدفع بيدقي إلى المربع b5، سيتحوّل اتجاه الدور. كان وزيرني وحصاني موجودين بالفعل في جانبها من اللوح، ورغم أني لم أستطع بعد أن أرى معالم تهديد لملكها بكش مات، فإني بالقطع سأقوم بشق طريق بين قطعها. كان أمرًا غريبًا بشدة أن أرى هذه الحركات الكثيرة مقدمًا، ففي العادة كنت أتمكن من تقدير حركتين أو ثلاث بأقصى حدّ. وهكذا دفعتُ بيدقي إلى الأمام، وبعد إحدى عشرة حركة، خنفتُ ملكها في المربع f8 بواسطة طابيتي ووزيرني.

ذهلت آفا بقدر ما ذهلتُ.

الغريب أن هذا الدور لم يبدُ مثل أي من أدوارنا في الذاكرة القريبة. لم أعتقد أنها تركتني أفوز، لكنها لم تكن بالقطع آفا التي اعتدت اللعب معها، تساءلتُ لو أن حكاية جدتها أبعدت تركيزها عن اللعب. مدّت آفا يدها من فوق لوح الشطرنج وصافحتني وقالت: «أكنتَ تتدرب طوال الفترة الماضية؟».

ابتسمتُ: «لا، ألا يمكنني أن أكون محظوظًا في بعض الأحيان؟».

- لم يبدُ ذلك حظًا.

نهضت، وسارت نحو أكياس الطعام.

قلت: "مرحى..".

التفتت إليّ.

- أنا آسف.

- علام؟

مكتبة

t.me/soramnqraa

اخترتُ كلماتي بحرص: "على أن إرث عائلي يؤثّر فيك. أتمنى لو كان بمقدوري أن أقول لك إن الأمر يهون مع الوقت".

- أكانت شخصًا شريرًا؟

- لا، يوجد القليل جدًا من الأشخاص الشريرين بالفعل في العالم، كانت فقط... ذات عيوب عميقة.

- لا أعرف ماذا أعتقد حول كوني حفيدتها، حول معرفتي أن جزءًا منها يوجد فيّ، فتاي لا يعرف ذلك حتى، أشعر كأني أكذب على الناس.

لم أعرف ماذا أقول ردًا على ذلك، فقط انكسر قلبي لرؤية الأم الناتج عن أفعال أُمّي يتجلى في النهاية داخل ابنتي.

قلت: "هذه أمور شاقة، وإذا شعرت يومًا برغبتك في الحديث عن الأمر لشخص ما... شخص ليس أنا ولا أمك... فقط قل لي ما بداخلك".

دخلتُ الفراش في الساعة التاسعة، والنافذة مواربة بما يكفي كي يمكنني سماع صوت المطر.

فتحتُ الكتاب الذي كنت أقرأه هذا الأسبوع: رواية كازو إيشيجورو (لا تدعني أرحل أبدًا). قبل دنفر، كان هناك عمود من اثني عشر كتابًا على طاولة الفراش، تشكّل هدايا عيد ميلادي والكريسماس طوال السنين القليلة الماضية. لطالما كان في نيتي قراءتها، لكن عادةً في نهاية اليوم، كان كل ما لديّ من طاقة وتركيز يكفيان فقط لمشاهدة حلقة أو اثنتين من أي هراء يشد انتباهي إلى درجة معقولة.

ربما السبب وجودي في البيت لمدة شهر من دون ضغط العمل، لكنني وجدت في نفسي زادًا فائضًا حديث الاكتشاف من التركيز والفضول.

طوال الأسبوعين الماضيين، وجدتُ أني -حتى عندما أشاهد التليفزيون- أنجذب إلى الأفلام الوثائقية والقصص الحقيقية، وأصبحت القراءة متعتي من جديد. لم يكن هناك شيء ليعدل الإحساس بتقليب أصابعي للصفحات في الصمت، وكنت أيضًا أتذكر كتبًا سابقة قرأتها. مقاطع محددة من النثر.

حتى ما شعرت به وقت قراءتي لها.

أنهيتُ الكتاب بعد قليل من منتصف الليل، وأغلقتَه وشعلة صغيرة من الشعور بالإنجاز تتوهج داخلي. في الأسبوعين الأخيرين، قرأت الاثني عشر كتابًا كلها.. تلك التي كانت تذبذب على طاولة فراشي.

لم أكن قادرًا على تلك الدرجة الكبيرة من التركيز والانتباه.. حسنًا.. من قبل أبدًا. ثمة شيء مختلف. وعندما أغلقت عيني، همس صوت هادئ من أبعد ركن في عقلي: ليس شيئًا، بل أنت المختلف.

كانت عيادة طبييتي النفسية في جورجيتاون، ولا أعرف إن كان القصد خلق مساحة هادئة مريحة، لكن كل شيء تقريبًا في الغرفة -السجاد، الأثاث، الستائر، الأعمال الفنية- كان بدرجة ما من اللون الرمادي.

اسمها إيمي، وكانت تلك جلستنا الثالثة، وشعرتُ بالفعل أننا نفترق من نهاية الأشياء التي يمكننا أن نتحدث عنها فيما يتعلق بما حدث في دنفر. كنت مضطرًا إلى متابعة الحديث أكثر، وكثيرًا ما أقول في عشرين كلمة ما كان يحتاج فقط إلى عشر كلمات، فاعلًا ما بوسعي لأملاً الخمسين دقيقة.

لكن كان هناك شيء مختلف اليوم.

من بداية جلستنا، كان واضحًا أن إيمي تحاول توجيه الحوار بطريقة لم تفعلها من قبل.

ظننت تدور حول فكرة أن الصدمات الجديدة تعيد فتح الجروح القديمة.

وأخيرًا قالت: "أظن أن لدي تساؤلًا فقط حول إن كانت الحادثة في دنفر أعادت أي مشاعر بالخوف من المرة الأخيرة التي جُرحت فيها، أو أي أحداث أخرى في حياتك".

قلت في عقلي: وها هي ذا، ربما ظننت إيمي فروم، الحاصلة على الدكتوراه، أنها تقترب من الأمر بحيلة وحذر، لكن في نظري كانت تحمل لوحة إعلانات مضيئة تفضحها تمامًا.

لوحة مكتب عليها: أنا أحاول أن أجعلك تتكلم عن أمك.

أظن أن سؤالني المفتوح الوحيد كان حول إن كانت تعتقد حقًا أننا بحاجة إلى الحديث عن أمي كي أواجه ما حدث في دنفر أم أن فضولها غلبها، وأني ببساطة علبة شيكولاتة نفسية لا تقاوم لم تستطع أن تمنع نفسها من فتحها.

قلت: "ليس حقًا..".

- أفهم أنك قضيت بعض الوقت في السجن.

- ثلاث سنوات، من سن السابعة والعشرين إلى التاسعة والعشرين.

- لا بُدَّ أن الأمر كان صعبًا.

- كنت في سجن متوسط الحراسة، دخلت شجارين فقط خلال هذه الفترة، لم تضايقني أي من العصابات، ونلت بعض الفائدة من الأمر؛ قابلت زوجتي هناك.

- في السجن؟

- بث بروفيسورة في علم الجريمة. في ذلك الوقت، كانت تقوم
ببحث في سجنني، تواصلت، التقينا، تعلقنا ببعضنا، بدأنا
نلتقي مرة في الأسبوع. استمر هذا لبضعة شهور حتى رحلت
لتستلم وظيفة في الجامعة الأمريكية. عندما أطلق سراحني،
طلبْتُ موعدًا للخروج معها، كان هذا منذ خمسة عشر عامًا،
تكتمل الشهر القادم.

- موعد أول طيب.

- إلى أقصى حد.

- كيف كان شعورك بالحرية بعد كل ذلك الوقت؟

كانت قد بدأت تزعجني..

- طيب.

- طيب فقط؟

- تمكّن الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية من تأمين عفو لي؛
أحسّ كثيرٌ من الناس في المجتمع القانوني أنني أعاقب على
جرائم والدي.

- كيف كان شعورك؟

- سعيد بالخروج.

- لماذا؟

يا إلهي!

- لأن عدم وجودك في السجن أمتع بكثير من وجودك في السجن.

- يبدو أن أسئلتني تزعجك اليوم.

- إطلاقاً.

- ربما يمكنك محاولة أن تكون صادقاً معي يا لوجان.

- ملتٌ بظهري في مقعدي: "لا بأس، أنا منزعج".

- لماذا؟

- أنا واثق أنك معالجة جيدة جداً، لكنني لا أعرفك، لم أختَر أن

أكون هنا. وقد مررت بكل هذه الأشياء منذ سنين، لم أعانِ

من نوبات ذعر خلال وقت طويل.

- هل اعتدت أن تعاني منها بانتظام؟

- نعم. انظري، أول جلستين كانتا جيدتين...

- هذا ثناء كبير.

- ... لكن ما يصلني منك اليوم يبدو أقرب لفضولٍ مَرَضِي.

والآن جاء دور إيمي كي تنزعج: "أتساءل إن كان يمكنك أن تحاول

افتراض حسن النية فيّ؛ أنا هنا فقط كي أساعدك، أنا في صفك تماماً".

- تعتقدين أنني ما زلت في حاجة إلى المساعدة؟

- أعتقد.

- لا بأس إذن.

- متأكد؟

- أومأت برأسي.

- سألتني: "كيف ترى نفسك؟".

- ألسنا جميعاً أبطال قصصنا؟

- ابتسمت: "في لعبة علم النفس، هذا ما نسميه انحرافاً كلاسيكياً".

تنهدت: "أتريدين أن نتحدث عن الشعور بالذنب الآن؟".

- أما زلت تشعر بالذنب؟

نظرتُ إلى الصورة الفوتوغرافية أعلى مكتبها - بحيرة جبلية يخيم الضباب على سطحها. صورة بالأبيض والأسود، طبعًا. كان هناك سطر من الكتابة أسفل الصورة: لا بأس أن تكون أنت في هذه اللحظة. طبعًا.

قلت: "أحاول ألا أفكر في ذلك..".

- كم كان عمرك عندما بدأت العمل في مختبر أمك؟

- اثنان وعشرون.

- وكيف تصف علاقتك بها في ذلك الوقت؟

- كانت إلهاً! أبرز عالمة بيولوجيا خلوية في العالم، كانت قد حققت بالفعل مليار دولار من (ذي ستوري أوف يو)؛ شركتها المختصة بفحص النّسب والوراثة، وحققت امتيازاتها من (سايت) أرباحًا أكبر.

- يمكنني قراءة صفحتها على ويكيبيديا، كيف كان شعورك حيالها؟

- كنت أتطلع إليها، أردت أن أسعدها، كانت كل ما لديّ من أهل.

- ماذا حدث للآخرين؟

- مات أخي التوأم، ماكس، عندما كنّا في الثالثة عشرة.

- أنا آسفة جدًّا، هذه خسارة هائلة يا لوجان. هل يمكنني أن أسألك كيف؟

- سرطان الدم. كان لديه المخ الأكبر بيننا، وكان المفضل لأمي. مات أبي بعد ذلك بقليل، وسافرت أختي الأكبر، كارا، إلى ما وراء البحار في الجيش.

- يبدو أنها نجت بنفسها.

- أنا لا أقول إنها لم تكن أختًا جيدة، لكن كارا تعتني فقط بكارا، لذا كنّا بالفعل أنا وماما فقط.

- "هل أنت وكارا قريبان اليوم؟"

- ليس بالفعل، هي تعيش في مونتانا، نتحدث بضع مرات في السنة، أتمنى لو كنّا أقرب من ذلك.

- كيف ترى دورك فيما حدث في الصين؟

شعرت بصدري يضيق كما يفعل دائماً عندما تعود أفكارى إلى ذلك الصيف.

- كنّا نحاول أن نفعل شيئاً طيباً.

كان مختبر أمي الأساسي في مدينة شينزين، وكانت هناك آفة ورقية بكتيرية أصابت محصول الأرز في منطقة قريبة اسمها زاوشينج. أرادت أمي أن تدخل بشكلٍ جيّني فيروسًا في الجراد بحيث تتمكن هذه الحشرات الحاملة من عدوى حقول الأرز بالفيروس، الذي استطعنا برمجته كي يدعم مقاومة النباتات للآفة دون تغيير النبات بطريقة أخرى.

هناك جانب يتعلق بهندسة البذور جيّنيًا في المختبر وطلب مقابل فادح لها. لم يكن هذا مما يهم أمي. كانت نحاول شيئًا أكثر طموحًا بكثير؛ أن ترسل الحشرات مباشرة إلى الحقول كي تعدل المحاصيل على الطبيعة في الوقت المناسب. تجاوزت التطبيقات المحتملة آفة أرز زاوشينج، إلى كل محاصيل سلة الغذاء العالمية.

بنينا عدة صوبات حيوية وأطلقنا محصولنا من جراد البامبو المعدّل وراثيًا ذي العمود الفقري الأصفر على نباتات اختبار مصابة داخل منشأة العزل؛ أفلح الأمر. لم تكن هناك أي حالات إصابة بداء الاخضرار أو التيبس البُني، نجت النباتات.

تساءلت إيمي: "هل كنت منخرطًا في التجارب عن قرب؟".

- كنت أساعد حيثما أستطيع، لكنني كنت قد أنهيت للتو دراستي الجامعية. كنت هناك لأقضي الصيف. ظننت أنني عضو في الفريق، لكنني أعرف أنهم جميعًا كانوا يرونني ظلًا تابعًا موجودًا هناك فقط لأنني ابن ميريام رامزي.

شعرتُ بوجعٍ في مؤخرة حلقِي، لقد مرّت سنين منذ تكلمت بصراحة عمّا حدث.

- كانت مرحلة الصوبة ناجحة، بدت البيانات عظيمة. حظينا بدعم مجلس السلامة البيولوجية الصيني، لذا أطلقنا جرادنا الحامل للفيروس في حقول زاوشينج.

أخذت نفّسًا متأنّيًا.

- كان يومًا مثاليًا صحوًا، وكانت الجبال تلتمع في الشمس، وكانت حقول الأرز المغمورة بهذا اللون الأخضر الزمردي المحبب. علقْتُ حقيبة قماشية كبيرة على كتفي. فعلنا ذلك جميعًا، حللت حقيبتِي، وفتحتها. ما زلت أذكر وخزة الزهو وأنا أشاهد سحابة جرادنا المعدل تطير بعيدًا، كأني بي أقول: انظروا إليّ وأنا أغير العالم.

كانت النتائج الأولية إيجابية، لكن بعد ذلك بدأت نظم التحكم الفيروسية تطور طفرات بمعدل متسارع، بالإضافة إلى تشجيع النباتات

ضد الآفة، بدأت تطيح بالجينات الضرورية لإنتاج البذور. حاولنا أن نحتوي الأمر، لكن...

قالت: "كان الفيروس قد تعمم..".

- نعم.

كانت ميريام قد هندست الفيروس كي يستهدف فقط هذه السلالة المحددة من الأرز، لكنه طوّر طريقة انتقال عابرة للنوع، زادتها سوءًا دورات جديدة من الطفرة والانتخاب الفيروسيين، أصابت واستهدفت أنواعًا أخرى من المحاصيل الغذائية. خلال عام، بدأ الجراد الحامل للفيروس يتكاثر أضعافًا مضاعفة.

قلت: "ماتت أمي قرب الوقت الذي بدأت فيه التأثيرات تُحس لأول مرة في الغرب الأوسط الأمريكي".

- حادثة السيارة؟

أومات برأسي: لكن حادثة؟ ليس تمامًا. لقد قادت ميريام سيارتها خارج الطريق السريع رقم 1، بين بلدة جينر وتجمّع سي رانش في كاليفورنيا، حيث يمتد الطريق إلى أعلى ارتفاعاته فوق البحر.

خلال السنوات السبع التالية، قلّ حصاد كل موسم أكثر وأكثر، وقبل إبادة الجراد أخيرًا، كان مخزون الصين الاستراتيجي من الحبوب قد استنفد بشكلٍ خطير.

امتدت المجاعة إلى جميع القارات وأثرت في كل إنسان بطريقة أو بأخرى. عندما تمحو ملايين الأفدنة من المحاصيل، يغيّر ذلك أماكن سقوط المطر. عندما تدمر حقول الأرز، تدمر كل شيء يحتاج إليها كي يعيش.

جاع مائتا مليون إنسان حتى الموت، لكن ذلك الرقم لا يقترب من الأثر الكلي للفوضى التي أطلقناها من عقالها؛ التأثير الكاسح

على الاقتصاد ونظم الرعاية الصحية والأنواع كلها والمحيط الحيوي ذاته كان تأثيراً أكبر من أن يُحصى.

- بالأمس أخبرتني ابنتي أنها تدرس المجاعة في المدرسة. و...
إمم...

- لا بأس.

تركت دموعي تسقط.

- فقط هذا كثير، أتعرفين؟

- إنه كثير.

- لقد اعتدت ألا أبالي بما يعتقده بقية العالم في، لكن...

- أنا واثقة أن ابنتك تراك أباً رائعاً كما هي حقيقتك.

ناولتني علبة مناديل ورقية.

- لوجان، عندما أنظر إليك، أرى رجلاً ما زال قاسياً جداً جداً على نفسه.

انفلت شيء ما بداخلي، كانت تلمس جرحاً لن يلتئم أبداً، كنت قد أحطته بما يساوي عقدين من نسيج الندوب.

تساقطت ذرات الثلج من السماء الفاحمة، وكانت الريح التي هبّت من قناة واشنطن قوية وباردة إلى حدٍّ يثير الألم ويُدْمع الأعين. دخلتُ الشرقية⁽¹⁾ المربعة وتطلعتُ بإمعان في العمود البالغ ارتفاعه ثلاثين قدماً على المنصة الجرانيتية.

(1) في الهندسة المعمارية، الشرقية هي تجويف نصف دائري تعلوه نصف قبة، في كثير من الأحيان يقع على واجهة المبنى. اعتمدت الشرقية من قبل الرومان، واستخدمت بكثرة في الحقب التاريخية المتعاقبة.

ورغم أنني أحفظه عن ظهر قلب، قرأت النقش المحفور في الصخر:

في ذكرى هؤلاء الذين فقدوا أرواحهم
في الوطن والخارج خلال المجاعة الكبرى
لن ننسى أبدًا

رسميًا، كانت تُدعى أيضًا مجاعة شينزين.

وبشكلٍ غير رسمي، كانت مجاعة رامزي.

جلستُ على الدكة الجرائيتية إلى جوار العمود. آتي إلى هنا عدة مرات في العام، عادةً في الطريق إلى البيت من العمل، عندما أعرف أن الطقس سيئ بما يكفي لإبعاد السياح.

كان الوقت غسقًا الآن والسماء تُسقط ما يكفي من الثلج الشديد لتحويل المشهد الجانبي العملاق لمبنى البنتاجون الجديد إلى كتلة متراصة مشؤومة بلا ملامح.

أخمدت العاصفة صوت أبواق السيارات المتفجرة ساعة الذروة.

اقترب وقع أقدام.

التفتُ ورأيت هيكلاً يقترب، اختفى وجهه وراء الياقة المرفوعة لمعطفٍ صوفي عُنابي.

اللعة، أعرف ذلك المعطف.

اقتربت نادين وجلست إلى جانبي.

قلت: "تتبعينني.. واو!".

هزّت كتفيها: "رأيتك تتجه إلى هذا الطريق عندما غادرت العمل"
وبعد ذلك: "أعرف أنك تأتي إلى هنا أحيانًا".

- ماذا تريدان يا نادين؟

- "بدوت منزعجًا في وقت سابق اليوم.

- حضرت جلسة علاجي النفسي الأخيرة هذا الصباح.

- ألم تسر على نحو طيب؟

- ربما أطيّب مما يجب.

لم تسألني قطّ بشكلٍ مباشر عن ماضي. فيما بيننا، كان هناك
فقط ذلك التفاهم الهادئ. أنا أعرف. وأنا هنا.

قالت: "ليس علينا أن نتكلم. أحزنني فقط أن أفكر فيك جالسًا
وحدك تمامًا هنا، والثلج يتساقط عليك".

راقبتُ التيار الثابت من طائرات توصيل الطلبات من دون طيار
وهي تحلق عبر الماء إلى أرلينجتون والإسكندرية.

سألتها: "لماذا قبلتِ هذه الوظيفة؟".

- أحب المسدسات.

نظرتُ إليها. ابتسمتُ.

- أنا أمزح. كان إنشاء السياسات عملاً أثريًا أكثر مما يجب،
أردتُ أن أفعل شيئًا حقيقيًا، أتفهم؟ إنه الفارق بين تصميم
بيت وبنائه.

- أكره هذه الوظيفة.

- أعلم ذلك.

- لكنني أعتقد أنني سأكره عدم قيامي بها أكثر.

قالت نادين: "أحيانًا أحبها. في اللحظات التي يبدو فيها أننا نُحسّن العالم. أتمنى فقط لو تأتي هذه اللحظات بوتيرة أكبر".

جلسنا في البرد، نراقب الأضواء وهي تومض على الجهة المقابلة من القناة. أوشكت أن أحكي لها ما ارتبْتُ في أنه يحدث لي - كل التغيرات الصغيرة التي تغدو أكثر استحالة من إيجاد تفسير منطقي لها. لكنني أردت أن أرى نتائج تحليل الشريط الوراثي الجديد أولًا، ولم تكن مطالبها بإبقاء الأمر سرًّا عن الجي بي إيه وضعًا أشعر بالارتياح لو وضعتها فيه.

سألتني: "أدعوك إلى شراب؟".

- ربما ينبغي لي أن أعود إلى البيت.

نهضت نادين، وأعادت ربط الوشاح الذي تراخى حول عنقها.

قالت: "لو كانت الوظيفة تجعلك تعيشًا، اتركها" تطلَّعتُ إليها، كان الثلج يكسو شعرها. "أفهم أن لديك كَفَّارة تريد أن تسددها عن شيء قديم، لكنك سددت ديونك".

وبعد هذا، دَسَّت يديها في جيوبها ورحلت.

تلك الليلة، بعد العشاء، هزمتُ آفا في ثلاثة أدوار من الشطرنج. ولا واحد منها كُنَّا حتى قريبين، وتطلَّب الأخير اثنتي عشرة حركة فقط كي أقضي على ملكها.

"ماذا يحدث هنا بحق الجحيم فعلاً؟" هكذا تساءلت وهي تُسقط ملكها عندما رأت النهاية المحتومة. "أكنت تتساهل معي كل هذا الوقت يا بابا؟".

ضحكتُ. "لا".

- كيف صرتَ بكل هذه القوة هكذا فجأة؟

"ماذا يحدث؟" تساءلتِ بِث من فوق الأريكة.

"دمرني بابا لل.. "أحصت آفًا الخسارات في رأسها. "... الدور التاسع على التوالي".

قالت بِث: "شيء يدعو إلى الإعجاب..".

قالت آفًا، وهي تحدّق إلى بارتياپ: "شيء مستحيل..".

كانت الذكريات تعاودني من جديد، وليس فقط ذكريات كل كتاب قرأته، لحظات عشوائية غير ذات أهمية، أحداث محورية شكّلت حياتي.

منذ شهر.

منذ عقد.

من طفولتي.

كان إحساسًا غريبًا. كأن شخصًا ما يكنس الزوايا المظلمة في عقلي، يزيل أنسجة العنكبوت، يصلح الوصلات المهترئة.

لو حاولت أن أتذكر شيئًا، أجديني قادرًا على رؤيته بوضوح ويقين لم أعرفهما من قبل.

مات ماكس منذ واحد وثلاثين عامًا، واستطعت أن أسمع صوته في رأسي لأول مرة بعد سنوات، استطعت أن أستحضر وجهه، أبقية ثابتًا في عين عقلي، أدرس شكل أنفه، كل عيب، كل نقطة غمش.

كنت قد التقطت كومة من الكتب الجديدة في المكتبة المركزية بشارع كوينسي في طريق عودتي إلى البيت من العمل.

الكتاب الذي كنت أشعر بأكبر لهفة لفتحه كان: (جودل، إيشر، باخ: جديلة ذهبية أبدية) للكاتب دوجلاس هوفشتادتر. حاولت أن أقرأه مرتين من قبل، مرة في الكلية، ومرة في السجن. في المرة الثانية، وصلت إلى نصفه، ثم وضعته جانبًا ذات مساء، ولم أمسسه مرة أخرى قط. هو كتاب عن نظرية الأعداد، والشفرات، والمفارقات، والنظم ذات المرجعية الذاتية، ولم يفشل قط في جعلني أشعر أنني غير مؤهل بما يكفي، مع اصطدام مفاهيم هوفشتادتر الصلبة بحدود ذكائي في كل صفحة تقريبًا، لتؤكد تعويذة الذات المهزومة: أنا محاكاة باهتة لعقل أُمي.

أنهت بث غسل أسنانها وصعدت إلى الفراش.

سألني: "ماذا تقرأ؟".

أريتها السفر الضخم الذي تقترب صفحاته من الألف.

كنت بالفعل في صفحة 150.

سألني: "أيضايقك لو فتحت التليفزيون؟".

- إطلاقًا.

عدتُ إلى القراءة. كان حجم خط الطباعة ميكروسكوبيًا، وأذكر أنه كان عاملاً حاسمًا في هجري للكتاب في محاولتي الأولى.

لكنه لم يضايقني الليلة.

ولا مقاطعات بث العَرَضِية أو الأصوات الصادرة عن التليفزيون، التي كانت كفيلة بإخراج تركيزي عن مساره تمامًا في الماضي. في الواقع، كان بمقدوري أن أشرح بتفصيل شبه كامل أحداث الحلقة التي كانت

بِثْ تشاهدها وألخص الصفحات الـ 224 التي قرأتها الآن بالفعل من كتاب جودل وإيشر وباخ.

بعد فترة، لاحظت أن زوجتي لم تُعد تشاهد التلفزيون. شعرت بعينيها عليّ.

سألتني: "هل تستوعب فعلًا أيًا من هذا؟".

- لماذا؟

- أنت تقلّب صفحة تقريبًا كل ثلاثين ثانية.

طوال الأسابيع القليلة الماضية خضع فعل القراءة لتحول مُزلزل بالنسبة إليّ؛ لم أعد أستهلك كل جملة بالترتيب المتتالي، بل أستوعب الصفحة ككل، تاركًا إياها تنطبع في ذهني.

قلت: "أنا فقط أجرب هذا التدريب الجديد على القراءة السريعة..".

- وهل يُفلح؟

- يبدو ذلك.

تفحصتني للحظة لكنها لم تواصل المناقشة.

فقط عادت لمشاهدة مسلسها.

أنهيت الكتاب في الساعة الرابعة صباحًا.

ألمتني عيناوي.

تسأبت أفكارِي، لكن ليس من وفرة الأفكار التي ضمّها كتاب جودل وإيشر وباخ.

ما بدأ في وقتٍ أسبق من هذا الشهر كبضع أيام من الشعور
بالمزيد من حدة الذهن وصفائه أصبح أشد وأكثر حتمية مع كل
يوم يمر.

قبل أن أشارك قلقي هذا مع بث، أو أي إنسان، كنت بحاجة إلى
نتائج تحليلي الجينومي الجديد.

كنت بحاجة إلى فهم ما كان يحدث لي.

في اليوم التالي، كنت جالسًا في مقصورة عملي المؤقتة - في تلك
الزاوية من الطابق الرابع لمبنى مركز الدستور - أغذي بيانات عالم
وراثة سابق (ميستيك)؛ محرك الذكاء الاصطناعي التنبؤي.

من خلال شاشة العرض الشفافة، كنت أدخل وقتها البيانات
الأساسية: السن، العرق، النوع الاجتماعي.

كانت عملية إدخال بيانات غبية ذات بُعدٍ مشؤوم من التجاوز
الحكومي.

يتعامل ميستيك مع ملايين البيانات، وكلما زادت المعلومات التي
تقدمها لخوارزميات الذكاء الاصطناعي ذاتية التعلم، زادت دقة
تنبؤاتها.

إن المدى الواسع من حرية الحركة الذي أتاحه قانون الحماية
الجينية جعل من حق وكالة الحماية الجينية قانونًا أن تستخدم
معلومات تسجيل الاقتراع الخاصة بالناس، وتسجيلات مكالماتهم
الهاتفية، وتتبع نظم وكاميرات المراقبة، والمنشورات، وتاريخ السفر،
واستثمارات التعداد، ووثائق التأمينات الاجتماعية، وعائدات الضرائب،
وكل نقرة إصبع على لوح كتابة يقومون بها، كل هذا في نطاق ما
مُت صياغته باسم (غذجة الإجرام التنبؤية).

وكل هذا من دون أمر تفتيش أو حتى سبب.

سمح لنا هذا بوضع تصنيفات بيانية مثل شريحة الدخل وعبء الديون وعدد الأطفال والانتماء السياسي وسجل التصويت ومستوى الرصيد ومجموعة من المؤشرات المالية الأخرى.

وعندما يصل الأمر إلى توفير بيانات شخصية إضافية، كنّا تحت رحمة حضور الشخص في وسائل التواصل الاجتماعي وتاريخ البحث في الإنترنت.

العالم الموجود أمامي حاليًا كان رجلًا اسمه كليفورد جونسون، حاصل على درجة الدكتوراه.

قبل قانون الحماية الجينية، كان د. جونسون يعمل عالم أبحاث لدى شركة تحاول صناعة قلوب بشرية من قناديل بحر صناعية. بعد بحث أولي على الإنترنت، وجدت أنه كان يعمل حاليًا مدرسًا للأحياء في مدرسة ثانوية، لم يكن هذا بالأمر غير الشائع. كثير من العلماء الذين كانوا منخرطين في الأبحاث البحثية أُجبروا على التحول إلى التدريس، وفي نظام المدارس العامة، جرى تحديث كل كتب العلوم لتعكس موقف الحكومة الجديد من التعديل الجيني: غير قانوني، خطير، وعلى خلاف مع القانون الطبيعي.

كانت صفحة جونسون على (ميتا) صفحة عامة، وبينما كنت أتصفح منشوراته طوال الخمسة أعوام الماضية، بدأت تتشكّل صورة الرجل التي أصبح عليها بعد إجباره على الخروج من مهنته المختارة. كان يقضي مزيدًا من الوقت مع أسرته.

يعمل أقل.

يمارس المزيد من التدريبات الرياضية.

كانت هناك فترة من البحث عن الذات بعد انهيار شركته القديمة، ومن الخارج على الأقل، بدا أنه حقق أقصى استفادة من هذه الفترة.

عندما بدأت أدخل انطباعاتي عن كليفورد جونسون بناءً على مراجعة لوسائل التواصل الاجتماعي -آخر بيان خوارزمي- رنْ هاتفي.

بِث تتصل. مكتبة .. سُر مَن قرأ

لمست سماعة الأذن.

- أهلاً حُبِّي.

سألتني: "ماذا تفعل؟".

- إدخال بيانات.

- يبدو مثيراً.

تابعتُ الطبع: انطباعات ظاهرية واضحة بالرضا عن حياته. لا يوجد تعبير عن مشاعر معادية للحكومة (علناً على الأقل).

- نعم، فقط لا أستطيع أن أصدق أنني مضطر إلى عمل هذا كي أكسب رزقي، ما الأمر؟

- خذني إلى (لا فلور) الليلة.

سألتها: "وما المناسبة؟" الأكل خارج البيت، خاصة في مطعم فاخر، صار فعلاً باهظاً في عالمنا ما بعد المجاعة.

رغم أن تاريخ العمل السابق لد. جونسون كان في القطاع التجاري، يبدو أنه تكيف جدياً مع عمله الجديد في نظام المدارس العامة.

قالت: "لا توجد مناسبة، أفتقدك فقط، أشعر كأننا لم نتواصل فعلياً منذ فترة".

هل لاحظت بث بعض التغيرات التي أمرُ بها؟

بنظرة سريعة على الأقل، لا يثير حضوره على وسائل التواصل الاجتماعي أي إشارات خطر.

سألته: "الساعة السابعة مناسبة؟".

- ممتازة.

ومضت رسالة قادمة من ميستيك على شاشة عرض البيانات الخاصة بي: نوصي بعدم اتخاذ أي إجراء أو تحقيق آخر حاليًا. قلت: "سأقوم بالحجز..".

بينما كنت أنني المكاملة، حدثت إلى مربع النص في شاشة عرض البيانات، الذي كنت أملاه عندما اتصلت بث. أدركت شيئًا غريبًا.

لقد تابعت إدخال تقييمي لحضور كليفورد جونسون على وسائل التواصل الاجتماعي طوال محادثتي مع بث.

لم يتحوّل أي من النشاطين -التحدث إلى زوجتي أو العمل مع ميستيك- إلى نظام الطيار الآلي.

في لحظتها، كنت منخرطًا تمامًا في كل مهمة من المهمتين - في نفس الوقت. عندما أعدت قراءة ما كتبته عن جونسون، لم تكن هناك أي أخطاء مطبعية. ورغم أنها لم تكن طبعًا قطعة لتولستوي، فإنها كانت فقرة من الكتابة ذات منطق جيد. شيء غريب قطعًا.

أمن الممكن أن الفيروس الذي تعرضت له يجعلني أفضل؟

وأين ذهب تقرير ستراند؟

اللعة على هذا، سأذهب إلى عيادته خلال الغداء.

اهتزَّ هاتفِي.

عندما قلبته على وجهه، رأيت رسالة نصية من رقم لم أتعرف عليه.
قرأت:

هم يعرفون أنك تتغير.

شعرتُ برجفة خوف باردة، وانفصلت عن أطر شاشة عرض
البيانات الخاصة بي، وكتبْتُ ردًّا:

من المرسل؟

جاءت الإجابة على الفور:

عليك أن تغادر المبنى الآن.

تسارع نبضي.

نهضت عن مقعدي قليلًا بما يكفي لاستراق النظر من فوق حاجز
مقصوري.

كان قسم المحللين طابقًا مفتوحًا من المقصورات التي يمكن أن
تكون منطقة عمل جماعي لأي شركة.

في هذه اللحظة، لم يكن هناك أي شيء غير عادي.

صوت نقر الأصابع على لوحات المفاتيح.

موسيقى مكتومة تناسب عبر سماعات الأذن.

بضع محادثات هادئة.

ظهر رجلان في المدخل على الجانب الآخر البعيد من القاعة، لم
أميزهما، لكن هذه لم تكن بالضرورة إشارة خطر؛ لدى وكالة الحماية
الجينية أربعمئة موظف في المبنى، وأنا لا أعرف إلا قسمًا من...
لا.

ثمة شيء خاطئ.

لم يكونا محللين عائدين من الغداء، كانا يتحدثان مع امرأة اسمها رونًا تدير المجموعة التي تعمل على مستيك، وكان أمرًا بسيطًا، من المستحيل بالنسبة إليّ أن أقرأه بيقينٍ مطلقٍ من هذه المسافة، لكن لغة جسديهما أظهرت نوعية لم أرها قط في قسم المحللين.

طاقة مخزونة.

هذان رجلان معتادان على الأعمال البدنية.

على العنف.

ضربت كرة مدمرة من الأدرينالين جهازني العصبي.

عدت للجلوس في مقعدي.

كان الرجلان قادمين في اتجاهي الآن، سترتاهاما الرخيستان السوداوان مفتوحتان، وحتى من مبعدة خمسين قدمًا، استطعت أن أرى ما كانا يحملان.

ولم يكن معي شيء.

وكان عليّ أن أتخذ قرارًا.

الآن.

انزلقت من فوق مقعدي، وخطوت خارجًا من مقصوري إلى أحد الممرات التي تقطع طرقًا من حظيرة العمل إلى الآخر، وابتعدت عن الرجلين بخطوة متمهّلة لموظف حكومي يقوم برحلة مستحقة تمامًا إلى المقصف.

فقط عندما وصلت الطرف الآخر من القاعة غامرت بالنظر إلى الورا.

كان هذان الرجلان في مقصوري الآن، وكان أحدهما يقلّب في أشيائي.

التقت أعيننا.

كان قصيراً وعريضاً، لكن بدا قادراً على الحركة السريعة.

بينما كان يقول شيئاً ما لزميله، غادرت القاعة وانطلقت أعدو عبر أحد الممرات.

مررت بكوة تنز بماكينات بيع.

مقصف.

حمّامات.

خلفي، صاح أحدهم: "لوجان!".

لم أتوقف.

لم أنظر ورائي.

خرجت من باب يؤدي إلى سلّم وطرط هابطاً الدرجات.

كنت دائماً أستقل المصعد في الجانب الآخر من القاعة ولم أسلك هذا الطريق من قبل قط، لكنني افترضت أن السلم ينتهي إلى البهو. وهذه مشكلة.

كان مركز الدستور مبنى حكومياً آمناً يتطلب دخوله أوراق اعتماد والمرور من كاشف معادن، ورغم أن موظفي الأمن يواجهون الخارج، كان البهو هو المخرج الوحيد من المبنى. وتوجد كاميرات في كل مكان.

عندما تجاوزت بسطة الطابق الثالث، سمعت باب الطابق الرابع يفتح بصوت مدوّ ووقع أقدام شخصين يدغان الدرجات هابطين، تتردد أصداً خطواتهما منعكسة من الجدران الخرسانية.

عند البسطة التالية، فتحت الباب وتسللت إلى الطابق الثاني، تاركًا الباب ينغلق خلفي بلا صوت.

جريت عبر ممر لم أراه من قبل، لن يكون هناك مخبأ في هذا المكان. كل باب مررت به كان موصدًا ويتطلب تصريحًا أمنيًا إلكترونيًا للدخول، أعتقد أن أغلب خوادم الميستيك محفوظة هنا.

انعطفت في زاوية أخرى، وأمامي مباشرة، توهجت علامة الخروج فوق باب، جريت نحوها بقوة أكبر مما جريته طوال حياتي، على أمل ألا تؤدي بي فقط إلى العودة إلى البهو.

اجتزت الباب بقوة، ونظرت خلفي.

كانت القاعة ما زالت خالية.

اندفعت هابطًا السلم، وأنا أفتش عن الهاتف في جيوبي، لكنني كنت قد تركته في مقصوري. انتهت الدرجات عند باب مزخرف بلافتة حمراء:

مخرج طوارئ فقط. سترن صفارات الإنذار.

دفعته بكتفي.

صرخت صفارات الإنذار، وخفقت الأنوار.

كنت في الخارج، كان شارع دي ستريت ساوث ويست أمامي مباشرة، وما إن خطوت خطوتي الأولى، حتى انزلق شيء ما على رأسي. أظلم كل شيء.

ارتفعت ساقي عن الأرض.

وبعد ذلك ارتطم ظهري بالأرض الخرسانية بشدة حتى إني شعرت بالهواء يغادر رئتي وصرت ألّهث، محاولًا بيأس أن أمرق الغطاء

المغمي عن وجهي، لكنّ أحدهم منعني، وطوّق ذراعيّ خلف ظهري بينما كانت قيود بلاستيكية تغوص في رسغيّ.

ثم نهضت من جديد، وثمرّة أشخاص عتاة إلى جانبيّ يقبضون على ذراعيّ من الأكتاف، ويرفعونني سائرين بسرعة وأطراف حذائي تحتك بالرصيف.

صرخت، صحت طالبًا النجدة.

كانت خيوط النهار ظاهرة بالكاد عبر الأجزاء البالية من غطاء الوجه.

إلى الأمام مباشرة، سمعت صوت باب ينزلق مفتوحًا.

ألقي بي على أرضية معدنية.

انزلق الباب منغلّقًا، وتدرجْتُ على ظهري بقوة التسارع بينما كان صوت ذكوري قوي يقول: "أمسكنا به... نعم... خرج من مخرج الحريق الشمالي الغربي... تمام... أمامنا عشرون دقيقة".

ثم ثبتتني شخصان على الأرضية ورفعوا غطاء الوجه بما يكفي فقط لكشف جانب من عنقي.

شعرت بلسعة إبرة.

4

عندما انفتحت عيناى مرة أخرى، كنت ممدداً على حشية صلبة.
اعتدلت فى جلستى ببطء.

شعرت برأسى أكبر وأثقل من حقيقتها، كأنها قد تتدحرج من
فوق رقبتى.

تجلى إدوين روجرز فى بؤرة رؤيتى.

كان واقفاً على مبعدة خمسة عشر قدماً، وتساءلت لكم من
الوقت كان هناك، يراقبنى فى نومى.

ألقى ساقى من فوق الفراش ونهضت.

غير متوازن.

شعرت بهرارة فى فمى.

ترنحت متجهاً إلى إدوين، وأنا أخوض ضباباً ذهنياً ثقيلاً.

بعد بضع خطوات، توقفت.

نظرت حولي.

بدأت للتوّ أستوعب محيطي.

كنت داخل حجرة مُثَمَّنة الأضلاع، عرضها اثنا عشر قدمًا، بها جدران ارتفاعها عشرة أقدام من الزجاج.

كان هناك مكتب وفراش ومرحاض وحوض.

على الناحية الأخرى من الزجاج، رأيت محطة بيانات وصفًا من المعدات الطبية.

نظرت إلى إدوين: "ما هذا بحق اللعنة؟".

لم يقل شيئًا.

ذهبتُ إلى المكتب وحاولت أن أرفع المقعد لألقي به نحو الزجاج.

كان مثبتًا في الأرضية الخرسانية.

أنى صوت إدوين غير مكبّر صوت في السقف: "زجاج مضاد للرصاص".

كان يتحرك نحوي الآن، ممسكًا لوحًا حاسوبيًا.

عندئذٍ كنّا واقفين على مبعده ثلاثة أقدام، لا يفصل بيننا إلا زجاج زنزانتي. بدا هادئًا، كالعادة، لكن جفونه السفلية كانت مشدودة في تعبير مصغرٍ لِمَا كنت أعرفه أحيانًا بالخوف.

مني؟ تساءلت. أيضًا... كيف لاحظت هذه التفصيلة الضئيلة؟

كان يرتدي بنطالًا من الجينز وسترة زرقاء مضادة للرياح والمطر تحمل شارة جي بي إيه.

سار نحو مكتب في الجهة الخارجية من المعزل وجلس، كان يواجه المكتب الموجود بالداخل - ذلك المثبت في الأرضية.

أشار إليّ كي أجلس.

انزلت في المقعد المواجه له.

سألته: "لماذا أنا هنا؟".

- من أجل سلامة الجميع.

- بربك. سأتعاون، لست بحاجة إلى حبسي.

لم يقل شيئاً.

- أين أنا؟

فتح لوحه الحاسوبي.

- هل هذا موقع أسود⁽¹⁾ تابع للجبي بي إيه؟"

ولا من مجيب.

- لكم من الوقت تنوي...

«لوجان، لقد خضعت لمقدار رهيب من التغير الجيني في فترة قصيرة من الوقت، يمكن أن تكون هناك تأثيرات جانبية خطيرة، سنراقب تطوراتك. نحن بحاجة إلى فهم ما ستصبح عليه» نظر إلى اللوح الحاسوبي من جديد: «هل تعرف ماذا يفعل كبت جين PDE4B؟»

- عليك اللعنة!

(1) في المصطلحات العسكرية، الموقع الأسود هو المكان الذي ينفذ فيه مشروع أسود غير معترف به. يمكن أن يشير أيضًا إلى المرافق التي تسيطر عليها وكالة المخابرات المركزية، والتي تستخدمها الحكومة الأمريكية في حربها على الإرهاب لاحتجاز المقاتلين غير الشرعيين أو غير القانونيين.

التوى طرف فم إدوين من الانزعاج.

قال: "لماذا لم تخبرنا بأنك..."

- لأنكم كنتم ستفعلون ما فعلتم بالضبط، تبالغون في رد الفعل. أردت الدليل كي أدافع عن نفسي، أردت أن أعرف إن كنت أنغيّر وكيف.

- وهل تعرف؟

هززت رأسي.

- أتود أن تعرف؟ لأن أمامي كل شيء هنا.

«نعم.»

- بعد ذلك أجب سؤالي، ماذا يفعل كبت جين PDE4B؟

كيف ينبغي لي أن أعرف؟ لكن بينما كنت أفكر في السؤال، تذكرت قراءة مقال منذ ثمانية أعوام في مجلة ساينتيفيك أميركان، نوقش فيه جين PDE4B في سياق العلاجات الجينية للمرض العقلي.

قلت: «إنه مرتبط بالقلق المنخفض والقدرة العالية على حل المشكلات. حسنًا، على الأقل لدى الفئران.»

- صحيح، لقد جرى كبته فيك. ماذا لو أخبرتك أن منظومتك من عامل النمو شبيه الأنسولين قد تغيّرت بأكملها وأن جينك GRIN2B حدث له طفرة؟

منذ أربعة أعوام (وستة أشهر وأحد عشر يومًا للدقة... كيف عرفت ذلك؟) قرأت نبذة مختصرة عن منظومة عامل النمو شبيه الأنسولين. في الواقع، كان بمقدوري رؤية صورة كاملة لها في عين عقلي.

قلت: "التعلم الفائق والذاكرة..."

- أتعرف هذا فقط عفو الخاطر من دون تفكير؟

- أذكر أني قرأت عن ذلك.

- جين FOXP2؟

هزرت رأسي، لم أسمع قط بذلك الجين من قبل.

- إنه مرتبط بجعل ما يتعلق باستجابة التحفيز التعليمي أسرع.

وماذا عن NLGN3؟

قلت: "تعزيز التعلم وقدرات التعلم المكاني".

- GluK4؟

- انخفاض خطر الاضطراب ثنائي القطب وزيادة الوظيفة المعرفية.

تطلع إدوين إليّ: "إن معرفتك، وذاكرتك، وتركيزك، وتعرفك على الأنماط - كل هذا كان هدفًا للتحسين، هل شعرت بزيادة في هذه المناطق؟".

- نعم.

- منذ متى؟

- طوال الأسابيع الثلاثة الماضية.

- هل تدرك كم أن هذا مذهل؟

للحظة، لم أستطع الكلام. لقد ارتبت أن شيئًا فعل بي، لكن سماع تأكيد بذلك حبس أنفاسي.

تساءل إدوين: «لماذا جعلت دكتور ستراند يُجري تحليلًا آخر لشريطك الوراثي؟».

رائع، لقد اعترضوا تحليلي الجديد قبل أن يتمكن طبيبي حتى من إخباري بالنتائج، لا بد أنهم كانوا يراقبونني من كثب بعد دنفر.

أخيراً قلت: «قلت لك، أردت الدليل لنفسي. ولأني ارتببت أن يكون جيني LRP5 قد تعرّض للتنظيم بالزيادة، أو ربما للتعديل» في سياق علم الوراثة، كان التنظيم بالزيادة يعني أن الجين قد زاد من تأثيره أو تعبيره، أما التنظيم بالنقص فيعني العكس. لو كان لديك جين OPN1MW، يمكنك أن ترى الألوان، ولو نُظِم بالنقص، فأنت مصاب بعمى الألوان.

تساءل إدوين: «LRP5 هو زيادة كثافة العظام؟».

أومات براسي.

- متى بدأت ترتاب؟
- بعد خمسة أسابيع من دنفر، بدأت أعاني ألمًا عميقًا في جسدي كله.
- لماذا أخفيت ذلك عني؟
- مرة أخرى، لم أكن أخفيه. لم أكن واثقًا مما يحدث، لذلك طلبت من دكتور ستراند...
- كان يمكننا أن نُجري تحليلًا جديدًا، أنت تعمل لدى وكالة الحماية الجينية، بحق المسيح!
- أردت أن أعرف إن كان هذا مجرد أثر جانبي غريب للفيروس أم شيئًا أسوأ قبل أن أثير ذعر جهة عملي. أردت أن آتي إليك بمعلومة، وليس تخمينًا. حتى إنني لم أخبر بـث بعد.
- سأقرأ عليك قائمة أهداف بالجينات الأخرى التي استهدفت بالنقص أو بالزيادة. في أغلب الحالات، تعرضت لطفرة ذات أشكال متعددة غير معروفة من قبل. في حالات قليلة، جرى تعديل تسلسلات دنا قصيرة جديدة، من المحتمل لتحسين وظائفها.

- أيجاد المزيد؟

- أوه، نعم.

انحنيت إلى الأمام.

- SOST.

قلت: "مقاومة فقدان العظام".

- MSTN.

- عضلات هزيلة أو كبيرة.

- SCN9A، FAAH-OUT، NTRKI، هل تعرف أيًا منها؟

هزئت رأسي.

«إنها مرتبطة بتحمل أعلى للألم»، تابع: «HSD17B13. هذا يتعلق بتقليل خطر أمراض الكبد المزمنة. CCR5.

- مقاومة الإيدز؟

- نعم. PCSK9، HEXA، CFTR، PKU، HBB، IL23R، FUT2.

ANGPTL3، NPC1، IFIH1=MDA5، SLC30A8، GH، GHR.

قلت: "بترتيب قراءتك لها... مقاومة النوروفيروس، متلازمة كرون والتهاب القولون التقرحي، الملاريا، الأوكراتوكسينات، السل، داء الشريان التاجي، السرطان، الأنماط الأربعة التالية من داء السكري الأول والثاني، الإيبولا، وأعتقد أن الأخير يعزز صحة القلب والدهون".

- واو! طيب. هذه الأسماء القليلة التالية غريبة نوعًا ما.

EGLN1، EPAS1، MTHFR، EPOR.

- قرأت مقالًا عن ذلك النظام الجيني منذ بضع سنوات، عادة ما يوجد لدى أهل التبت. صحيح؟

- هذا صحيح. هي تدعم الحياة ووظائف الجسد في الارتفاعات العالية. ADRB1 ,NPSRI ,BHLE41=DEC2.
- لا أعرف هؤلاء.
- تقلل متطلبات نومك. NEU1 ,NGF ,APP ,APOE ,NGFR.

كنت أعرف هذه الجينات، قرأت مقالاً عنها في مجلة ناتشر جينيتيكس خلال رحلة طيران إلى مينيابوليس، منذ سبعة أعوام. قلت: "تقلل مخاطر الألزهايمر".

- CTNNB1.
- لا أعرف هذا.
- مقاومة الإشعاع. TP53 ,CDKN2A.
- قلت: "تقلل مخاطر السرطان...".

- TERT.
- ألا يتصل هذا بالشيخوخة؟
- هو كذلك، الطفرات في هذا الجين يمكنها أن تقتل أو تبطئ عمل أنزيم التيلوميراز، بما يسمح لهذا الأنزيم أن يصبح بالغ القصر مع انقسام الخلايا. كما لعلك تعرف...
- يُعتقد أن التيلوميراز المقصّر هو السبب الأساسي للانهيـار المرتبط بالسن في خلايانا.

قال: "بالضبط. لذا فهو جين آخر مضاد للشيخوخة. لو لم أعرف أكثر من ذلك، لقلت إن أحدهم كان يحاول أن يحولك إلى سوبرمان. وهذه القائمة هي مجرد الأليات أو أشكال الجينات التي لدينا بعض المعرفة بها".

- أحدثت تغيرات أكثر في شريطي الوراثي؟

- آلاف. نقوم برسم خريطة للإحالات المتقاطعة قدر ما نستطيع، لكنها مهمة كبيرة، وكثير من النظم الجينية المصابة وكيفية تفاعلها أحدها مع الآخر ومع جسدك أمور مجهولة، هناك حتى تغيرات في الدنا الخردة لديك، وهي تغيرات بعيدة عن فهمنا.

حتى في عالم ما بعد سايث، ما كان يتحدث عنه إدوين أمر مستحيل. أنجح المختبرات السوداء التي أغلقناها ربما تمكنت من التلاعب بحفنة من الجينات بنجاح، أما هذه فهي تركيبة كاملة من التغيرات تتجاوز أي شيء قابلته أو حتى سمعت به. ورغم أن هناك ما يقرب من خمسة وعشرين ألف جين معروف، فإن تنويع تفاعلاتها تقترب من اللا نهائية. وفيما وراء الجينات المعروفة، يحتوي شريطنا الوراثي مناطق تحكم كثيرة وما يُسمى بالدنا الخردة، وهي ليست خردة على الإطلاق لكنها شبكة جماعية من النظم المتأقلمة ذاتيًا، تطورت تحت الضغط الانتقائي للوجود لأكثر من ثلاثة مليارات عام، وقد أتت كإضافة إلى نظام من التعقيد الذي لا يمكن تخيله، نظام أي تغير فيه -وليس آلافًا- يمكن أن يعبر عن نفسه بعشرات الطرق التي لا يمكن التنبؤ بها.

سألته: "هل تعرف أسرتي أي هنا؟".

- يعرفون أنك محتجَز تحت الاشتباه بالتعديل الذاتي.

- أريد أن أتكلم إلى بـث.

- هذا ليس ممكنًا الآن.

- لم أفعل هذا بنفسِي يا إدوين.

- إذن من فعل؟

- لا أعرف. هنريك سورين؟ من ابتكر ما دخلناه في دنفر أياً كان.
- لم تُظهر أي تغيّرات جينية بعد دنفر على الفور. أجرينا تحليلاً.
- لو كانت لديّ المعرفة والمعدات اللازمة لتغيير حمضي النووي، لماذا أ جعل عيادة طبيبي تُجري تحليلاً في مختبر خاضع لرقابة شديدة؟ لماذا أقوم بهذه المجازفة الغبية العبثية إلا إذا لم يكن باستطاعتي أن أفعلها بنفسني؟ دعنا نتبع الحقائق، وليس مطاردات الساحرات المريحة، لقد خضعت بالفعل للمحاكمة في واحدة من هذه المطاردات. نحن نعرف أن أحدهم أصابني بعبوة مصمّمة لتغيير حمضي النووي، وافترضنا -في خطأ كبير- أنها لم تعمل، لكن من الواضح أنها كانت عبوة نائمة، تظل خاملة لأول شهر أو نحو ذلك.
- هل هذا ممكن حتى؟
- أقصد... هل أي من هذا ممكن؟ هل تفهم مستوى التمكن والإتقان اللازم لتحقيق ذلك؟
- أطفاً إدوين لوحه الحاسوبي، كان ينظر إليّ كأن هناك شيئاً آخر يريد أن يقوله.
- انتظرت كي أسمع ماذا يكون.
- بدلاً من ذلك، نهض وخرج من القاعة عبر باب بجوار المحطة.
- ارتعشت يداي، سال خيط من العرق المثلج على عمودي الفقري، أغلقت عينيّ وحاولت أن أتنفّس فقط.
- كنت أنغيّر إلى شيء غير معروف.
- اختطفني رئيسي في العمل ويحتجزني في موقع أسود بمعزل عن العالم الخارجي، وأخبر عائلتي بما لا يعرفه أحد من هراء لعين.

ولقد أوضح لنا سايث أن حتى أبسط التغيرات الجينية تحمل معها عواقب غير مقصودة وغير قابلة للتنبؤ بها. احتمالية -بل وأرجحية- الأضرار الجينية الجانبية، التي قد تطيح -خيراً أو شراً- بالهدف الأصلي لعمل الجين، الذي شكّلته الطبيعة بعناية طوال دهور.

أياً يكن من فعل هذا بي فهو كان يعيد صياغة البرمجة الطبيعية ويستولي على التطور ذاته، كانت تلك لعبة خطيرة. كانت لدى شريطي الوراثي، في السراء والضراء، المعلومات المشفرة لينظم ذاته ويصارع الأمراض ويتعامل مع السموم والتهديدات البيئية والأخطاء بسرعة، مرة أخرى، بهدف أساسي هو بقاء الأنواع.

نفس التعديلات الجينية والمدخلات التي تُحسّن فطنتي، وربما حتى طول عمري، قد قلب أيضاً التوازن الكلي الهش لشريطي الوراثي، وحياتي.

لكن لم تكن تلك حتى أكثر الأفكار المرعبة بشكل وجودي. عندما اكتشف واطسون وكريك وفرانكلين هيكل الحلزون المزدوج للحمض النووي في بدايات الخمسينيات من القرن العشرين، غير ذلك ما اعتقده العلماء حول تحديد الأنواع. في عام 1980، أشار نايلز إيلدريدج وجويل كراكرافت إلى أن الأنواع الحيوانية -بتعريف علم الوراثة العرقي- يمكن أن يكون لديها حمض نووي يختلف بمقدار اثنين في المائة فقط ويمكن تصنيفها كأنواع منفصلة.

ماذا لو تغير اثنان في المائة من شريطي الوراثي؟ هل يجعلني هذا أتحوّل إلى نوع جديد تماماً؟

بعد ساعتين، سمعت المزلاج في باب زنزانتني ينزلق متراجعاً.

دخلت امرأة، موجهة نحوي صاعقًا كهربيًا، وخلفها رجل يسير في أعقابها، كان ضخمًا وأعزل. طوله قرابة 195 سم. منحوتًا من الجرانيت. حارسان.

شرعتُ في النهوض من الفراش، لكن الرجل الوحش قال: "ابق فقط حيث أنت".

وقفنا إلى جانبي الباب المفتوح، وبعد ذلك ظهر إدوين، تبعته امرأة أكبر سنًا طيبة الوجه ذكّرتني بجديتي لأبي.

نظرتُ إلى إدوين: "ما هذا؟".

- أريد أن أسألك بعض الأسئلة.

- فلتسأل.

- أود أن أعرف إذا كنت تقول الصدق. أقدم لك هانا جلال.

جلب الرجل الوحش مقعدًا إضافيًا، وضعه بجوار المكتب، وبعد ذلك أشار إليّ كي أجلس.

جلست هانا إلى المكتب ووضعت لوحًا حاسوبيًا، مجسّاته التي لا تُعد ولا تحصى موجهة نحو وجهي. ميزتُ الجهاز على الفور، واحد من أجهزة كشف الكذب من الجيل التالي.

في زمن الأجهزة التناظرية، كانت أجهزة كشف الكذب تربط أنابيب مطاطية تُدعى مخططات التنفس حول صدر المشتبه به لتعطي قياسًا منتظمًا لمعدلات التنفس، وكانت أساور قياس الضغط تُثبّت إلى الذراعين، وتُلحق بالأصابع صفائح تُدعى الجلفانومترات لقياس قدرة الجلد على توصيل الكهرباء.

أما هذا اللوح الحاسوبي فيقوم بكل هذا من دون الحاجة لتوصيلات مستخدمًا برنامجًا للتصوير البصري عبر الجلد يستخرج مقاييس آنية لضغط الدم ومعدل النبض واكتشاف التعرّق ومعدل

التنفس واتساع القزحية بناء على اختراق الضوء المحيط للطبقة الخارجية من الجلد.

عرفت من خبرتي في تطبيق القانون أن اختبارات كشف الكذب لا تكشف الأكاذيب في الحقيقة، بل تكشف مشاعر الذنب، التي يمر بها أغلب الناس حين يكذبون، والتي تثبتها التآرجحات الدراماتيكية في المقاييس التي صُمم اللوح الحاسوبي لمواجهة لي لتعقبها.

أصرتُ هانا أن يغادر الجميع، ثم أخبرتني بالقليل عن نفسها وكيف وصلت إلى وظيفتها. حكيثُ لها القليل عني، رغم أني كنت واثقًا أن أيًا مما كشفته لها لم يكن بالمعلومة الجديدة عليها.

سألت عن حياتي، سألت كيف كان شعوري حيال وجودي في هذه الزنزانة الزجاجة.

قلت: "متوتر وخائف..".

- أنا متأكدة.

مثل أفضل اختصاصي كشف الكذب الذين عملت معهم، أظهرت شعورًا بالرغبة في أن أنجح، بكونها في صفي، وبتصديق أفضل ما في.

بالطبع كانت تسجل مقاييسي بالفعل، وتتلقّى قراءات أساسية، وتجمع تقييماً أولياً لردود أفعالي، كيف أتعامل مع الأسئلة.

أخيراً قالت هانا: "لوجان، إذا لم يكن لديك مانع، أود أن أبدأ الفحص".

- مستعد عندما تكونين مستعدة.

- تذكّر، الإجابة بنعم أو لا فقط، من فضلك.

استطعت أن أرى انعكاس شاشة اللوح الحاسوبي في الزجاج خلفها.

لمسّت الشاشة، وهو ما اعتبرته بدءًا للاختبار، وبعد ذلك قلبت ورقة ورفعت قلمًا رصاصًا.

مكتبة

t.me/soramnqraa

- هل اسمك لوجان رامزي؟

- نعم.

وضعت علامة صح على السؤال الأول.

- هل تعيش في أرلينجتون، فيرجينيا؟

- نعم.

علامة أخرى.

- هل كنت غير صادق مع أي أحد من قبل؟

- نعم.

- هل ستكون غير صادق معي خلال هذه المقابلة؟

- لا.

وضعت علامة على سؤالها وتفحصت اللوح.

- هل سبق وأن غيّرت شريطك الوراثي؟

- لا.

- هل لاحظت أي تغييرات في جسدك منذ إصابتك في دنفر؟

- نعم.

- هل لاحظت أي تغييرات في ذهنك منذ إصابتك في دنفر؟

- نعم.

- هل أخبرت أي شخص بهذه التغيرات؟

- لا.

- هل أخبرت زوجتك؟
- لا.
- هل أخبرت ابنتك؟
- لا.
- هل أخبرت أختك، كارا؟
- لا.
- هل أخبرت أيًا من أصدقائك؟
- لا.
- هل أرسل إليك أحدهم رسالة نصية بالأمس تقول (هم يعرفون أنك تتغير)؟
- نعم.
- هل تعرف هوية هذا الشخص؟
- لا.
- هل أنت ابن ميريام رامزي؟
- نعم.
- أما زالت أمك حية؟
- لا.
- هل تعمل معها؟
- ماذا؟ "لا".
- هل غيّرت ميريام رامزي شريطك الوراثة؟
- لا.

- هل تعرف من غير شريطك الوراثة؟

- لا.

لأول مرة خلال الاستجواب، نظرت إليّ بدلاً من الورقة أو لوحها الحاسوبي.

- هل تكذب عليّ الآن يا لوجان؟

- لا.

- هل تتحكّم في تنفّسك الآن يا لوجان؟

- لا.

- هل تتحكّم في معدل نبض قلبك؟

- لا.

- هل تتحكّم في ضغط دمك؟

- لا.

لمست هانا شاشة لوحها مرة أخرى. وقالت: "هذا كل شيء.."
وانفتح باب الزنزانة.

انتظر إدوين في المدخل بينما كانت هانا تجمع أشياءها.

قال لها: "سأنتظر تقريرك...".

- قبل نهاية اليوم.

دخل إدوين الزنزانة واتخذ مجلسه إلى المكتب، لاحظت أنه ارتدى سماعة أذن.

نظر إلى الرجل الوحش والمرأة القابضة على الصاعق الكهربائي:
"انتظرا في الخارج".

بعد أن أغلقا الباب الزجاجي، قلت: "لماذا تسألني عن أمي؟".

- لأنها حية.

- اللعنة عليك.

أخرج هاتفه ووضعه على الطاولة.

- منذ عام، اقتحمت بيتي وأرسلت إليّ مقطع فيديو لها وهي واقفة في مطبخي، ممسكة بكأس نبيذ.

ضغطتُ على زر التشغيل، لو كان هذا الفيديو بتقنية التزييف العميق، فيجب أن أقول إنه مصنوع بتمكّنٍ واقتدارٍ.

كان شعر ميريام قد غدا فضيًّا، وأجرت العديد من التغييرات التجميلية (ربما لخداع أجهزة التعرف على الوجه) وصار وجهها هزيلًا وارتسمت عليه خطوطٌ لتجاعيد أكثر من آخر مرة رأيتها فيها، لكنها كانت أمي بلا شك، كنت لأعرف هاتين العينين -السوداوين والعميقتين على نحوٍ مخيفٍ- في أي مكان.

أصابني الدوار.

وبعد ذلك تحدثتُ: "الجي بي إيه ونظيراتها الأجنبية يدمرن البحث والاكتشاف العلميين" صوَّتها. لا شك في ذهني. "إذا لم تصدر قوانين بتغييرات دائمة للسياسات، من ضمنها السماح للجامعات والمشروعات الخاصة بالعودة إلى البحث الجيني المسؤول، سأتعامل مع الأمور بنفسِي، سأطلق محركًا جينيًّا فيروسيًّا".

عندما استعاد إدوين هاتفه قال: "رفعنا البصمة من فوق كأس النبيذ واختبرنا الحمض النووي من الشعر الذي تركته وراءها عن عمدٍ، لا شك أنها هي".

غامت رؤيتي.

ضاق صدري، وتحدَّرت يداي.

سألني إدوين: "هل أنت بخير؟ يقولون لي إن نبض قلبك يحلق عاليًا".

كنت أرتعش من الغضب.

- أتفهم انزعاجك.

- لماذا لم تخبرني؟

- لأنني لم أكن أعرف إن كنت تعمل معها، لم أعرف إن كانت

ستحاول التواصل معك. وضعت هواتفك تحت التنصت،

وزرعت أجهزة في بيتك، كنت تحت المراقبة لنحو عشرة أشهر.

أردت أن أقفز من فوق الطاولة وأتمكّن منه، كنت واثقًا أنه

سيموت قبل أن يدخل الحارسان المحبس.

صحت: "كيف لم تخبرني؟".

همّ الحارسان بالتحرك نحو المحبس، لكن إدوين أشار إليهما كي

يبتعدا.

لقد حزنت عليها، لقد تعاملت مع موتها كما يجدر التعامل مع

مثل هذه الأمور.

ابتلعت جرعة من الهواء غُصصت بها، وأنا مدّمّر تمامًا.

قال إدوين: "بعد ذلك بقليل، أرسلت إليّ رسالة مشفرة بطلباتها.

أجبتها سائلًا أي الأنواع ستستهدفها بمحركها الجيني".

- البشر.

- برافو.

- بأي نوع من التغيرات؟

- لم تكن محددة. أسمته فقط تحسینًا خطیرًا، كما وعدت بإعطائي برهانًا على قدراتها.

كنت أنا البرهان. بالطبع، لم أستطع أن أعرف هذا بالتأكيد، لكنني عرفت.

كان بمقدوري الشعور بتطور مشاعري من صدمة رؤيتي أمي إلى الرعب مما كانت تهدد به.

المحرك الجيني هو أقوى أداة هندسة جينية جرى تصويرها. بشكل عادي، عندما يولد طفل، يحصل على نسخة لكل جين من الوالدين كليهما، ونسخة واحدة من كل جين هي التي قد ينتهي بها الحال لتغدو هي السائدة من كل زوج. لكن لو تمكنت من إدخال نظام استهداف محرك الجينات في أحد الوالدين، يمكنك أن تقلب هذه القوانين الطبيعية للوراثة. إن آلية التعديل الجيني CRISPR-Cas9، أو سايث، أو أيًا كانت- تُمرر من الوالد المستهدف إلى الحمض النووي للطفل، ومعها تعليمات تعيد في صميت صياغة نسخة الوالد الآخر من الجين المستهدف مع نمو الجنين. لنقل إن الأم لديها عينان بُنيّتان، والأب عيناه زرقاوان، مع محرك الجينات، يمكنك أن تطمس جينات الأم بالنسبة إلى لون العين في الجنين، وتضمن بذلك أن طفلهما ستكون له عينان زرقاوان. لكن المفاجأة الحقيقية أن الطفل سيمرر النظام المستهدف إلى أطفاله بدوره؛ سيكون لدى كل أطفاله الآن أعين زرقاء أيضًا، وهكذا.

خلال أجيال قليلة، سيسود محرك الجينات التجمع البشري كله، وستنمحي النسخة الطبيعية غير المعدلة من الجين تمامًا، سيكون لدى كل البشر أعين زرقاء.

يمكن استخدام المحرك الجيني في خير عظيم. قبل مجاعة رامزي، استُخدم محرك جيني لجعل كل نسل بعوضة المالاريا من الذكور،

وبما أن أنثى البعوض من جنس الأنوفيليس هي القادرة على نقل المالاريا البشرية، قضى هذا على انتشار ذلك المرض، وفي النهاية قضى على نوع البعوض.

يمكن استخدام المحركات الجينية أيضًا لتحدث ضررًا وخيمًا، لأنها لا تغير فقط التركيب الجيني لشخص أو نبات أو حيوان واحد، بل تملك القدرة على تغيير المسار التطوري لنوع كامل.

قلت: «لو كنت تراقبني، فأنت تعرف أنني لم أتصل بها إطلاقًا، إذن لماذا أنا هنا؟ أنا لا أعمل مع أمي، لم أكن أعرف أنها حية حتى خمس دقائق مضت، وأنتم تختبرونني كل بضعة سنوات. لا يمكن أن تفكروا أنني غبي بما يكفي لتغيير شريطي الوراثي بنفسني».

- أنا أصدقك في الواقع يا لوجان، لكنك تتغير، ولا نعرف ما أنت بسبيلك لتصبح عليه.

ذُكرتني الليلة الأولى في محبسي بليلتي الأولى في السجن، تنغلق أبواب الزنازين معًا، صوت إطفاء المصابيح الكبيرة في المنطقة المشتركة، انطباق الصمت والظلمة من حولي وأنا أواجه واقع أن حياتي انتهت، أن هذه الجدران هي بيتي لثلاثين عامًا قادمة.

تمددت على الحشية وحدقت عاليًا إلى السقف الزجاجي.

أمي حية.

لديّ أفكار وأسئلة كثيرة جدًا تدوّم في رأسي الذي صار من الصعب أن يهدأ.

أين كانت؟

ماذا كانت تفعل طوال العشرين عامًا الماضية؟

لماذا لم تتواصل معي؟

هل أنشأت هذا التحسين، الذي يتجاوز بسنوات ضوئية أعقد ما تخيله أحدٌ في الهندسة الوراثية؟

وإذا كان ما أخبرني به إدوين صحيحًا، ماذا يعني حتى "تحسينًا خطيرًا" للشريط الوراثي البشري؟ من حيث الحجم، كانت أُمِّي أكثر شخص طموح عرفته في حياتي. لكن رغم ذلك هي لم تكن بالتأكيد مجنونة بما يكفي لمحاولة أن تفرض تحسينًا نوعيًا على البشر. كيف سيبدو ذلك حتى؟ شيء مشابه لما فعلته بي؟

لكن في الأساس، في موضع اعتدت ألا أنظر إليه عن قرب أكثر من اللازم، شعرت بالغضب.

الغدر والغضب.

لقد كانت حية عندما خضعتُ للمحاكمة بسبب جرائمها.

كانت حية في اليوم الذي صدر فيه الحكم عليّ.

حية وحرة في تلك الليلة الأولى لي في السجن، وكل الليالي التي تلتها.

كانت حية في اليوم الذي استعدتُ فيه حريتي.

حية يوم زفافي.

في ليلة مولد آقا.

لم تكلف نفسها قط عناء الاتصال بي.

وكإهانة أخيرة، بدا أنها لعبت دور الإله مرة أخرى، ليس مع المحاصيل والجراد، معي، ابنها.

كانت الأضواء قد أطفئت منذ ساعات، وجاءت الإنارة الوحيدة من بواعث الإضاءة الثنائية في المحطة من ورائي. كنت أعرف أن

شخصًا ما في مكانٍ ما يجلس أمام شاشة، يراقب كل حركة مني، كل نفس، كل دمعة.

كان عليّ أن أخرج من هذا المكان، ولم تكن لديّ فكرة عن الطريقة.

انتزعني المصاييح المسلطة أعلى رأسي من أحلامي المضطربة.

رفعت ذراعي لأحمي عينيّ، متسائلًا كم من الوقت نمتُ.

ساعة؟ ربما اثنتين؟ ومع ذلك شعرت بالانتعاش وحادّة الذهن على نحو مذهش بفضل التنظيم بالزيادة لشبكة جيناتي:

.ADRB1 ,NPSR1 ,BHLHE41=DEC2

اعتدلت في جلستي ورأيت رجلًا قبضت عليه منذ سبعة أعوام في ليلة مثلجة في جبال بيجورن بولاية وايومينج واقفًا على الناحية الأخرى من الزجاج.

قال: «أهلاً لوجان...» بصوتٍ منبعثٍ من مكبرات الصوت فوقِي.

- د. روميرو.

"أنت تذكرني" بدا مندهشًا.

- قلّما مرت ليلة من دون أن أفكر في تلك الليلة.

"وأنا كذلك.." قالها بحزنٍ، ولم يستمر هذا الحزن إلا لكسرٍ من جزء من الثانية، ثم توترت شفته السفلى وومض خطٌ رأسي وتلاشى بين حاجبيه. كان ما زال غاضبًا مني، ولا شك أنه كان محقًا.

كانت تلك هي المرة الثالثة التي أحدث فيها الحالة الشعورية لشخص ما بناء على إشارات من تعبيرات وجهية دقيقة، ميزة أخرى جديدة لتحسيني؟

نهضت وقمطعت.

سألته: "متى أخرجوك من السجن؟".

- منذ أربعة أعوام. هل يمكنك أن تقترب من هنا من فضلك؟

رأيت أنه كان واقفًا بالقرب من فتحتين معدنيتين في الزجاج، إحداهما كانت تتسع لصينية طعام، أما الأخرى فكانت دائرية وأكبر قليلًا من قبضة مضمومة.

اقتربت منهما.

- ضع ذراعك عبر الفتحة الأصغر.

كان يمسك بحقنة للاستخدام تحت الجلد.

- لماذا؟

- أنا بحاجة إلى سحب بعض الدم. من الآن فصاعدًا، سنقوم بتحليل شريطك الوراثي كل أسبوع.

لم أتحرك.

قال: "اسمع، لا أريد أن أؤذيك".

حدقت إليه عبر الزجاج، متسائلًا كيف أقنعت الجي بي إيه شخصًا له عقلية أنطوني روميرو أن يعمل في موقع علمي أسود.

قلت: "لن تضع إبرة في ذراعي".

أطلق تنهيدة، ووضع الحقنة في صينية بجواره، ورفع لوحًا حاسوبيًا. لم أستطع رؤية شاشة اللمس، رأيت فقط حركة أصابعه.

ارتج صوتٌ فوقِي، تطلَّعت إلى أعلى نحو فتحة في الجدار الزجاجي، أسفل السقف بالضبط. بدأ القفص يرتج بينما صار صوت محرك خلف الفتحة يعلو أكثر وأكثر.

كان شعوري الأول ضيقاً في صدري.

ورغم أني كنت أتنفّس بشكل أسرع وأسرع، كنت ما زلت أشعر
كأنني أحبس أنفاسي.

صمت المحرك خلف الفتحة.

كان الصوت الوحيد صوت لهاثي.

جثوث على ركبتي.

بقاع لامعة تتفجر وتخبو عبر مجال رؤيتي.

سقطت.

شعرت بتنميل أطرافني وهي تتضوّر جوعاً للدم المؤكسج، لكن هذا
كان لا يقارن بالنار التي اشتعلت في رثتي والمطارق المتفجرة في رأسي.

كل ثانية تمر كانت عذاباً.

زحف الظلام من الأركان.

ضاق مجال رؤيتي.

وبعد ذلك لاحظ مخي المحتضر ضجة. في البداية، اعتقدت أنها
لا بد أن تكون هلوسة سمعية ما، لكنها ظلّت تزداد دويّاً ووضوحاً.

كان المحرك وراء الفتحة يدور من جديد.

فتحت عيني.

كان الظلام يتراجع.

والعالم يضيء.

لهثت مرة أخرى، لكن كانت الأنفاس الآن تصل إلى مكان عميق في
رثتي بإشباعٍ فاق بمسافة شعور الشفاه المتيبسة بالماء البارد.

اعتدلت في جلستي.

استبدل د. روميرو باللوح الحاسوبي الحقنة.

قال: "لا يسعدني أن أؤذيك، لكنني كُلفت بمهمة فحص ما تكون، ما ستصبح عليه. أنت بحاجة إلى فهم أن امثالك أمرٌ غير قابل للتفاوض. والآن ضع ذراعك عبر الثقب من فضلك".

امتثلت.

وبينما كان يسحب دمي، قلت: "أريد أن أكلم أسرتي".

- أنا هنا فقط لتتبع تطورك. لو لديك ما يقلقك، ينبغي لك أن تسأل...

- أسأل من؟ أنا في زنزانة زجاجة. ضد إرادتي. هل يمكنك أن تكون إنساناً لمدة...

- لا، لا يمكنني، كنت ذات مرة، وأنت كنت جزءاً من الآلة التي انتزعت إنسانيتي مني.

- أنا آسف لهذا. حقاً. كنت فقط أؤدي عملي، و...

- ولم يكن لديك خيار؟ وأنا كذلك.

تساءل د. روميرو: "هل تشعر باليقظة؟".

- نعم.

- أترغب في المزيد من القهوة؟ يمكنني أن أحضر لك بعضها.

- لا شكرًا.

- هل أنت جائع؟

- لا.

كنت جالسًا إلى المكتب في زنزانتني أواجه د. روميرو، الذي كان جالسًا إلى المكتب الخارجي على الجانب الآخر من الزجاج. كان في أوج رجولته عندما قبضت عليه، ولا مجال للدهشة من أن السنين لم تكن رحيمة. اسودَّ الجلد أسفل عينيه وترهل، وتناثرت الشعيرات الدموية المتفجرة حول أنفه؛ الأمر الذي يشير إلى أنه كان يخدر نفسه بشرب مقدار أكبر مما يجب من الكحول. وكاد ينطفئ في عينيه النور الذي رأيته في مقاطع فيديو لمحاضراته في أوقات أفضل. بدا أشبه برجلٍ في وضعٍ مستحيلٍ، رجلٌ تتعفَّن روحه بداخله. ورغم كل شيء، لم أستطع تجنب الشعور بالأسف من أجله؛ ضحية أخرى لمجاعة رامزي، يتضور من الجوع الفكري أمامي مباشرة.

إلى جوارِي كان هناك حاسوب محمول مفتوح، وعلى مكتبي كان لديُّ دفتر رسمي وعدة أقلام.

بدأنا بالحدة اللفظية، التماثلات، ترتيب الحروف في كلمات، الأحجيات. كان كل شيء سهلًا بشكلٍ استثنائي حتى نهاية القسم اللفظي، عندما أدار حاسوبه المحمول نحو الزجاج حتى أتمكَّن من رؤية السؤال الأخير:

أقرب الكلمات التالية لكلمة Mytacism:

أ. مشاكس

ب. سوء استخدام

ج. هرس

د. غسيل

هـ. متشوق

و. لا أعرف

كان السؤال الوحيد حتى الآن الذي وقف أمامي.

شعرت بخلاياي العصبية تشتعل.

تتزاحم كي تجد موطن قدم.

لقد رأيت هذه الكلمة مرة، ومرة واحدة فقط، في حياتي.

منذ اثنتي عشرة سنة، أعطتني بث من أجل الكريسماس تقويًا بكلمة يومية يضم كلمات غريبة وغامضة،

كانت الكلمة المحددة ليوم 12 نوفمبر هي كلمة «mytacism».

استطعت أن أرى الورقة المربعة الصغيرة المنزوعة من التقويم الصغير، الذي كان قد تقلص عندما وصل إلى الشهرين الأخيرين من العام. أبقاه مشبك مغناطيسي ملتصقًا بثلاجتنا في البيت الأول الذي اشتريناه أنا وبث معًا في مدينة بيثيسدا.

كان الوقت ما زال مبكرًا ذلك الصباح عندما انتزعت ورقة 11 نوفمبر (spanghew: أن تلقي شيئًا بعنف في الهواء، خاصة أن ترمي «ضفدعًا» في الهواء من طرف عصا).

أثا كانت في الثانية من عمرها، وكانت مستيقظة بالفعل وتتهادى في سيرها قائلة: «فان، فان، فان» وترجمة ذلك: «أريد دقيق الشوفان» طعامها المفضل ذلك الوقت.

رأيت صورة تامة لتعريف الكلمة.

12 نوفمبر

my-ta-cism | \ 'mɪt-ə-, siz-əm \:

الاستخدام المفرد أو الخاطئ لصوت حرف m

قلت: "ب، سوء الاستخدام".

دُون د. روميرو ملحوظة.

- استغرق هذا السؤال 2.3 ثانية أكثر من أي من إجاباتك الأخرى.

- لقد رأيت هذه الكلمة مرة واحدة فقط من قبل.

- متى؟ في أي سياق؟

حكيت له.

أوما برأسه وقال: "أنت لم تختَر (لا أعرف) لأي من الأسئلة بعد، هل يمكنك أن تفسر لي كيف تأتي بإجاباتك؟".

- بسيطة، إما أني أعرف الإجابات وإما لا أعرفها، وحتى الآن، لم أقابل كلمة لم أرها من قبل.

- إذن أنت لم تخمن أي كلمة؟

- لا.

- أتود أن تقول إنك تملك ذاكرة مثالية؟

فكرت في السؤال وقلت: "لا أعرف إن كانت مثالية، لكنها جيدة جداً".

- أفضل مما كانت قبل دنفر؟

- بالتأكيد. وتزداد حدة كل يوم.

- أميمكنك أن تتذكر ما كنت تفعله في مثل هذا اليوم من العام الماضي؟

فكرت في السؤال: "نعم".

- إلى أي مستوى من التفصيل؟

- كأن هناك كاميرا خلف عينيّ تسجّل كل شيء رأيته ومررت به.

- هل تذكر الأفكار التي كانت لديك؟

في مثل هذا اليوم منذ عام، كنت في مدينة كانساس، بولاية
ميسوري، مع نادين. كنا هناك لمهاجمة منزل رجل مشتبته فيه
بناء وبيع أشياء معدلة للجينات لتقوية العضلات، غالبًا للاعبي رفع
الأثقال والرياضيين المحترفين.

وجدت أني قادر على "الدخول" إلى أي لحظة من ذلك اليوم،
الاستيقاظ في الفندق وتناول هاتفي من فوق الطاولة المجاورة للفرش
لأجد رسالة نصية من بـث:

صباح الخير يا حبي، كيف كان نومك؟

إلى تناول قطع لحم صدر الدجاج المدخن في مطعم شواء آرثر
بايرانت المتواضع. الروائح والأصوات، حتى المحادثة في الطاولة المجاورة
لنا، وكلام المرأة...

قلت: "نعم. يمكنني حتى تذكر تسلسلات معينة من الأفكار".

بعد ذلك اختبر قدرتي الرياضية، ووجدت الأمر أسهل حتى من
القسم اللفظي.

قال د. روميرو: "في أحد المحيطات، توجد مجموعة من قناديل
البحر، كل يوم، يتضاعف حجم المجموعة. إذا كان الأمر يتطلب تسعين
يومًا من قناديل البحر كي تغطي المحيط بأكمله، كم يستغرق الأمر
كي تغطي القناديل نصف المحيط؟"

قلت: "أنت تضع وقتي ووقتك".

- من فضلك قُدِّم إجابة، يجب أن نحل الأسئلة حتى نصل إلى
الأسئلة الصعبة.

- تسعة وثمانين يومًا.

انتقلنا إلى المنطق المكاني، والمهارات البصرية/المفاهيمية ومهارات
التصنيف، التفكير المنطقي، وأخيرًا تمييز الأنماط.

- لوجان، ما هو الرقم التالي في المتتالية التالية: 0، 1، 1، 2، 3، 5، 8، 13، 21، 34؟

تأملت المتتالية على شاشة حاسوبه المحمول.

- خمسة وخمسون.

- كيف توصلت إلى ذلك؟

- حسنًا، هذه متتالية فيبوناتشي. كل رقم هو مجموع الرقمين السابقين عليه.

- تصادف هكذا أنك تعرف متتالية فيبوناتشي من الذاكرة؟

- لا، درستها في العام الدراسي الثاني بالكلية.

- أكان من الممكن أن تتذكرها قبل الحادث في دنفر؟

- بالقطع لا.

- أتقول إن لديك القدرة الآن على الوصول إلى كل شيء تعلمته أو قرأته من قبل؟

هه! فكرت في السؤال: "لا أعرف إن كنت مرتاحًا لقول كل شيء بالقطع، لكن أشياء كثيرة، أغلب الأشياء".

- هل درست لغة أجنبية في المدرسة الثانوية أو الكلية؟

- اللغة الفرنسية.

- قبل دنفر، ماذا كان مستوى إجادتك؟

- فقدت أغلبها.

قضى روميرو العشر دقائق التالية وهو يختبرني في قواعد الفرنسية، ووجدت أن بإمكانني الآن تحدث الفرنسية بطلاقة وقراءتها كذلك.

قلت: "كل شيء تعلمته في الكلية متاح لي من جديد، ولعلي الآن أكثر طلاقة مما كنت في ذروة تألقي في الجامعة".

قدم لي د. روميرو متتاليات عديدة ذات صعوبة متزايدة.

بعد ساعة، قابلت أخيراً متتالية لم أستطع تحديد غمطها.

قلت: "مبروك، أخيراً أوقععتني".

أغلق د. روميرو حاسوبه المحمول.

سألته: "أظن أنني لم أحرز الدرجة الكاملة؟"

- لا، انتهى الاختبار منذ خمس وأربعين دقيقة؛ أحرزت الدرجة النهائية، أردت فقط أن أرى مدى تعقيد المتتاليات التي يمكنك التعامل معها. وقبل أن تسأل، لا فكرة لدي عن معدل ذكائك، كل ما أعرفه أنه يتجاوز المائتين، وهو الحد الأقصى لما يمكن أن يقيسه الاختبار الذي أجرите للتو.

قلت: "هلاً قلت هذا مرة أخرى؟".

كنت قد سمعته. فقط لم أصدق ما كنت أسمعه.

مال نحو الزجاج. "معدل ذكائك مائتان على الأقل، وهذا أعلى ما يمكن أن يقيسه الاختبار، ويبدو أن ذاكرتك خارقة للطبيعة".

نهض وغادر.

لم أتحرك.

عندما كنت في الرابعة عشرة، أجريت اختباراً لمعدل الذكاء في بداية المدرسة الثانوية، والذي كان بحسب كلام أمي، مجرد أداة لمساعدتنا في فهم كيف تعلمت.

أحرزت 118 درجة. أعلى من المتوسط. ضمن نسبة الأربعة عشر في المائة الأعلى في سكان العالم.

دارت أُمي شعورها، لكنها بالتأكيد كانت محبطة بشدة.
أشيع أن معدل ذكائها كان في أوائل الثمانينيات بعد المائة.
حصلت دائماً على الدرجات الأعلى في المدرسة الثانوية.
دخلت بيركلي، الكلية التي اخترتها.
كنت منضبطاً. حاولت.

وبعد ذلك قابلت الكيمياء العضوية، لم أرسب أو ما شابه، فقط لم
تمر بسهولة، سقط كثير من الطلاب. مرّ المتفوقون القلائل في صفّي
بُسر، وكان ينبغي لي أن أكون واحداً منهم بالنظر إلى طموحاتي، لكنني
حصلت على درجة سالب ب بشق الأنفس.

بعد حصولي على درجتَي الجامعية في الكيمياء الحيوية وعلم
الوراثة، سألتُ أُمي إن كان يمكنني قضاء الصيف معها في شينزين،
والعمل في مختبرها؛ وافقت على قدومي.

هكذا كنت أنا، الأستاذ 118، محاطاً بالعابرة الأفذاذ الذين
يحاولون تغيير العالم. وكلما زادت فترة بقائي حولهم، وأنا لا أفهم إلا
جزءاً مما كانوا يحاولون فعله، رأيت على نحو أوضح الكتابة على
الجدار الذي كنت أتجنبه طوال حياتي.

كانت هذه الكتابة تقول:

لن تكون أبداً نذاً عقلياً لأملك.

بالطبع كانت أُمي تعرف. عرفت منذ كنت طفلاً أنني لا أملك
عُدتها أو حتى ما يقاربها. كل ما أردته أصلاً أن أتبع خطاها، كنت
أطاردها طوال حياتي. وذلك الصيف في شينزين، أخذتني هذه الخطى
وجرت بأقصى سرعتها لتصدمني بالجدار الحجري لحدودي، بشفرة
الحمض النووي التي وُلدت بها.

إنه لشيء فائق القسوة أن تجعل ذهنك يستحضر رغبة لا يستطيع أن يحققها وظيفيًا.

لا يعلمك أحد كيف تتعامل مع موت حلم.

لكن لم يعد هذا قدرتي بعد الآن؛ إن عقلي يتحول إلى ماسة.

بعد ثلاث ليالٍ، انتابتنى أحلام مجنونة، كما لو أن مخي أصيب بعدوى من فيلم سلفادور دالي عن عيش الغراب.

بهجة.

نشوة.

رعب.

ذعر.

فرح.

ومشاعر جديدة لم أمر بها من قبل، خليط من اللهفة تجاه المستقبل والخسارة تجاه الماضي.

حلمت بما كنته.

وبمن، أو بما، قد أكون.

أصبح الوقوف على اليدين، بأقل تدريب، عملاً لا يتطلب جهدًا، بل تمكّنت من فعله على يد واحدة.

في محاولتي الأولى، قمت بشقبة خلفية في الهواء من فوق الفراش.

قمت بمائة تمرين ضغط في منتصف المحبس، ولم تنزل مني قطرة عرق إلا في العشرة الأخيرة، ثم انتقلت إلى مائة تمرين ضغط بيد واحدة، وهو ما لم أملك قط القوة لفعله من قبل.

تدربت على جلوس القرفصاء فوق الأرضية والقفز إلى سطح المكتب.

تمنيت لو أنهم يراقبون، تمنيت أن تبدأ براعتي البدنية حديثة الاكتشاف في إثارة فضولهم.

كان المحبس في حد ذاته مُؤمِّناً تماماً. فحصدت كل شبر مربع فيه ولن يسمح لي أي مقدار من القوة العضلية باختراق الزجاج المضاد للرصاص أو انتزاع الأثاث المثبت في الأرض الخرسانية.

حتى الآن، كانوا يدرسون فقط التغيرات في ذهني، وهذا يمكن القيام به في أثناء إبقائي محبوساً في الداخل. لكن القائمة التي قرأها عليّ إدوين في يومي الأول هنا أشارت إلى أن عدداً من التغيرات البدنية تجري كذلك، أشياء لا يمكن قياسها عبر الزجاج في محبس ضئيل.

سيكون عليهم أن يخرجوني من هنا لو أرادوا اختبار هذه التغيرات، وعندما يفعلون ذلك، سأنال فرصتي.

كنت أعرف أن كثافة عظامي ورؤيتي الليلية قد ارتفعتا.

ومن الواضح أن قدرتي على تحمّل الألم قد زادت أيضاً.

كم يمكن لعظامي أن تتحمل الآن من الضغط والقوة بعد أن جرى تحسين شبكتي الجينية LRP5؟

إلى أي حد صرت قوياً بالفعل؟

هل تحسّنت ردود أفعالي؟

إلى أي حد يمكنني الجري بسرعة؟ إلى أي ارتفاع وبعُد يمكنني القفز؟

أريد إجابات عن هذه الأسئلة، وأظن أنهم يريدونها هم أيضًا.

كنت أتدرب في المحبس كل يوم، لأثير حفيظتهم بقوتي وتناسقي المتعاضمين، لكن أحدًا لم يبلغ به الأمر حتى حد التلميح بأنهم قد يهتمون بدراسة قدراتي البدنية، ولم أستطع التصريح بذلك، على الأقل بشكل مباشر.

ظل د. روميرو يحاول مراقبة تطوري المعرفي، لكن ابتكار أسئلة تتحداني كان يتطلب عقولًا على الأقل في حدة عقلي.

ظننت أنهم يريدون معرفة إن كان ذكائي قد استقر قبل أن يفكروا في اختباري خارج قفصي. لا جدوى من تركهم يعرفون أني ما زلت أنحسّن. ما إن يشعروا بالارتياح تجاه ذكائي، سيبتكرون بروتوكولًا لاختباري في فضاء أكبر. لا يمكن لوكالة ضئيلة مثل الجي بي إيه أن تحتجزني هنا إلى أجل غير مسمى من دون أن تثير اهتمام إختوتها الأكبر والأكثر سفالة، بالتأكيد تراقبهم وزارة الدفاع بالفعل عن قرب، كم سيمر من وقت قبل أن يتولوا هم الأمر؟

خلال أحد الاختبارات، وبينما كنت أظهار بالكفاح للوصول إلى إجابة، أصبحت مدرّجًا تمامًا -لأول مرة- لإحساس جديد، أو بالأحرى أحاسيس عديدة...

اندفاع الهواء القوي الذي يهب عبر فتحة التهوية فوقِي.

نبض قلبي.

تمّائل الشعيرات على ذراعيّ عندما تثيرها التغيرات الصغرى في الضغط الجوي.

كل الأنسجة في زنزانتني: الزجاج، القماش، الصلب، البورسلين، وكل الأنسجة خارجها.

كادت هذه المشاعر المختلطة أن تغلبني، كما أنها خلقت ذلك الشعور الوهمي شديد الغرابة بتباطؤ الوقت.

ما يسمح للكائنات البشرية بالتركيز على الأشياء وسط عاصفة المحفزات اللانهائية هو عملية عصبية تُدعى التمرير الحسي، حيث تصد المحفزات ضعيفة الصلة (المكررة أو غير الضرورية) في المخ من بين كل المحفزات المحيطة الممكنة. إذا لم يحدث هذا، سنعاني حمولة زائدة من المعلومات غير ذات الصلة في المراكز القشرية العليا.

هل كانت عملياتي الحسية تتغير؟

تخيل السير وسط ميدان تايمز سكوير في مدينة نيويورك وتسجيل كل المحفزات المحيطة بشكل متساوٍ وفي نفس الوقت. أن تعطي للقصاصات الصغيرة تحت الأقدام على الرصيف نفس الأولوية التي تعطيها لكل تفصيلة لدى كل واحد من المارة القادمين ورائحة العوادم وشاحنات الطعام والبخار الخارج من قطار الأنفاق والبول وكل نتفة من حوار عابر تتصادم عبر المدخلات السمعية إلى جانب شلال من المشاهدات والأصوات والروائح المميزة والأحاسيس الملموسة لمدينة في كامل حركتها.

غياب بوابات التمرير الحسي علامة أساسية على الإصابة بانفصام الشخصية، ويساهم فعليًا في إصابة الناس بالجنون، سيكون أي وجود من دون بوابات التمرير الحسي عذابًا.

ربما تعرّض تمريري الحسي إلى تنظيم بالنقصان، سأضطر إلى إعادة برمجة ذهني كي لا أدع هجمة المحفزات تنهكني، إلى تدريب نفسي على استيعاب مزيد من المدخلات وفي نفس الوقت الاحتفاظ بكامل تركيزي وانتباهي. ألا يمكنني أن أفعل ذلك الآن بما أني قادر على توجيه

انتباهي إلى شيئين بشكلٍ كاملٍ وفي نفس الوقت؟ ألم أقم بالتعامل مع هذا الحبل من الأفكار ذاته في نفس اللحظة التي كنت فيها أحسب الجذر التربيعي لباي؟

ربما يفسر هذا التعديل السبب في أنني الآن أرى الأنماط في كل مكان. مثلاً: كلما جاء د. روميرو إلى جلسة اختبارات، يذهب أولاً إلى المحطة كي يُدخل كلمة مروره. الحركات العضلية الدقيقة في ساعديه ويديه، وأصوات الضربات على لوحة المفاتيح -خمس ضربات باليد اليسرى (الإصبع الخنصر الأيسر الأرق [ض أو ش أو ث] والبنصر الأيسر الأقوى قليلاً [ص أو س أو ء وربما 1]) وست ضربات باليمين (ضربات ثقيلة بالسبابة والوسطى [ع أو ت أو ي، ثم ه أو ن أو 8 أو 9]) - كأني أشاهد اسم المستخدم وكلمة المرور الخاصين به مكتوبين بحروف كبيرة على الجدار أمامي.

لكن هذا كان يساعدني فعلاً في قراءة لغة الجسد. عندما يقترب إلى درجة كافية، كنت أبدأ في دراسة التغيرات في معدل نبضه واتساع حدقتيه. ما يجعله يتنفس على نحو أسرع. ما يجعله يسترخي.

كنت أجد أن لغة جسدي ذاتها -أصغر الإيماءات- يمكنها أن تثير تغيرات في وظائفه اللا إرادية.

في الوقت الذي كنت أدرس فيه هذه الأشياء في روميرو وحراسي الآخرين، كنت أدرسها أيضاً في نفسي.

وكلما أصبحت أكثر وعياً بمقدار تأثير المحفزات الخارجية على علاماتي الحيوية، رأيت كيف قد يمكنني يوماً ما التحكم فيها.

وسط حلم، سمعت إدوين يقترب من قفصي. اعتدلت في جلستي، فتحت عيني، رأيته جالسًا في الجهة الأخرى من الزجاج ومعه جريدة واشنطن بوست.

دعكتُ عيني، ثم هبطت عن السرير وذهبت نحو الحوض. رششت الماء على وجهي.

سألته وأنا أغسل أسناني: "ماذا في الصحيفة من أخبار؟".

- حرب الأقمار الصناعية. الصين تتهمنا بإرسال فريق فضائي سري لاختراق أحد أقمارها الصناعية العسكرية.

جلست إلى المكتب، والزجاج بيننا، وقلت: "يبدو هذا حريًا بنا".

طوى إدوين الجريدة على نحو سيئ - وكان من المؤلم تقريبًا رؤية ذلك - ورفع نظره إليّ. كان هنا ليسأل بعض الأسئلة الجديدة عن أمي.

قلت: "لقد أخبرتك بالفعل، أنا لا أعرف...".

- أصدق أنك لا تعرف أين هي، هناك طرق أخرى يمكنك أن تساعدنا بها.

- لكنني لن أساعدكم.

أومأ إدوين برأسه: "لا بأس. أنت هنا، وأحبائك في الخارج".

هكذا ترك تهديده المتواري معلقًا. منذ شهر، كان هذا يمكن أن يفلح معي، لكن مع كل إخفاقاته، كنت أرى إدوين الآن على نحو أفضل مما رأيته من قبل. كانت لديّ ذاكرة شبه كاملة بكل ملاحظة عن الرجل، وهو لن يؤذي عائلتي. إذا كان يريد الاستفادة بي، فهناك أشياء أريدها، أشياء يمكنه تقديمها، أولها وأهمها أن أتواصل مع بث وآفا.

قلت: "أنت تلعبها بطريقة خاطئة".

- عمّ تتحدث؟

- يجب أن تستخدم الجزرة، وليس العصا.

سألني: "هل كان لديها مختبر سري؟".

- ماذا سأجني من وراء ذلك؟

ارتفعت عينا إدوين إلى فتحة التهوية في سقف محبسي. ثم ارتدنا إلى. تغصّنت أنفه، والتوت شفته العليا إلى أعلى لجزء من الثانية.

تعبير ضئيل عن الاشمئزاز.

قلت: "أنت تفكر في إزاحة الهواء داخل المحبس. تمكّن روميرو من القيام بهذا لأنه يلقي باللوم عليّ -عن حق- في فقدته لرزقه، لشغفه. أما أنت فلا تملك غضبًا مكافئًا تجاهي كي تنقر الزر. فكرة أن تعذبني من أجل معلومات تجعلك مشمئزًا فعليًا" تنهد، منزعجًا: "والآن أنت تفكر في جعل واحد من تابعيك الحمقى يقوم بالمهمة القذرة، لكنك لست واثقًا حتى إن كانت تلك الدرجة من الإزاحة ستكفي لتخفيف...".

- هلاً خرست فقط عن هذا الهراء. يا إلهي، لقد تغيّرت عن لوجان الذي أعرفه.

لقد هزرت أعصابه، ممتاز. والآن سألقي إليه بعظمة.

قلت: "لم أكن عارفاً بأي مختبر سري تملكه أمي".

أضاء وجهه بارتياح.

- لكن لو أنها كانت تبني هذا التحسين، فستحتاج بالتأكيد إلى واحد.

- وليس مجرد مكان مرتجل...

قلت: "لا، ستحتاج إلى مختبر بيولوجيا جزيئية عالي الجودة به معزل سلامة بيولوجي من المستوى الرابع لزراعة الخلايا والتجارب الحيوانية، وموردين للمركبات الغريبة بيولوجيًا، ولا يمكنها القيام بهذا وحدها".

- كم عدد...

- اثنان ربما، الأرجح خمسة أشخاص.

- أي فكرة عن...

يا إلهي! كنت أعرف كل سؤال سيطرحه قبل أن يسأله، وقت مهدر كثير جدًا، قلة كفاءة شديدة جدًا.

- ... من يمكن أن يكونوا؟

قلت: "ستحتاج إلى أشخاص يمكنهم -كمجموعة- الإحاطة بالكيمياء الحيوية والبيولوجيا الجزيئية وعلم الوراثة والمعلوماتية الحيوية، وكل واحد منهم يعمل بأقصى طاقته. لا يمكنني تخيل قيامها بذلك من دون تلدين كمي أو معالج فائق النطاق".

كنت أتكلم أسرع مما يجب. يتحدث الشخص المتوسط من 100 إلى 130 كلمة في الدقيقة. كنت أقرب من 180، متى بدأ ذلك؟ كنت بحاجة إلى التهدئة، إلى التوقف عن جذب الانتباه لقدراتي العقلية المتفجرة؛ سيجعلهم ذلك فقط أكثر خوفًا مني، وكلما زاد خوفهم، قلَّ احتمال أن يخرجوني من المحبس لدراستي فيزيقيًا.

- إذن ستكون بحاجة إلى مهندس كومبيوتر.

ألم أقل ذلك تَوًّا؟

- نعم، شخص عُثِّل زنيم حقًا، شخص يمكنه تصميم برامج معقدة للغاية وضيع أيضًا في تشفير أساليب بناء الذكاء الاصطناعي القادر على التعلم الذاتي.

- هل لديك أي فكرة عمّن يمكن أن يكون هؤلاء الأشخاص؟

سؤال فقير الصياغة، لكنني فهمت ما يعنيه. كان يسأل عن أسماء، ألم يسأل هذا السؤال بالفعل منذ 12.5 ثانية؟

قلت: "زملاؤها في شينزين إما ماتوا وإما في السجن، لا أعرف من قابلت وعملت معه بعد أن زوّرت موتها".

- هل كان هناك أي أشخاص مؤثرين في حياتها يمكنك الاعتقاد بأنها قد تتوجه إلى أحد منهم بعيدًا عن المجاعة؟

- لا أعرف ماذا كان يعتقد أصدقاءها وزملاؤها فيها بعد المجاعة، أظن أغلبهم سيديرون ظهورهم لها، أو يبلغون عنها. لديّ فكرة مجنونة.

- ماذا؟

- سأجدها لك.

مال نحو الزجاج، وقد ثار اهتمامه.

- تقصد... إخراجك.

كنت على وشك اكتشاف إن كان إدوين أكثر اهتمامًا بدراستي أم بالعثور على ميريام، بالطبع كان هناك خيار آخر، لم يعد القرار فيما يجب عمله معي قراره.

قلت: "تتبع أثري، راقبني كما تريد، أنا الوحيد الذي يمكنه أن يقوم بهذا".

كان يفكر في الأمر.

أخيرًا قال: "لا يمكنني أن أفعل هذا".

- لكنك تتوقع مني مساعدتك وأنا جالس في زنزانة زجاجة؟ وفي نفس الوقت، أنت على وشك أن تطلق سراح الشخص الذي ربما يملك فعليًا المعلومات الحقيقية".

قال إدوين: "لم أكن صادقًا تمامًا معك حول ما انتهت إليه الأمور بالنسبة إلى سورين".

قلت: "دعني أخمن، لم يُدرَج سورين قط بشكل رسمي في نظامنا، أنت جعلت قاضي محكمة تابع لوكالة نظم المعلومات الدفاعية يمنحك إذن احتجاز لمدة تسعين يومًا".

لم يرد إدوين بأي كلمة، حاول أن يحافظ على وجه مصمت غير مقروء لكنه فشل.

سألته: "إذن أين هو؟ في واحد من مقاركَ السرية السوداء الأخرى؟ في هذا المقر؟".

- ليس هنا.

قلت: "أنت ما زلت تستجوبه..".

أومأ إدوين برأسه.

- استجواب مُعزَّز؟

إيماءة بالرأس.

- افتراضي؟

لا توجد استجابة، لكن نعم.

كنت قد سمعت إشاعات عن حدوث هذا في حالات قصوى مع الإرهابيين البيولوجيين الأجانب، لكنني شعرت بوخزة من الإحباط والخزي العميقين لسماع تأكيد بهذا من رجل كنت أحترمه. كانوا يستجوبون سورين في عالم افتراضي، مستخدمين واجهة عصبية مباشرة

مصنوعة بمواصفات عسكرية. يخترقون مناطق اللوزة الدماغية والمناطق الجبهية والظرفية في قشرته المخية الحديثة كي يخدعوا ذهنه ويدفعوه إلى معاناة كل أنواع المتعة والألم. كانت الأمم المتحدة قد حظرت التعذيب الافتراضي منذ عقد من الزمان، لكن بما أنه كان من الصعب تتبعه أو إثباته، كان من المستحيل تقريبًا تطبيق هذا الحظر. قلت: "أظن أنه لا جدوى من تذكيرك بأنه مواطن أمريكي. آه، انتظر، وأنا كذلك. بالطبع لا جدوى من تذكيرك بأنه كائن بشري، إذن ماذا عرفت منه؟".

- لا شيء، يبدو كأنه لا يعرف فعلاً.

نهض إدوين، وجمع جريدته.

قلت: "إدوين، لقد أجبت أسئلتك للتو، ولم أكن مضطراً إلى فعل ذلك".

- أعرف.

- أود أن تعرف أسرتي أي بخير، أود أن أتحدث إليهم، أرى وجوههم.

الطريقة التي نظر إليّ بها -بشفتين مزمومتين وحاجبين مرفوعين- وشت بحزن متوارٍ تحت السطح تماماً. كان بمقدوري رؤية نبضه يرفُّ في شريانه السباتي. يدق أسرع بكثير مما كان... 129 نبضة في الدقيقة. لم أكن واثقاً كيف عرفت الرقم، لم أكن أعدُّ بطريقة واعية، فقط... عرفت. امتلكت وعياً محدداً تفصيلياً، لم يكن موجوداً من قبل.

كان إدوين حزيناً ومتوتراً لأنني كشفته. وفي تلك اللحظة، عرفت أن ما أخبرني به في يومي الأول هنا كان كذبة، لم يخبر أسرتي أي محتجز تحت الاشتباه بالتعديل الذاتي.

على الفور عرض لي ذهني فيلمًا مشوشًا لجنازتي، تابوت مغلق،
بِث وآفا تبكيان، إدوين يواسيهما قائلاً إني كنت بطلاً فعلاً. الصمت
في بيتنا بعد أن رحل كل المُعزِّين وبقي الحزن الحقيقي.

- قلتَ لهما إني قُلتُ في هجوم، أليس كذلك؟

كل ما قاله: "أنا آسف".

وسار مبتعدًا.

خلعت ملابسني ودخلت مقصورة الدُش. كانت المقصورة ضئيلة
وذات جدران زجاجية. لا خصوصية ولا براح. كنت أعلم أن شخصًا ما
في مكان ما يجلس إلى شاشة مراقبة، ويراقب كل حركة مني.

لم أستطع التفكير في بِث وآفا، تخيلهما في حالة حدادٍ عليّ سيكسريني.

لذا وبينما كان الماء الساخن ينهمر عليّ، فكرت في أمي، متسائلًا
أين كانت في هذه اللحظة، متسائلًا ماذا قد تكون نهاية لعبتها، هل
عرّضت نفسها أيضًا لهذا التحسين؟

طفت ذكرى على السطح؛ محادثة حضرتها ذلك الصيف في الصين
قبل أن يمضي كل شيء على نحو خاطئ.

في المناسبات النادرة عندما كانت ميريام ترغب في أن تروّح عن
نفسها وتأخذ باحثي ما بعد الدكتوراه العاملين معها خارج المختبر،
كنّا نذهب جميعًا إلى حانة البيرة البلجيكية تلك في منطقة نانشان
كانت تحمل اسم (الراهب المترنح).

قبل دنفر والتحسين الذي أصاب ذاكرة سيرتي الذاتية، لم أكن
لأتذكر أبدًا هذه اللحظة بهذا الكمال البلوري، لكن ذات ليلة، بعد
كوؤوس كثيرة، كانت مجموعتنا تروح وتجيء في مناقشة حماسية،

بدأت عندما طرحت أُمي سؤالاً افتراضياً: ما هو التهديد الأعظم
لنوعنا البشري؟

كان الجميع سكارى وسعداء وصاخبين، يطرحون آراءهم متعددين:
ارتفاع مياه المحيطات.
التصحّر.

فشل النظم البيئية.

معدلات ثاني أكسيد الكربون الخطرة.

كان بصري، باحث ما بعد الدكتوراه الذي كان الرجل الثاني في
فريق أُمي، قد قال: "كل التهديدات الوجودية لوجودنا تحيا تحت
مظلة التغير المناخي".

كانت أُمي تراقبنا بهدوء ونحن نتجادل جميعاً من مجلسها على
رأس المائدة، وهي ترتشف من كأس بيرة ويستفليتين 12 السوداء،
وعيناها الواسعتان الغامضتان لا تفلتان شيئاً.
وأخيراً قالت: "كلكم مخطئون".

حلّ الصمت على المائدة، والتفت الجميع نحوها. قلّما رفعت
ميريام صوتها، لم يكن هناك سبيل كي نسمعه وسط ضجة الحانة،
لكن كان هناك شيء ما سحري تقريباً يتعلق بأُمي عندما تكون في
حشدٍ من مساعديها.

سألها بصري: "ألا تعتقد أن التغير المناخي هو التهديد الأعظم
لنوعنا البشري؟".

كانت قد ثبتّته بنظرتها: "التهديد الأعظم لنوعنا يكمن فينا".

تبادل الجميع نظرات قلقة، غير واثقين مما كانت تعنيه.

بينما كنت واقفًا في هذا النموذج المصغر لمقصورة الدش في محبسي، بعد عشرين عامًا، استطعت أن أتذكر بوضوح أنني لم أمتلك أوهى فكرة عما كانت تتحدث عنه، وغرقت داخلي قليلًا بينما تراكمت فوقى أدلة أكثر على نقائصي وعجزى.

كانت أمى قد قالت: "الجوع، المرض، الحروب، الاحتباس الحرارى، تلوح هذه التهديدات أمامنا مثل سحب عاصفة متجمعة. لكنّ تسعة وتسعين بالمائة من البشر يقرؤون عن عالمنا المتداعى في عناوين جرائد الصباح، ثم يتجاهلونّها ويكملون يومهم"، نظرت حول المائدة: "كلكم هنا معى فى شينزين، تحاولون أن تؤدّوا دوركم فى حل مشكلة فشل المحصول، وهو ما قد يكون خطوة نحو حل مشكلة الجوع والمجاعة، محاولين أن نكون جزءًا من الحل".

مالت إلى الأمام، وقد دبّ فيها النشاط فجأة: "لو كان هناك مزيد من الناس مثلنا، تخيلوا ما يمكننا أن نحققه؛ محاصيل جديدة لإطعام الملايين من الجائعين، منع الأوبئة من اجتياح العالم، القضاء على أغلب الأمراض والفقر كله والحروب كلها، لا مزيد من الانقراضات الجماعية، طاقة نظيفة متجددة بلا حدود، الانتشار داخل المجموعة الشمسية".

بعد عشرين عامًا، بينما الماء الساخن ينهمر ضاربًا ظهري، شعرت برعشة باردة تسري داخلي.

تساءل بصري: "إذن تقولين إن الناس أغبى مما يجب".

قالت ميريام: "ليس هذا تمامًا، إنه الإنكار، الأنانية، التفكير الخرافى. لسنا كائنات عقلانية، نسعى إلى الراحة أكثر من النظر بأعين صافية داخل الواقع. نستهلك ونتأنق ونقنع أنفسنا أننا لو أبقينا رؤوسنا فى الرمال، ستمضى الوحوش فى طريقها مبتعدة. بصيغة أبسط، نحن

نرفض أن نساعد أنفسنا كنوع، نرفض أن نفعل ما يجب أن نفعله. كل خطر نواجهه متصل في النهاية بهذا الفشل".

أنهيت دُشي، وبينما كنت أرتدي ملابس، دخل أحد حراسي -ماذا يمكنني أن أسميهم غير ذلك؟- بإفطاري.

جلست إلى مكتبي الداخلي بينما كانت رائحة القهوة الجيدة الغنية تملأ المحبس.

كانت أفكاري ما زالت تتسارع.

بعد حانة البيرة، ركبت مع أمي سيارة أجرة عائدين إلى المنزل الذي كنّا نستأجره في منطقة باوآن، على خليج شيانهاي.

تناولت كؤوسًا مزدوجة من البيرة أكثر من اللازم، وكانت أضواء شينزين تعبر بنا فيما يشبه الضباب.

رمقتُ أمي، التي كانت تحرق خارج النافذة، وذهنها بلا شك مشغول بعمل الغد، العمل دائمًا.

ولأني لم أكن في حالتي الطبيعية، سألتها ببساطة -وهو الشيء الذي لم أكن لأفعله لو كنت واعيًا-: "لو أمكنك أن تفعل ذلك، أستفعلية؟ تجعلني الناس أشبه بنا؟" وبسرعة صححت نفسي: "أشبه بك؟".

نظرت إليّ، وربما لأن رأسها كان خفيفًا أيضًا، كانت صريحة معي بطريقة لم أعرفها إلا مرة أو مرتين في عمري.

قالت: "نعم، سأفعله".

- لكن هذا مجرد حلم، صحيح؟ مجرد فكرة؟

هزّت كتفيها: "كلما سجل أحدهم اشتراكًا في (ذي ستوري أوف يو)، يكون عليه أن يكمل اختبار شخصية مكون من 350 سؤالًا ويستخدم تطبيقنا التصويري لتسليم مسح للجسد كاملاً يعطينا جبالاً

من البيانات. لديّ الشفرة الجينومية لتسعة وسبعين مليون شخص مختلف وأكثر من ثلاثة وعشرين ألف بيان غط ظاهري لكل واحد منهم، من كافة أنحاء العالم. لو تمكّنت من تطوير ذكاء اصطناعي قوي بما يكفي للتعامل مع هذه المجموعة من البيانات، وطرح الأسئلة الصحيحة، من يعرف ماذا يمكن أن أحقق". وبعد ذلك نظرت إليّ بتركيز مخيف. "شيء طيب أن نبني شكلاً جديداً من الحياة، أو نشفي المرض، أو حتى نحاول إنجاز العمل الذي نفعله الآن مع الجراد، لكن التغيير الكامل للكيفية التي يفكر بها أعضاء نوع واعٍ هو بالتأكيد التعبير الأقصى عن قوة التعديل الجيني".

في ضوء ما حدث لي بالضبط، اتخذت هذه المحادثة علاقة جديدة تماماً، لقد حاولت أُمّي أن تعدّل بضعة حقول من الأرز وانتهى بها الأمر إلى قتل مائتي مليون شخص. أي دمار يمكنها أن تُحدثه -عن قصدٍ أو من خلال عواقب غير مقصودة- بمحاولتها تغيير شيء جوهري مثل الكيفية التي يفكر بها البشر العاقلون؟

حلمتُ بيث وآفا.

كنّا واقفين في سهل منبسط بلا ملامح.

كانت السماء بنفس اللون الرمادي الحالك الذي كانت عليه الأرض، ولم يكن هناك أي بُعد للفضاء على الإطلاق -لا أفق، ولا إحساس بالعمق- لولا أن الأرض كانت أغمق قليلاً.

فجأة، انشقت بيننا.

هوة سوداء تزداد اتساعاً.

أكثر وأكثر.

أردت أن أقفز عبرها وأنضم إليهما، لكن المسافة كانت قد صارت
بالفعل هائلة.

وهكذا وقفنا هناك فقط، ننظر ونحن ننحرف أبعد وأبعد بعضنا
عن بعض.

نهضت من أغوار حالة لا وعي عميق، وحتى قبل أن أكون في تمام
يقظتي، أصبحت واعياً بوجود صوت ما.

يوم يوم يوم مكتومة.

إطلاق نار؟

اعتدلت في جلستي، وفتحت عيني.

كنت وحدي في الحبس، ورغم أن الحجرة كانت مظلمة، كان ما
زال بمقدوري أن أرى.

سمعت صرخة بعيدة، أخدمتها الجدران الخارجية وزجاج زنانتني.

اندفع رجل عبر الباب المجاور للمحطة.

ميزته على الفور، حتى في الضوء الواهي؛ كان واحداً من الرجلين
الذين جاءا إلى الطابق الرابع من مركز الدستور للقبض عليّ، الرجل
القصير العريض. لم أكن قد رأيته خلال فترتي هنا. أمسك بمسدس في
يد، وكان يلهث ويمسك جانبه باليد الأخرى، والدم يسيل من بين
أصابعه، وفي أعقابه أثار أقدام مدماة.

سألته: "ماذا يحدث؟".

عندما التفت لينظر إليّ، انفتح الباب بقوة مرة أخرى وصاحبت
ضجة تصم الآذان اختفاء أغلب رأسه في ضباب أحمر.

خطأ أحدهم عبر الباب مرتديًا معطفًا أسود، كان يحمل بندقية آلية ويرتدي قناع مبارزة، وأحسست على الفور بشيء مختلف في الطريقة التي يتحرك بها. شيء مضبوط، لا جهد مهدر، ولا قلة كفاءة. مؤخرًا، لم يكن بمقدوري تجاوز كم كان روميرو وإدوين وحراسي الآخرون يتحركون بطريقة خرقاء وغير دقيقة، كأنهم رُضع عمالقة يمشون على أقدامهم، تشي أجسادهم بكل شيء.

ورغم أنه كان شيئًا غريبًا فعلًا أن ألاحظه في هذه اللحظة عينها، فإني كنت مفتونًا بأناقة التحركات البدنية لهذا الشخص.

حرك إصبعه حركة بسيطة.

عرفت تمامًا ما أراد.

تحركت إلى الجانب البعيد من زنزانتني، سحبت الحشية من فوق سريري واستخدمتها درعًا، جثوت خلفها في إحدى زوايا المحبس.

كان صوت طلقات البندقية الآلية يصم الأذان، رصاصات ضخمة تطحن الزجاج المقاوم للرصاص، ونثار الشظايا يخترق الحشية وينهمر فوق.

عندما توقف إطلاق النار، ألقى الحشية جانبًا ووقفت.

لم يكن الزجاج المقاوم للرصاص لمحسبي كفوًا لطلقات البندقية الآلية.

خطوت خارج القفص لأول مرة بعد خمسة وعشرين يومًا.

أذناي تصفران.

اقترب مني صاحب قناع المبارزة.

سألته: "من تكون؟".

هز رأسه: ليس هنا.

قلت: "سيرسلون مزيدًا من الناس. أكثر مما يمكنك...".

قاطعني صوت معدّل: "لا فكرة لديك عمّا يمكنني التعامل معه".

انحنيت، ورفعت مسدس الرجل الميت الذي أسقطه عندما فقد رأسه، وفحصت خزانته بسرعة.

قال: "ابق قريبًا..".

تبعته خارج الحجرة وعبر ممر منخفض الإضاءة التصقت كابلات كهربائية بجدرانها، كان المسدس الذي أحمله من نوع سميث آند ويسون عيار 45، لزجًا من الدماء.

عبر الممر، ارتعش واحد من مصابيح الفلورسنت في السقف، ملقيًا رشقات متقطعة من الظلام على المدخل.

مررنا برجلين ممددين على الأرض في برك متسعة من دمائهما، جرى اصطيادهما وهما خارجان من حجرة مليئة بشاشات مراقبة تعرض لقطات حية من محبسي من زوايا عديدة.

سألته: "أنت لم تقتل إدوين روجرز أو شخصًا قصيرًا وبدينًا في هيئة العلماء، أليس كذلك؟".

- الحراس المسلحون فقط.

عندما اقتربنا من التقاطع التالي، سمعت أصواتًا.

رفع الغريب ذراعه.

توقفت.

علّق البندقية على كتفه وأسرع نحو التقاطع بينما ظهر ثلاثة رجال من وراء الزاوية.

متعهدو أمن مدججون بالسلاح.

شق صاحب قناع المبارزة حلق الرجل الأول بسكين خندق لكن الرجل الثاني كان يرفع بالفعل مسدسًا ماركة ديزيرت إيجل.

رأيت كل شيء بوضوح شديد، كان صاحب قناع المبارزة على وشك أن يتلقى طلقة عيار 50 في وجهه.

وبينما كانت الفكرة تخطر بذهني، قام منقذي بخطوة جانبية في توقيت جميل بينما كان الرجل الثاني يجذب زناد مسدسه ويطيح بطريق الخطأ بدلًا منه بوجه الشخص الثالث.

قام صاحب قناع المبارزة بحركة جانبية أخرى، وبينما كان الرجل الأخير واقفًا يلوح بمسدسه العملاق، محاولًا أن يسدده، مال منقذي تحت ذراعه، وقبض عليه بدقة، وكسره إلى ثلاثة أجزاء.

كان الأمر أشبه بمشاهدة مسدس تتفكك أجزاؤه، إلا أنها كانت عظامًا.

وبينما كان الرجل يجأ صرخًا، شق صاحب قناع المبارزة بطنه مرتين بالعرض.

سقط الرجل على ركبتيه، وبيده السليمة حاول أن يصد ما كان يندلق منه.

استغرق هذا الفاصل بأكمله 2.5 ثانية. لم تكن حركات صاحب قناع المبارزة سريعة بشكل خاص، بقدر ما كانت رشيقة وقاتلة، رقصة باليه عنيفة.

صرخ صاحب قناع المبارزة في: "تحرك..".

انعطفنا في ممر آخر انتهى عند مجموعة من السلام الحلزونية.

تبعته صاعدًا، ووقع أقدامنا يقرقع على المعدن.

عند القمة، حاول أن يفتح بابًا صغيرًا، لكنه لم يتزحزح.

قال: "أوصده أحدهم. يوجد مخرج آخر، لكننا سنضطر إلى المرور بمزيد من الحراس للوصول إلى هناك".

خطرت لي فكرة، قلت: "انتظر هنا..".

أسرعت عائداً عبر الممرات، إلى داخل الحجرة التي ضمت المحبس. جلست إلى المحطة، وفتحت الشاشة وكتبت اسم المستخدم الخاص بروميرو، الذي كنت أعرفه. ورغم أنني لم أكن أعرف كلمة مروره بدقة، فلإني من الممرات التي درست فيها حركات إصبعه من داخل محبسي، عرفت سلسلة من سبعة عشر احتمالاً لما يمكن أن تكونه.

منحتني محاولتي السادسة إمكانية الدخول.

مررت سريعاً على برنامج واجهة المستخدم إلى أن وجدت بروتوكولاً أمنياً يفتح أقفال عدد من الأبواب، منها محبسي ومخزن سلاح ومركز مراقبة وشيء اسمه باب الخروج الصغير.

فتحت قفله، ثم اندفعت عائداً عبر الممرات.

كان منقذي قد عبر بالفعل. وعندما وصلت أعلى السلم، مد يده إليّ وجذبني صاعداً إلى الظلام.

كان الجو قارس البرودة.

عندما تأقلمت عينايا، رأيت أدوات قديمة معلقة على الجدران، عوارض خشبية أعلناء، سلماً خشبياً يؤدي إلى عليّة مليئة بالقش، جرّاً قديماً.

كان مجمع المحبس مشيداً تحت حظيرة قديمة.

جريناً نحو باب مفتوح.

توقف الغريب عند العتبة.

أطل خارجاً.

سطع قمر لامع على كل شيء، محوّلًا المرعى أمامنا إلى لون أزرق مُشعّ ومخفيًا النجوم.

توهّجت من بعيد أضواء بيت ريفي.
شكّلت أنفاسي بخارًا في الهواء المتجمد.
سألني: "أيمكنك الجري؟".
أومات برأسي.

انطلقنا عبر العشب المكسو بالصقيع. كانت أول مرة ينطلق فيها جسدي في الخلاء، ولم أتمكّن قطّ من الجري بهذه السرعة في حياتي، شعرت أني شاب من جديد، أعدو بطاقة لا حدود لها. لم نتوقف طوال ستمائة ياردة، إلى أن بلغنا سياجًا أحاط بالمرعى، ثم امتد فوقه على طريق مفروش بالحصى واستمر مبتعدًا عن البيت الريفي والحظيرة ومخزن الحبوب.

أحاطت التلال بكل شيء كأنها أمواج سوداء متجمدة.
التمعت مروج أعلى في نور القمر.

ظلمت أشرق النظر من فوق كتفي بينما كانت أضواء البيت الريفي تبتعد.

بعد ربع ميل، وصلنا بوابة ومطبخًا عائقًا للمشاة.
تسلفنا البوابة.

توهج في نور القمر طريق ريفي بهت رصيفه.

كان الصوت الوحيد المسموع هو الرياح المثلجة وهي تخشخش أوراق الشجر الأخيرة في الغصون فوقنا، هياكل عظمية لما كانت من قبل أشجارًا خضراء. كانت تلك هي المرة الأولى التي أخرج فيها إلى

الخلاء منذ ترسخ في التأثير الكامل لتحسيني، وكنت أكافح كي أمنع هجوم المحفزات من التغلب عليّ.

عدونا على جانب الطريق. بعد عدة مئات من الياردات، أبطأ الغريب، مشيراً إلى شيء مخفي بعناية حتى إنه استغرق مني لحظة كي أرى ماهيته. في جوف عتمة الغابة المتاخمة، رأيت لمعة المعدن والزجاج والكروم.

انحشرنا في السيارة الجوجل رودستار ذات المقعدين.

عندما انغلقت الأبواب، خلع الغريب قناعه أخيراً، وألقى به هو ومُعدّل الصوت إلى المقعد الخلفي.

حدّقتُ عبر لوحة التحكم المركزية إلى أختي.

5

مرّت ثلاث سنوات منذ رأيت كارا لآخر مرة.

وستة شهور منذ تحدثنا لآخر مرة.

ورغم أن أهدنا كان يتصل بالآخر في أعياد الميلااد والكريسماس، كانت عادةً وراء البحار، في مهمة عمل.

بدت أكثر صلابة مما أذكرها، وكانت هناك ندبة جديدة في وجهها لم أرها قط شخصيًا. كنت أعرف أنها أسرت منذ بضع سنين خلال واحدة من جولاتها في ميانمار واحتُجزت كأسيرة حرب لعدة أسابيع قبل أن تحررها فرقة إنقاذ، لكن هذا كان أقصى علمي بما حدث، لم نتكلم حقيقةً عن الأمر.

فجأة كنّا نتحرك فوق هامش الطريق قبل أن نصعد إلى متنه.

ضغطت كارا على بدال السرعة.

سرعة مندفعة مجنونة.

طرنا عبر الطريق الريفي دون أضواء أمامية.

ورغم أن رؤيتي الليلية كانت قد تحسنت كثيرًا، لم أكن لأشعر بالراحة حيال القيادة بالسرعة التي اعتمدتها كارا في هذه الطرق الملتفة، مستهدين فقط بضياء القمر، لكنها بدت بارعة تمامًا.

نظرتُ إلى أختي، وقبل أن أنطق بسؤالِي، انطلقت هي في الحديث:

"الصيف الماضي، في الشرفة الأمامية لكوخي بمونتانا، لسعنتني نحلة" أخذتُ منعطفًا حادًا بسرعة هائلة حتى إننا كدنا نظير عن الأرض. "كان الألم قصيرًا، بلا تورم، لكن بعد ليلتين، استيقظت بأسوأ حمى أصبت بها في حياتي... ملاءات منقوعة في العرق، وهذيان، بعد ثلاثة أيام في المستشفى، استقرت حالتي".

كانت تتكلم بسرعة هائلة.

قلت: "أجروا فحوصات، ولا شيء قاطع".

أومات برأسها.

- قررروا أنك أصبت بسلالة ما من الأنفلونزا وتعافيت؟

- بالضبط.

أبطأت كارا عندما دخلنا لوراي بولاية فيرجينيا، بلدة ناعسة عند سفح الجبال. كان الشارع الرئيسي ممتًا في هذه الساعة، إشارات المرور تغمز باللون الأصفر عند التقاطعات والقمر ساطع بما يكفي لإضاءة السماء وكشف سور أسود إلى الغرب: جرف شيناندواه.

قالت كارا: "بعد ستة عشر يومًا، كانت تلك المرأة التي التقطتها في الليلة السابقة تأخذ عصير البرتقال من الثلاجة، وكان اللوح الحاسوبي على النضد الأوسط في المطبخ يعرض الأخبار، التي كانت هي تشاهدها جزئيًا. بين انتباهها المشتت وكوب الشراب الذي كانت قد وضعتة على حافة النضد، رأيت كيف كانت ستغلق باب الثلاجة،

وتلتفت، وبذراعها التي تحمل العصير ستلطم الكوب بكوعها، لم يكن هذا شكًا، كان أشبه بمعادلة فيزيائية مكتوبة على سطح الواقع لي فقط. كل هذه المتغيرات تشير إلى ناتج حتمي. أرى هذه المعادلات في كل مكان الآن. تكشفت كل هذه العملية من التفكير بينما كنت أقلب فطيرة ورأيتها تمد يدها داخل الثلاجة في انعكاس النافذة فوق حوض المطبخ. ضربت الفطيرة المقللة، وألقيت أنا الملعقة المسطحة، ومددت ذراعي إلى أسفل، وأمسكت الكوب في منتصف الهواء، قبل جزء من الثانية من انفجاره على البلاط.

- متى لاحظتِ كل التغيرات الأخرى؟

- قبل ذاك، كان إدراكًا دافئًا متدرجًا. لكن في تلك اللحظة، صرخ كل شيء في وجهي مرة واحدة، تركيز أفضل، رؤية ليلية، ذاكرة، نوم أقل، كتلة عضلية متزايدة، قدرة أعلى على تحمّل الألم.

- وقراءة الناس بطريقة لم تكن بمقدورك من قبل؟

أومات برأسها.

قلت: "كانت النحلة طائرة بلا طيار..".

ابتسمت كار. "لم تتحلل قط".

بعد خمسة وعشرين يومًا من التفاعل مع... بم أدعوهم؟ العاديين؟... كان من الرائع أن أتجاوز مع شخص يتحرك ذهنه بنفس سرعة ذهني.

وصلنا قمة جبال بلو ريدج بينما كان الفجر ينث نَفَسًا أرجوانيًا بعرض السماء. بزغ الضوء، وامتدت المَرَاي نحو الأفق. رأيت الوادي التالي متسربلاً هناك بطبقة خفيفة من الضباب، وأضواء البلدات والمدن تتوهج هناك في البعيد.

قالت كارا: "تصورت أنني استهدفت بنوع ما من التحوير الجيني، فتوجهت رأسًا إليك".

- لماذا؟

- عرفت أن أيا من كان وراء هذا، فلا مجال لكونه قد اختارني بالصدفة، كان هذا لأني من آل رامزي... بسبب أمي. لذا إما أن لك علاقة ما بالأمر وإما أنك على قائمتهم أيضًا.

- إذن وضعتني تحت المراقبة.

- كنت بحاجة إلى فهم نقاط ضغطك في حالة إذا لم ترغب في المساعدة أو حاولت أن تقبض عليّ. هكذا عرفت أنك استهدفت مثلي تمامًا، وأن رب عملك يراقبك.

- ماذا وشى إليك بأني أتعير؟

- الشطرنج.

- أنت من أرسلت الرسالة النصية بأن الجي بي إيه كشفتني؟

- كان واضحًا لي أنك تتغير. وعرفت أنهم سيقبضون عليك في وقت قريب. كان ينبغي لي أن أتواصل معك قبلها.

قلت: "ماما هي من فعلت هذا بنا..".

ساد صمت ثقيل في السيارة.

نظرت كارا إليّ، حدستُ فيم كانت تفكر.

قلت: "ليست ميتة، تريد أن تطلق تحسينًا جينوميًا كبيرًا".

- على من؟

- الجنس البشري.

وبعد ذلك حكيت لها كل شيء.

في الساعة والنصف صباحًا، أوقفت كارا السيارة في ساحة صف السيارات الخاصة بنزل مابل ليف في مدينة كينجوود بولاية فيرجينيا الغربية.

كان الثلج يهب في دوامات، وبدأت الطرق تكتسي بالصقيع.

ارتدى كلانا قناعي وجه للحماية ونحن نهرول في تلك المسافة القصيرة إلى غرفتنا، مدركين في ألم أن هناك كاميرات مراقبة في كل مكان. إن برنامج التنصت والمراقبة التابع لوزارة العدل، رغم أنه ليس بالضرورة سرًا من أسرار الدولة، لم يتم تأكيده للجمهور قط. ورغم أن أغلب الأمريكيين يعتقدون أنهم يعرفون المدى الكامل للدولة الأمنية التي يعيشون فيها، فإنه لا فكرة لديهم عن قوتها الكاملة وتداخلها المتوغل في حياتهم اليومية. لكل مائة شخص في الولايات المتحدة، توجد 48.7 كاميرا مراقبة، ووراءها شبكة حكومية من محركات البحث المميزة للوجوه والمعتمدة على الذكاء الاصطناعي، ويقترن بهذا تآكل عميق في قوانين الخصوصية.

بعد ما حدث ليلة أمس، سيُجن جنون إدوين كي يعثر عليّ، رغم أنني أشك في كونه أرسل نشرة شاملة إلى وكالات تطبيق القانون الأخرى. ماذا كان ليقول؟ فرّ عميل للجبي بي إيه كنت أحتجزه بشكل غير قانوني في موقع أسود. بالمناسبة، هو مُحسّن جينيًا بشدة و.. أوه، اسم عائلته رامزي.

لا، سيجري التعامل مع الأمر داخليًا.

لكن لن يتطلب الأمر إلا نقرة على شريحة لوجهي كي تصدر إحدى الخوارزميات إنذارًا بموقعي.

كان بالغرفة سريران مزدوجان، طاولة صغيرة إلى جوار النافذة، مضخة حرارة قديمة تصدر طنينًا مستمرًا، ديكور من نقوش زهور متشابكة.

استخدمت واحدًا من حواسيب كارا المحمولة لطلب حشوات جلدية، ودفعت ثروة صغيرة لتسليمها بطائرة دون طيار خلال أربع وعشرين ساعة.

ثم انهرت على واحد من السريرين. كانت الحشية مليئة بالمنحدرات والمرتفعات، لكن بعد ثلاثة أسابيع في الحبس، بدا الأمر مثل الاسترخاء على سحابة.

قلت: "ما فعلتبه هناك في المزرعة كان لا يُصدق، أكنتِ دائمًا بهذه البراعة أم أن هذا تطور جديد؟".

"كنتِ دائمًا مجرمة" ضحكك، ولجزء من الثانية بدت أشبه بذاتها القديمة. "أيًا ما كان التحسين الذي نلته فقد زاد من قدراتي".

سألتها: "كيف هو الأمر؟ القتال هكذا".

- هل خضت قتالًا من قبل؟

- مرتين في السجن.

- وكيف أبليت؟

- تلقيت ضربًا مبرحًا.

- حدث بسرعة، أليس كذلك؟

- بسرعة شديدة، تجمّد جسدي، شعرت أني مشلول.

- والآن، عندما تصل مستويات الأدرينالين لديّ إلى عتبتها القصوى، يحدث العكس. يتباطأ الوقت حتى يغدو ثابتًا. ألاحظ كل تفصيلة في محيطي. رأيت هؤلاء الرجال قادمين نحوي بنصف

سرعتهم. لقد تعززت قدرتي على قراءة حركات الجسد. أصغر ارتجافة عضلية تكشف عن مقصدهم ذاته. لم يتطلب طرحهم أرضاً مني أي جهد تقريباً.

طبعاً، لقد مررت بالأمر ذاته.

فكرة أن المخ يسرع عمله خلال المواقف الموترة أسطورة. عندما يخاف المرء، تصبح لوزته الدماغية أنشط، وتلقي بالذكريات الزائدة التي تتزامن مع الذكريات العادية للحياة اليومية. إنها تلك الذكريات الإضافية الأغنى التي تعطي الوهم بتباطؤ الوقت. لكنني شككت في أن إحساس كارا -مثلي- بتمدد الزمن كان أكثر من مجرد وهم استحضره رد فعل خائف. مع انخفاض قدرتنا على التمرير الحسي، كانت المحفزات تأتي مثل الطوفان خلال لحظات التركيز المكثف. ما دامت عقولنا نجت من طوفان الهجوم، يسمح لنا هذا حقاً بممارسة التوقع ورد الفعل بسرعة خارقة للقدرات البشرية.

قلت: "لن يتركوا ما حدث يمر، أنت تعرفين ذلك، صحيح؟".

هزّت كتفيها: "أعرف أننا لسنا قرييين من أحدنا الآخر، لكنك أخي، كنت لأقتل جيشاً من أجلك".

- هل أسرتي بخير؟

- نعم، لكنهم يعتقدون أنك ميت.

كنت أعرف هذا بالفعل، لكن عيني فاضت بالدمع رغم ذلك.

لم يكن بمقدوري الاتصال ببيت، لم يكن بمقدوري التواصل بأي طريقة وإلا سأعرضها هي وأقا لاتهامات بالمساعدة والتحريض، وسأجرهما داخل هذه الفوضى على نحو أعمق مما تورطاً فيه بالفعل بفضل معرفتهما بي.

حالياً، كان الأمان تركهما مستمرتين في الاعتقاد أنني رحلت.

المائتا مليون شخص الذين ماتوا بسبب العمل الذي تورطت فيه،
وفترة عقوبتي في السجن، وموت والديّ، وفقد توأمي - كلها أشياء
بهتت مقارنةً بهذا، أصعب شيء واجهته في حياتي.

تساءلت كارا: "ماذا الآن؟".

قدّرت موقفنا سريعًا: لقد استُهدف كلانا، ظاهريًا على يد أمنا،
ولأسباب مجهولة، هذا ليس بالشئ الكثير الذي يمكن العمل به.
قلت: "لست متأكدًا. لكن أيًا كان ما تخطط له ماما، علينا أن
نوقفه".

وبعد ذلك أغلقت عينيّ ونمتُ.

عندما استيقظتُ، كان الضوء القادم عبر الستائر قد خبا وكانت
مياه الدُش تنهمر في الحمّام. نهضت، ومضيت إلى النافذة، واسترقت
النظر خارجًا إلى الغسق المثلج الأزرق.

كانت السيارات في ساحة الانتظار الخاصة بالنزل مغطاة بالثلج.
والطرق مغطاة بالثلج.

وأخفى الثلج المتساقط معالم الأبنية في الناحية المقابلة من الشارع.
كانت حقيبة كارا الصوفية السوداء مستقرة على الطاولة.

وكانت مياه الدُش ما زالت جارية.

فتحتُ الحقيبة، ونظرت داخلها.

أربع بنادق، من ضمنها بندقية قناص تشي تاك إم 200، علب
من الذخيرة، قنابل يدوية، قيود مضغوطة، عدة حواسيب محمولة،

معدات مراقبة، رزمتان من النقود، ثلاثة جوازات سفر كل واحد باسم مختلف، خمسة هواتف لا تعمل بنظام تحديد المواقع العالمي.

التقطت أحد الهواتف وحدقت إليه، والرغبة في إرسال رسالة إلى بيث وإخبارها أنني حي تكاد تغلبني، لم أستطع تصور الألم الذي لا بد أنها تعانيه هي وآقا.

وعندئذ حدث شيء غريب.

خفضت مقدار مشاعري.

ربما كانت هذه قدرة جديدة، ربما كانت موجودة دائماً -وأطلق تحسيني سراحها أخيراً- لكنني وجدت أن بإمكانني أن آخذ الشعور والتعاطف اللذين شعرت بهما نحو أسرتي وأضعهما جانباً.

كأنني أضعهما في قفص فاراداي⁽¹⁾ إلا أنه بدلاً من حمايتي من المجالات الكهرومغناطيسية، عندما وضعت شعوري داخله، كنت أحمي نفسي من شعوري ذاته، أو بالأحرى من تأثيره المسيطر.

استطعت أن أضع مشاعري داخل هذا القفص، عميقاً داخل تجاويف عقلي.

استطعت أن أغلق الباب.

ومجهود استثنائي، استطعت حتى أن أوصده.

استطعت أن أتواجد بعيداً عن هذه المشاعر.

كانت قدرة مقلقة بدت أشبه بالغش، وجعلتني أتساءل: هل استهدف ذلك التحسين أيضاً قلب شكوى أمي من جينوم نوعنا

(1) قفص فاراداي أو أسطوانة فاراداي هو عبارة عن هيكل فلزي مصنوع من مادة موصلة، يُستخدم لعزل ما داخله عن المؤثرات الكهرومغناطيسية والمؤثرات الكهربائية الخارجية. وقد سُمي قفص فاراداي تيمناً بمكتشفه الكيميائي والفيزيائي الإنجليزي مايكل فاراداي الذي قام باختراعه عام 1836.

المعيب؟ هل اكتشفت طريقة لإعادة ضبط التوازن البشري بين
العاطفة والعقل؟

انقطع صوت الدُّش.

ألقيت الهاتف في الحقيبة من جديد وأغلقتها.

أخرجت كارا أحد حواسيها المحمولة.

كانت معي بيانات دخول روميو، لكنني خفت من أنه بعد
لحظة تسجيلي للدخول، ستكون أماننا ثلاثون دقيقة، وربما أقل، قبل
أن يظهر عملاء الوكالة في نُزلنا.

لذا طوال الساعات التسع التالية، حمّلت وقرأت خمسة كتب
عن هندسة الإنترنت وطُفّت عبر العديد من المنتديات حيث كان
الناس أكثر من سعداء بتوزيع نصائح "افتراضية" عن كيفية الدخول
سرًا إلى أي خادام من خوادم الحكومة.

في حياتي قبل ذلك، كان الأمر سيتطلب مني شهورًا لاستيعاب هذا
الكم من المعلومات الصحيحة والمضللة غير المنظمة، وكنت لأهلك
من الملل في أثناء ذلك. لكن قدرتي الجديدة على الاحتفاظ بالتركيز
من دون جهد أسعفتني.

اتصلت بالإنترنت عبر شبكة خاصة افتراضية، لم أهتم كثيرًا إن
عرفوا أن شخصًا ما دخل خوادمهم ببيانات دخول روميو، سأنتزع
ما أريد قبل أن يواتيهم الوقت للقيام برد فعل. فقط كان يجب
ألا أجعلهم يعرفون أنه جرى الدخول إلى خوادمهم من كينجوود
بفيرجينيا الغربية.

بالإضافة إلى تأمين الاتصال بين حاسوب كارا المحمول والخوادم،
ستحجب الشبكة الخاصة الافتراضية عنواني وموقع بروتوكول الإنترنت...

لبعض الوقت. كل ما تبقى هو أن أقوم بتبادل رئيسي غير مُكتشف، وهو ما نفّذته بمساعدة من خوارزميات الشبكة السوداء.

كان هناك ملف واحد بعنوان "رامزي، لوجان".

عندما بدأت أطلع ملفي في الجي بي إيه، ارتدت كارا معطفها الصوفي وقناع وجهها وغادرت الغرفة لتأتي لنا ببعض الطعام الذي كنّا في أمس الحاجة إليه.

احتوى الملف نتائج فحصي بجهاز كشف الكذب (تجاوزه بنجاح)، الاختبارات التي أجراها د. روميرو، سجلًا بأنماط نموي، مخططات تغذية، ملاحظات المراقبة من إدوين وروميرو تقدم تفاصيل لكل تفاعل بيننا، سجلات طبية من فترة إقامتي في مستشفى دنفر ومن طبيبي الباطني في واشنطن، ملاحظات الطبيبة النفسية في جلساتنا الثلاث، التسجيلات الصوتية والمصورة في أثناء مراقبة بيتي في أرلينجتون.

لكني كنت مهتمًا في الأساس بملف تغيراتي الجينومية.

كان ملفًا ضخماً.

عندما فتحت تحليل شفرتي الجينومية، طُفّت مرة أخرى تلك الفكرة في فقاعة، همسة في أعرق تجاويف عقلي:

لم تفعل أُمي شيئاً قطّ من دون سبب.

لو كانت تريد فقط أن تخيف الجي بي إيه، فليس هناك معنى في تحسين كارا أيضًا. ولعلّها لم تستطع أن تعتمد على تغيير سياسة الجي بي إيه، أرادت أن تخيفهم، ربما، لكنها لم تكن لتكشف أوراق لعبها من أجل هذا فقط. لا بد أن هناك شيئًا آخر، نهاية ما للعبة لم يكن إدوين والآخرين يرونها.

لديها خطة من أجلنا، وهو ما يعني أنها في مكان ما، بطريقة ما، قد تركت مسارًا من فتات الخبز وراءها، إشارة ما لما ينبغي لنا

أن نفعله الآن. كنت أطلع صفحة بعد صفحة من تحليلي الجينومي (ثلاثة مليارات حرف) وكان غموض اللحظة لا يمكن إنكاره، كنت واعيًا بأني أقرأ تعليمات خلقي.

توقفت.

حدقت فقط إلى الشاشة.

ثمة وخز لفكرة تطفو على السطح.

سمعت طرقة على الباب، شعرت بطعنة دعر من أن تكون الجي بي إليه قد تتبععتني بطريقة ما. لكن لا، لم تكن الجي بي إليه لتطرق الباب، ستطيح به تمامًا.

نظرت من ثقب الباب، ورأيت كارا واقفة في الثلج، حلت السلسلة، وتركتها تدخل. كان الصوف الأسود لمعطفها قد اكتسى بالثلج، وابتل شعرها، وكانت تمسك بكيسين ورقين، ألقتهما على سريري.

"كوكيتل غريب من محطة الشحن، الشيء الوحيد المفتوح".

نبشت في محتويات كيس البقالة؛ وجبات سريعة، ساندويتشات، لفائف بوريتو.

سألني: "هل أحرزت أي تقدم؟".

- ليس كثيرًا، لكن عندي فكرة (فتحت كيس شيبسي والتهمت بضع حفنات)، هل كنت تعرفين من قبل أن بإمكانك كتابة كلمات في الحمض النووي؟

- لا.

- وفقًا لسعة تخزين البيانات، كثافة المعلومات لدى الحمض النووي أكبر مليون مرة من أي قرص تخزين بيانات عادي.

- أعتقد أن ماما تركت رسالة في حمضنا النووي؟

- لا أعرف، ربما.

بدا على كارا الارتياح الشديد.

- ألا يبلغ طول شريطنا الوراثي ثلاثة مليارات حرف.

- هو كذلك.

- إذن سيكون العثور على رسالة من ماما فيه هو بالقطع كالبحث عن إبرة في كومة من القش.

قلت: "بل أشبه بالبحث عن ذرة معينة على إبرة في بحر من الإبر..".

عدت للجلوس إلى الحاسوب المحمول.

سألتني: "إذن من أين نبدأ؟".

- لو أردت أن أكتب رسالة في شفرتك الجينية، لا يمكنني أن أفعل ذلك في أي مكان هكذا.

- لماذا؟

- لأنني قد أتلّف شيئاً حيويّاً، يتوقف عضو ما عن العمل فجأة، أو تتسبّب الطفرات الجينية في إصابتك بالسرطان أو التصلب الجانبي الضموري. لو فعلت ماما هذا بنا -وهو ما زال احتمالاً إلى حدّ كبير- فربما ستُدخل رسالتها في ملاذ جيني آمن.

كان بمقدوري تمييز أنها لا تملك أي فكرة عمّا أتحدث عنه.

قلت: "فكري في أجسادنا كبرنامج حاسوب بيولوجي هائل. لو قفزت داخله وبدأت تعبثين بالشفرة، قد يتعطل شيء مهم. الملاذات الآمنة هي مناطق طبيعية للجينوم اكتشف العلماء أن بمقدورها أن

تستوعب دمج مادة جينية جديدة من دون إيذاء الجينات الأخرى أو التسبب في تحورات ضارة للجينوم المضيف".

بدأت أكتب على الحاسوب: «أعتقد أنني سأكتب استفسارًا عن كل المواقع التي تغير فيها شريطي الوراثة، لكنني سأقصر نتائج البحث على مناطق الملاذات الآمنة المفترضة، سيقبل هذا من الأمر بشكل كبير».

استغرق الأمر مني بضع دقائق لبناء لغة الاستعلامات المهيكلة للبحث في قاعدة البيانات. ولأننا كنّا نعمل على حاسوب محمول بدلاً من حاسوب فائق، شككت في أن نتائج البحث ستستغرق بعض الوقت قبل أن تظهر.

جلسنا أنا وكارا على السرير، نلف بعض ساندويتشات البوريتو المجلوبة من محطة الشحن.

بعد ساعة، تلقينا تقريرنا الأول.

بعد حادثة دنفر، تغير شريطي الوراثة في عدة ملاذات جينية آمنة موثقة جيداً، تتضمن AAVS1، SHS231، ROSA26، CCR5.

طلبت تقريراً عن كل منطقة حمض نووي لإلقاء الضوء على مدى التعديلات التي تمت.

CCR5 عبارة عن بروتين على سطح كرات الدم البيضاء، منخرط في النظام المناعي. حدثت تعديلات واسعة في هذا البروتين لديّ، لم أستطع أن أحدد ماذا كانت، لكن جرى إدخال ما يصل إلى 89 كيلو بايت من الأزواج القاعدية، ما يساوي رواية فعلية من الشفرة.

بعد ذلك، فتحت التقرير المتعلق بالتغيرات في AAVS1، ذلك المسافر الجينومي الجوّال القديم عديم الضرر، والموقع المثالي لإضافة الحمض النووي من دون أذى.

هه، ملت إلى الأمام. كانت التغيرات في AAVS1 ضئيلة؛ خط قصير من شفرة جينية جديدة دخلت على الذراع الطويلة للكروموسوم رقم 19.

خط طوله 156 زوج قاعدي فقط.

ربما اثنان وخمسون شفرة وراثية لو ترجمناه إلى بروتين.

ووفقًا لقراءات التسلسل الجيني، أُدخلت الشفرة في الجينوم بكل خلية في جسمي، عمل فذ صعب، عمل غير عادي. ورغم أن الشريط الوراثي كله متضمّن في كل خلية في الجسم، فإن حصص تلك الشفرة التي تعبر عنها كل خلية بشكل فعلي تتحدد بوظيفتها البيولوجية المتخصصة. تحتوي كل خلية في جسد المرء التعليمات الخاصة بلون عينيه، لكن التدخل بنظام سايث لتعديل لون العينين سيستهدف فقط الحصة الضئيلة من الخلايا المؤثرة فعليًا على صبغ القزحية.

إذن لماذا يجري استهداف الخلايا كلها؟ لجعل الأمر حتميًا؟

قلت: "ربما ذلك..".

حدقت كارا إلى التسلسل الجديد للحمض النووي.

ث س س س س س س س س ج أ س س س س س س س س أ س ج
س أ س س ج س أ س س س س س س س س س س س س س س أ
س س ج س أ س س س س س س س س ج ج أ س س س س س س س
ج ج ج ث س س س س س س س س س س س س س س س س س
س س س س س س ج أ س س س س س س س س س س س س س
ج س أ س س س س س س س س س س س س س س س س س س
س ج ج ث س ج ج أ س س س س س س س س س س س س س

سألتني: "أعتقد حقًا أن هذه الحروف تشكّل رسالة؟".

- ربما، تعديل الملاذ الآمن الآخر تضمّن إدخالاً لنحو مائة كيلو بايت، ستكون تلك رسالة طويلة جداً. هذه الرسالة أقصر من أن تكون جيّناً جديداً، والبروتين الذي تشير إليه لا معنى له.
- ماذا بعد ذلك؟

- يمكن قراءة الحمض النووي في اتجاهين، وهناك ثلاثة أطر للقراءة في كل اتجاه. سأفترض، حالياً، أن هذا يتبع تقاليد عمليات الإدخال، وهو ما يعني أنه ينبغي لنا أن نقرأها من اليسار إلى اليمين، لذا علينا الآن أن نتوصل إلى طريقة لتحويل الرسالة البيولوجية إلى رسالة بشرية.

- أي أفكار؟

- ولا واحدة.

كان موت أخي أول صدع في هوة ستبتلع عائلتنا كلها. كنت في الثالثة عشرة، وبعد عامين، انتحر أبي في صباح ضبابي على قمة جبل مونت ديابلو، شرق منطقة خليج سان فرانسيسكو. ورغم كل الخسارات التي عانيتُها بالفعل، كان قيام أمي بتزوير انتحارها لاحقاً أمراً من المتعذر فهمه بالنسبة إليّ.

بعد رحيل أبي، تركت كارا الدراسة في جامعة كورنيل، حيث كانت تسعى إلى نيل درجة في تكنولوجيا المعلومات، وتطوعت في الجيش؛ انضمت إلى القوات الخاصة. وقتها كان كل ما قالت: "أريد أن أفعل شيئاً بالفعل".

عندئذ لم يكن هناك غيري أنا ومiriam، إلى أن أطلق جرادنا بالخطأ مجاعة ضربت العالم.

وبعد موت أمي وسجني، كنت أنا فقط.

كل هذا جعل من الليلة شيئاً خاصاً. رغم أن الظروف كانت أقل من أن توصف بالمثالية، فإن سنين مرّت منذ كان عليّ أن أقضي الوقت مع أختي الكبيرة.

تناولنا كمية من الطعام الجيد والسيئ على سريرينا وتحدثنا، كانت قد قابلت بـث وآفا مرتين فقط، وحكيت لها كل شيء عنهما، حكيت لي عن حياتها في مونتانا.

ذهبت إليها هناك مرة واحدة مع نادين. كنّا قد توقفنا قرب كوخ كارا بعد هجوم في مدينة هيلينا، جلسنا في شرفتها الأمامية ننصت إلى الأياثل وهي تتغو عبر الوادي. كان الوقت صيفاً، ليلة لطيفة الحرارة، والسماء منيرة بالنجوم، تحدثنا عن الحياة والعمل والعائلة، كان لطيفاً أن أرى انسجام نادين مع أختي.

لقد شعرت بهذا تلك الليلة وشعرت به هذه الليلة - وجودي مع أختي يطفى ظمأً تطوريّاً، حاجة أولية جينية إلى الانتماء إلى قبيلة.

كانت الإنسانية الأخرى الوحيدة التي تفهم فعلاً ما أمرُّ به من تحول، وهي أيضاً الإنسانية الوحيدة التي تفهم حقاً ماضي.

سألتها: "هل فكرت أبداً من قبل الاستقرار؟".

- أطفال؟ زوجة؟

- شيء كهذا.

سألتني: "هل يزعجك أنني وجدت طريقاً مختلفاً للسعادة؟".

- تفترضين أنني أعتقد أن الأطفال والزواج يساوون السعادة، الارتباط؟ طبعاً. السببية؟ لا. هل أنت سعيدة؟

- قبل كل هذا، كنت سعيدة كما كنت دائماً. عشت في كوخ بنيته على ارتفاع سبعمائة قدم في الجبال أعلى شاهد صخري.

كنت أتزلج في الشتاء، وأصيد السمك بالشص في الصيف، وأصيد الحيوانات في الخريف. أنت جئت إلى هناك ورأيت. قلت: "أتمنى لو رأينا بعضنا أكثر، كنت لأود أن أكون جزءًا من حياتك بشكل أكبر".

- يا صاحبي، أنا لم أعد الأخت الأكبر التي اعتدت أن تلعب معها الغميضة وتبني معها الحصون بالملعبات.

- من تكونين؟

"الآن؟ هذا سؤال شيق. قبل أن تلتسني النحلة، اعتقدت أنني امرأة تبحث عن السلام في مكان خاص بي"، ثم نظرت إليّ بطريقة غريبة. "تريد أن تعرف، أليس كذلك؟" كانت الندبة تمتد من الركن الخارجي لعينها اليسرى وتتعرج أسفل خدها إلى طرف ذقنها. لمستها وقالت: "حمض الهيدروكلوريك" وابتلعت ريقها ثم أكملت: "كان معسكرًا تدريبيًا في ولاية كاشين، عاليًا في سفوح الهيمالايا، جئنا ليلاً، كانت لديهم أجهزة مراقبة بالأشعة تحت الحمراء واصطاد قناصوهم الجميع إلاي. قاموا بتثبيتتي، لم يروا من قبل جنديّة أنثى في القوات الخاصة، كنت بدعة جديدة نوعًا ما بالنسبة إليهم.

احتُجزت في قفص معدني يكفي بالكاد لوقوف، وكنت مغماة العينين أغلب الوقت، عرضوني لأربع عمليات إعدام وهمية، وأساء من ذلك، أسوأ بكثير".

تحركت نحو سرير أختي وجلست أمامها.

حاولت أن أمسك يدها، لكنها سحبتها.

- كان أحدهم يتحدث الإنجليزية، وُلد وتعلّم في لندن. تحدثنا ثلاث مرات، في المرة الأخيرة، سألته كيف أمكنه أن يفعل الأشياء التي كان يفعلها بي. بالنسبة إلى الآخرين هم يحرقون

ويُغرقون ويرجمون ويقطعون الرؤوس، أما هؤلاء فهم بوذيون في النهاية. شيء مختلف أن تعذب وتقتل باسم إله تعتقد أنه خلق الكون، لكن معتقد هؤلاء الأساسي أنه لا يوجد شيء ثابت، لا شيء دائم، مفترض بهم أنهم يؤمنون بالقضاء على المعاناة.

- وماذا قال؟

- كان لديه أرق صوت، صوت عذب إلى حد كبير، قال: أحيانًا يكون عليك أن تسببي المعاناة كي تقضي على المعاناة.

وصمتت لبرهة.

لم يكن هناك إلا صوت تليفزيون في غرفة مجاورة يتسرب عبر الجدران النحيلة، قاطعته مضخة الحرارة في غرفتنا مرة أخرى.

تساءلت في نفسي إن كانت ذاكرتها تعزّزت كذاكرتي. كان لدي الكثير من اللحظات المظلمة في ماضي والتي يمكنني الآن أن أعيشها من جديد باكتمالٍ وحشي، لكن لا شيء يشبه ما وصفته لي للتو.

قلت: "أنا آسف جدًا لما حدث لك..".

- وأنا أيضًا.

- أما زلت على اتصال بالناس الذين أنقذك؟

ابتسمت كارا: "هم بعض أفضل أصدقائي".

أيقظتني أصوات السارينات في منتصف الليل، وعندما هرعت إلى النافذة، جذبت كارا بندقيتها الآلية من تحت سريرها.

عبر النافذة المكسوة بالثلج، راقبت عددًا من سيارات الشرطة الكهربية وسيارة إطفاء تتسابق على الطريق الرئيسي. ورغم أن قلبي

تمتت كارا من السرير: "ماذا تفعل؟".

قلت: "ثانية واحدة..".

لو قصدت أُمي أن تبعث إليّ برسالة عبر شفرتي الجينية، كانت لديها مشكلة يجب أن تتغلب عليها، كيف تتواصل باستخدام أربعة رموز فقط؟ وكيف تنشئ شفرة بـ أ، س، ج، ث لا يمكن أن يكتشفها إلا شخص يبحث عنها؟

اقتربت كارا، ووضعت يدها على كتفي.

رفعت عيني إليها وقلت: "ماذا لو لم تكن الثاءات والألفات تمثل بالفعل حروفًا أو رموزًا أخرى؟".

- ولمّ لا؟

- لأنها لا تتكرر أبدًا. ربما الغرض منها الإشارة إلى بداية كلمة أو... "وفجأة، رأيت كيف أنشئ شفرة بديلة بناء على حروف الحمض النووي الأربعة، "يا إلهي!".

- ماذا؟

قلت: "لو أنشأت هذه الشفرة، ما الوجدتان الأساسيتان للتواصل الضروريتان كي تشير إليهما هذه الشفرة؟".

- الأرقام والحروف.

- ماذا لو أن الثاءات والألفات تشير إلى ما سيكون عليه الرمز التالي؟ أحدهما -الألف- يعني أن الرمز سيكون رقمًا، والثاء تعني أنك يجب أن تمضي خطوة أخرى وترجمي الرقم إلى حرف أبجدي.

- تقصد أن واحدًا يساوي أ، واثنين يساوي ب، وهكذا حتى نهاية الأبجدية؟

- تمامًا.

تساءلت كارا: "إذن حروف الجيم والسين تمثل أرقامًا؟".

- هكذا كنت لأفعلها. ولو كان لدي فقط رمزان كي أكتب بهما أي رقم، كنت لأستخدم شيئًا مثل نظام الأرقام الرومانية، لنفرض أن ج تساوي خمسة، وأن س تساوي 1، أو العكس، انظري إلى التسلسل الأول.

كتبت: يث س س س س س س س ج.

"افرضي أن ث تعني أن س س س س س س س ج تكون رقمًا. يمكن أن يرمز التسلسل إلى اثني عشر أو ستة وثلاثين، أو يمكن أن تشير الثاء إلى أن التسلسل يشكّل حرفًا، ما يعني أن نقوم بعملية أخرى لنحصل على حرف من الأبجدية. فليكن حرف اللام أو... انتظري، لا" تفحصت الشفرة مرة أخرى، مبتسمًا الآن: "نعم، لو أن نظريتي صحيحة، فأنا أعلم ماذا تكون السين والجيم، ج يعني واحد، س يعني خمسة".

- متأكد؟

- انظري إلى التسلسل الثاني: أ س س س ج. لنفترض أن س يساوي واحدًا، لن تكتبي رقم ثمانية بهذه الطريقة بالأرقام الرومانية، ستكتبينه ج س س س.

- إذن ج يساوي واحدًا، سين يساوي خمسة.

- لنفترض ذلك حاليًا، ما يعني أن السؤال البارز الوحيد هو: إلام يرمز الثاء والألف؟ بناء على افتراضنا أن الجيم واحد والسين خمسة، يجب عليّ فقط أن أحل هذه الشفرة كما لو أن الثاء تمثل حرفًا، والألف رقمًا، وبعد ذلك أقوم بعملية التحويل.

قالت: "لا يمكن أن تشير الثاء إلى حروف..".

نظرت إلى التسلسل الأول مرة أخرى: "أنتِ على حق" سبع سينات تتبعها جيم واحدة تساوي ستة وثلاثين، أعلى من أن تتطابق مع أي حرف من حروف الأبجدية.

صنعت إبريقًا من القهوة، وبينما كانت تغلي، ألقيت نظرة على الخارج مرة أخرى عبر الستائر، كان الثلج قد توقف، الساعة الثامنة صباحًا، والمدينة تستيقظ.

عدت إلى الطاولة وبدأت عملية تبديل النيوكليوتيدات، جاعلاً
الثناءات تشير إلى أرقام، والألفات تشير إلى حروف.

تحولت الرموز التسعة الأولى إلى رقم 36.

وشكلت التسلسلات الخمسة التالية كلمة: نقطة.

أسرعت بتبديل البقية.

36 نقطة 5625 شمال 106 نقطة 217777 غرب

- كارا، حللتها.

أخذتُ رشفة من القهوة بينما اقتربت كارا وحدقت إلى شاشة الحاسوب.

مكتبة

t.me/soramnqraa

قالت: "إحداثيات؟".

- نعم.

جذبت مقعدًا إلى جواري، ووضعت الحاسوب المحمول أمامها،
وفتحت محرك بحث.

داخل مربع الاستعلام كتبت: 36.5625 ش، 106.217777 غ.

ملنا نحو الشاشة، منتظرين تحميل الصورة التالية.

ظهرت خريطة.

التصقت أيقونة رأس الدبوس لنظام الجي بي إس ببقعة خضراء.

قلت: "لا يمكنني تحديد هذا المكان..".

قرّبت كارا الصورة.

إلى أن أبرزت الشاشة كلمات (غابة كارسون الوطنية).

قرّبت كارا الصورة أكثر، وأخيراً، رأيت اسمًا ميزته:

سانتا في.

كانت الإحداثيات تشير إلى غابة وطنية على بُعد نحو ثمانين ميلًا شمال-شمال غرب من سانتا في، نيو مكسيكو.

صغّرنا الصورة من جديد عائدين إلى مؤشر تحديد الأماكن، وغيرنا الشاشة إلى رؤية القمر الصناعي. كانت صورة فائقة الدقة لأشجار دائمة الخضرة بها القليل من الذؤابات الصفراء التي أشارت إلى شجر الحور الرجراج.

حركت الصورة حركة دائرية، باحثًا عن شيء، أي شيء، مثير للاهتمام.

قالت كارا: "أرى أشجارًا فقط..".

- وأنا مثلك.

- ما هي احتمالات أن تكون هذه الشفرة ألقت بأرقام عشوائية تصادف فقط أن تكون إحداثيات جي بي إس لمكان حقيقي؟

- احتمالات ضئيلة للغاية، لقد أوضحت النقطة والغرب والشمال.

- لكن هذا موضع ضائع في اللا مكان، لا أرى أي مبانٍ أو بنية تحتية.

- قد يكون هناك شيء فائنًا في الظلال، أو ربما هي فقط صورة قديمة.

نظرت كارا إلى الإحداثيات مرة أخرى: "ثانية واحدة من خط العرض تساوي مائة وواحد قدم، ثانية واحدة من خط الطول تساوي ثمانين".

قلت: "هذه الإحداثيات لا تحيط إلا بثمانية آلاف قدم مربع، ليست مساحة كبيرة".

تساءلت كارا: "ما هذا؟".

- لا أعرف، أتريدون أن ننطلق في رحلة بالسيارة إلى نيو مكسيكو ونكتشف؟

ومض حاسوب كارا بإنذارٍ، لقد تركت طائرة من دون طيار للتو عبوتين من الحشوات الجلدية أمام باب غرفتنا بالنزل.

قصصت وصبغت شعري في حوض الحمام، تحوّل إلى اللون أسود، مفارقًا الرمادي الذي صار إليه بعد أن أتممت الأربعين. وبعد أن قضيت من غير قصد أكثر من ثلاثة أسابيع من دون حلاقة منذ سجنني في المزرعة، صارت لديّ لحية لطيفة ما زالت تحتوي مزيجًا من الأبيض والرمادي والأسود، صبغتها كلها بالأسود كي تتوافق مع الشعر.

سيساعد تغيير لون الشعر على إخفائي عن أعين البشر، لكن كاميرات المراقبة وعالم الطائرات من دون طيار حاملة برامج تمييز الوجوه لا تقوم بالمسح بحثًا عن علامات مميزة عادية مثل لون الشعر أو العين، شكل العين وشحمة الأذن، المسافة بالمليمتر بين طرف عين وطرف فم، بنية العظام.

حضرت حلقتين دراسيتين حول تقنيات تمييز الوجوه الناشئة في السنوات الخمس الأخيرة، وصارت لديّ الآن قدرة على الوصول إلى كل كلمة في خريطة ذاكرة عقلي.

استخدمت كُحلًا شبه دائم مد طول عينيّ بشكل مصطنع ولخلق الوهم بأنهما أكبر وأقرب.

على عكس البوتوكس (سم عصبي يسبّب شللًا هازمًا للتجعدات في المناطق المستهدفة من الوجه)، كانت الحشوات الجلدية تملأ ببساطة المساحات الفارغة بسبب التقدم في العمر بمادة رخوة جيلاتينية تُحقن تحت الجلد.

مقارنةً باختراقي السري لخوادم الجي بي إيه، كانت إحاطتي بغصال الحشوات أكثر رعبًا بكثير. وفقًا لمخاطر خاصة بتعقيدات جمالية وصحية، جرى التحذير من الحقن الذاتي مرارًا وتكرارًا.

شاهدت كل فيديو تعليمي استطعت أن أصل إليه، مع التركيز على المرضى الباحثين عن تغيرات دراماتيكية في ملامح الوجه، درست كيف كان الأطباء المحترفون يمسكون الإبر، وأي المنتجات يُوصى بها لأي الملامح، وجرعات الحقن المناسبة، ومواقعه.

وحان الوقت أخيرًا.

أعددت الإبر وحقنت نفسي في نثرتي (الشق العمودي بين قاعدة أنفي وحافة شفتي العليا) وحواجبي وشحمتي أذنيّ، وفي زوايا فمي. لم يبدُ أن أي حقن مفرد صنع فارقًا كبيرًا، لكن التأثير التراكمي كان عميقًا.

حدقت إلى النتيجة النهائية منعكسة في مرآة مشروخة في غرفة النزل. لم أبدُ شبيهًا لذاتي، ورغم أنني لم أكن لأشعر بالراحة لو خاطرت بمواجهة الأمن المشدد ونظم المراقبة في مطار أو محطة قطار، شعرت

بالثقة بأن في إمكاني الذهاب من دون أن يكشفني أحد إلى حيث كان
يجب أن نكون أنا وكارا.

أخيراً ناديت أختي: "لقد انتهيت! مستعدة لتغيير وجهك؟".

6

وصلنا إلى مدينة سانت لويس مع حلول الليل، أوقفنا السيارة في محطة شحن، وخرجنا بحثًا عن مطعم مفتوح وسط كل واجهات المحال المغلقة.

كان الأثر الأخير لقوس البوابة -برج مائل ارتفاعه سبعون قدمًا ملفوف في قشرة من الفولاذ المقاوم للصدأ- يومض في ضوء الشمس الغاربة. كان قد دُمر في عاصفة منذ سبع سنين، وبدلاً من إعادة بنائه، رأى المحافظ أنه من الأفضل إنفاق هذه الملايين على قوائم الطعام والمساعدات لأحياء سانت لويس الأخرى التي دمرتها العاصفة.

وجودي في العالم بعد ما حدث لي من تحسين كان خبرة مذهلة، تشبه ما تخيلت أن يكون عليه الحال عند رؤية الألوان لأول مرة.

كل شيء أوضح وأكثر سطوعًا، والتناقض بين الدرجات أعلى.

اجتذبني الناس على نحو خاص.

مررنا بعازف جؤال ينوح على آلة الساكسفون، ولم أستطع التوقف عن التعامل مع كل تفصيلة ضئيلة: بقع الشمس على وجهه، معدل تنفسه، ملابسه، القبعة الرثة المقلوبة طلبًا للعطاءات، وفرة ندوب الشظايا بامتداد رقبتة، كيف كان يفضل ساقه اليسرى بطريقة أشارت إلى إصابة قديمة -استطعت فعليًا أن أرى انفجار القذيفة الذي تلقاه في جانبه الأيمن، وكان هذا قبل أن أميز جزءًا من وشم يطل من تحت كم قميصه الأيسر، هلب من شعار مشاة البحرية الأمريكية المكون من نسر وكرة أرضية وهلب- وفجأة تجسد بورترية للرجل. لقد حارب في أوكرانيا، وجُرح، وعاد إلى الوطن لتستقبله هيئة شؤون المحاربين القدامى البائسة، بمعاشها الهزيل، ورعايتها الصحية التافهة، ...

مرّت امرأة ترتدي فستانًا أحمر ضيقًا، وحذاءً عالي الكعبين، ونظارة شمس، وشمّة انشداد متوتر في وجهها: خدان مسحوبان، تسارع في نبضات القلب، آثار دموع ممسوحة. منذ تسع عشرة ثانية، رأيتها تخرج من حانة في مربع المباني التالي، حيث انتهت علاقة من نوع ما للتوّ.

كان الصراع الحقيقي متمثلًا في مقاومة الغرق أمام هجمة المحفزات الجديدة. بعيدًا عن الناس، كان تعقيد المدينة دائمة التغير -زوارق بخارية، طائرات من دون طيار، حركة المشاة، الحركة الجوية، الحركة البرية- كل شيء يتنازع تركيزي وفضولي، متحديًا إياي أن أستوعب الأنماط الجديدة، أن ألاحظ أشياء لم ألاحظها من قبل.

بالطبع، كانت هذه مسألة بوابات التمرير الحسي.

لم يكن الأمر متعلقًا بتخفيض الحجم لكن بتعلّم التعامل مع كل شيء في ذات الوقت، بتعلم أن أعيش وأتنفس وأنا أستوعب كل شيء.

شعرت بفضول لا نهائي.

المطعم الوحيد المفتوح كان مكانًا يقدم البيتزا المطهّوة على الحطب. إطلالة على نهر المسيسيبي والجسور السبعة التي وصلت بين ضفتي النهر في المنطقة القريبة من وسط المدينة.

أكلنا بسرعة، متلهفين كي نعود إلى استكمال طريقنا.

جاء الآن دوري في القيادة.

سلكنا الطريق السريع آي-44 عبر ميسوري عندما هبط الليل.

شعرت بالسعادة لأني أقود في الظلام، بوجود محفزات أقل تجذب انتباهي بعيدًا عن الطريق.

نامت كارا قبل مرور ساعة، وعندئذ صرت أنا وحدي مع أفكاري والطريق المنهوب أسفل الأضواء الأمامية للسيارة شبه الصامتة.

فكرت في أمي.

لقد عادت إلى أمريكا بعد أن أفلت منها زمام الأمور في الصين. في فترة جهلي، لم تكن لدي أي فكرة كم فشلنا فشلًا ذريعًا، ظننت فقط أن تجربة الجراد قد فشلت.

بالطبع كانت تعرف تمامًا ما هو آت.

كانت تعيش في بيتنا العائلي في بلدة إلموود في بيركلي، وهو ما وجدته أمرًا غريبًا وحزينًا للغاية. مع رحيل أبي وماكس، وتنقّل كارا وراء البحار، لم يساعد الصمت في المنزل إلا على تذكيري بكل ما فقدناه.

كبسولة زمنية تبين البُعد الذي سقط إليه آل رامزي.

ثمّة ألم في اكتمال الذاكرة.

لم أكن لآتي قط لو لم تستدعني أُمي.

تُعد لنا العشاء، ونجلس إلى مائدة غرفة الطعام القديمة في نوع ما من الصمت التراجيدي.

لا نتحدث عن شينزين أو ما يفعله جرادنا بحقول الأرز.

أُمي نادرًا ما يصيبها الحنين، لكن الليلة تثبت أنها استثناء.

تسألني عن لحظاتي المفضلة في أثناء صباي هنا.

بل وتشاركني بعض لحظاتها.

وبعد ذلك تقول لي شيئًا لم يسمح لي حتى عقلي المتوسط أن أنساه: "لا تمضي الحياة فعليًا بالطريقة التي تريدها أو تتوقعها. عادةً، حتى حصولك على ما أردته بالضبط يتبين أنه لم يكن ما أردته بالفعل. لذا يا ولدي، لو حدث أبدًا أن وجدت شريحة من السعادة والسلام، كن ممتنًا فقط وعش. لا تصبو إلى المزيد، لأن هذه الشريحة أكبر مما يجده أغلب الناس أصلًا".

أسألها: "هل هذا ما فعلتيه؟ أردتِ المزيد؟".

لن أنسى أبدًا الطريقة التي حدتني بها عبر المائدة.

فيما بعد، ستجلس على البيانو الجراندي الصغير وتعزف مقطوعتي المفضلة: "تروميري" من مجموعة (مشاهد من الطفولة) لشومان. هي ثلثة قبل هذه اللحظة، والبيانو غير مدوزن قليلًا، وبعض نغماتها تندغم معًا.

أذكر أوقاتًا أخرى أفضل، عندما كانت تعزف من دون أخطاء من أجل عائلتنا كلها - ليالي الكريسماس أو السنة الجديدة أو مجرد ليال عشوائية عندما كنّا جميعًا وسعداء وفي نعمة الجهل بأن هذا لن يكون الحال دائمًا.

تعرض أمي أن تُعد لي سريرتي القديم، لكنني أتحجج بحاجتي إلى الرجوع إلى غرفتي في السكن والمذاكرة لامتحان نهائي وشيك. لذا تصحبني إلى الباب، وعلى العتبة تعانقني.

ثمّة ضراوة في الطريقة التي تحتضني بها، كأنها تتشبث بشيء ينفلت بعيدًا بلا هوادة.

تقول: "ستكون الأمور بخير.." لا أفكر كثيرًا في هذه العبارة لحظتها، أظن أنها شربت أكثر من اللازم وعلقت في دوامة نادرة من العاطفية.

بينما أسير إلى سيارتي، أسمع الباب ينصفق ورائي.

الهواء معطر بأريج النعناع والصنوبر والعسل الصادر عن شجرة اليوكالبتوس الكبيرة المشرفة على الحديقة الأمامية، رائحة مرتبطة على نحو لا ينفصم بطفولتي وأعمق إحساس بهويتي.

لا أعرف هذا وقتها، لأنك في الحياة لا تدرك أبدًا غالبًا متى تعيش في فصل أخير - لكنني لن أرى أمي مرة أخرى أبدًا.

بعد ثلاثة أيام، ستقود سيارتها وتخرج بها عن الطريق السريع رقم 1 وتغطس بها ألف قدم في المحيط الهادي.

بزغ الفجر على مروج شمال تكساس.

كان صباح الكريسماس.

كنت ما زلت أقود السيارة، وبسبب الطفرات في جينات معينة، لم أكن متعبًا حتى ولو من بعيد.

تخلّيت أَسْرَقي، زوجتي وابنتي، ولم يكن هناك أي خلل في عين العقل يحول دون استحضار وجهيهما. رأيتهما بوضوح كما لو كانتا معي بجسديهما.

تساءلت ماذا كانتا تفعلان من دوني، وبينما كانت عينايتُمثلتان بالدموع التي تكسر فيها نور الصباح، أخذتُ الشعور الخام الذي كان يتخللني ودفعته به داخل القفص العقلي الذي كانت جدرانُه تزداد مِنعة كل يوم.

كرهت القيام بهذا.

كل مرة، كان الأمر يزداد سهولة، ورغم أن تحويل قلبي إلى حجر في هذه المرحلة كان ما زال عملية واعية مُجهدّة، استطعت أن أتخيل وقتًا في المستقبل غير البعيد تمامًا عندما يصبح التحكم في الشعور وكتبه طبيعة ثانية.

توقفنا في مدينة أماريلو لنشحن بطاريات السيارة، وخطفنا الإفطار عند حافلة طعام على جانب الطريق، واستكملنا طريقنا عبر البراري السابحة في نور الشمس.

في نيو مكسيكو، تحولت الطبيعة إلى الجذب.

في غضون ساعة، رأيت أربعة صواريخ تنطلق إلى الجنوب الغربي من قاعدة إطلاق المركبات الفضائية بالقرب من مدينة تروث أور كونسكيوينسيس - حيث يقضي المليارديرات صباح الكريسماس في مدار قريب من الأرض.

قرب وقت الغداء، كنّا ندخل الأرض الصحراوية العالية بالقرب من سانتا في، المدينة المختلفة، كما يسمونها، كانت ثاني أقدم مدينة

في أمريكا. عندما اقتربنا، اختبأت سانتا على مرأى من الجميع، حيث امتزجت الأبنية الواطئة ترابية اللون بالتلال البنية في هدوء.

دخلنا الساحة واستأجرنا جناحًا في فندق ضخم مبني من الطوب اللبن اسمه (لا فوندا). في البهو، تدلت المصابيح من الدعامات الخشبية المكشوفة، شجرة ارتفاعها عشرون قدمًا، وعائلات في كل مكان يرتدون سترات بشعة.

نمت طوال ما بعد الظهر واستيقظت بشهية مفجوعة.

عندما حل المساء، خرجنا بحثًا عن وجبة.

بدا من الطيب السير في الشوارع المتعرجة التي بدت متجمدة في الزمن. بدا أن هذه المدينة السياحية تتيح خبرة معاينة أمريكا قبل الكساد الكبير - فرصة أن تكون في مكان ما زال المستقبل يبدو فيه أشبه بالمستقبل.

توهجت أشجار الكريسماس عبر نوافذ البيوت المشيدة من الطوب، وعطرت رائحة دخان الحطب المتصاعد من المدافئ الهواء البارد النظيف. كانت الجبال شرقي المدينة بادئة للتو في التوهج تحت نور قمر صحراوي. توجعت من الحنين، وللحظة، تركت الوجد على حرите.

تناولنا العشاء في مطعم تاباس⁽¹⁾ مجاور للساحة الرئيسية، وكانت الأسعار باهظة بشكل فظيع بما أنه كان يزهو بقائمة طعام من البروتين غير الصناعي.

(1) أطباق صغيرة بها سبيط محمر أو زيتون أو جبن. تمثل جزءًا لا يتجزأ من المطبخ الإسباني، وتعني باللغة العربية «الأغذية» جمع «غطاء». تقدم عادة مع البيرة أو النبيذ كمقبلات أو وجبات خفيفة بين الوجبات الرئيسية لتخفف وطأة الجوع.

تساءلت كارا: "أظن أنه ليس تمامًا بالكيفية التي تخيلتها للكريسماس هذا العام؟".

هززت رأسي وأخذت رشفة من نبيذ (ريبيرا ديل دويرو) الممتاز. كان من المستحيل تقريبًا أن تجد نبيذًا إسبانيًا، بما أن مناطق النمو الأساسية انتقلت إلى الشمال، لذا لم يعد هناك إنتاج لكثير من مصانع النبيذ الأيقونية.

كانت خبرة تذوق نبيذ فاخر بعد التحسين تُذهب العقل، لطالما فكرت أن لديّ ذائقة جيدة، لكنني الآن كنت أسجل انفجارًا من النكهات والروائح وأجد أن بمقدوري تذوقها فرادي وجماعات، في نفس الوقت - التراب ونور الشمس والثمار السوداء المغبرة وبتلات الورود والتغلغل المذهل للبلوط⁽¹⁾ والزمن. سألتها: "ماذا كنت لتفعلي الليلة؟".

تناولت كارا شريحة من الخبز بالطماطم عليها قطع من لحم الخنازير المتبل المقدد.

قالت: "يتوقف الأمر على الطقس، إذا كانت تمطر ثلجًا، أبقى في البيت، أصنع نبيذ الدافئ الشهير، أتفرج على فيلم (سانتا الشرير). لو كانت الطرق جيدة، سأقود سيارتي إلى البلدة، أشرب بضع كؤوس مع جمهور الكريسماس ممن لا يملكون مكانًا آخر للذهاب إليه غير حانة المورو، لا" صحت نفسها: "كان هذا ما لأفعله قبل التحسين، أما الآن؟ كنت لأبقى في البيت وأقرأ وأفكر".

سألتها: "هل تحسنت ذاكرتك بدرجة تقارب الكمال؟".

(1) يستخدم البلوط في صناعة النبيذ لتغيير اللون والنكهة، لمحة التانين والملمس في النبيذ. يمكن إدخاله في شكل برميل في أثناء فترات التخمير أو الشيخوخة، أو كرقائق أو عصي طافية حرة تضاف إلى النبيذ المخمر في وعاء من مادة مثل الفولاذ المقاوم للصدأ.

- نعم.

- وأنا مثلك.

قالت: "هذا صعب؛ قامت حياتي في مونتانا على مفهوم أن أنسى من كنت، من أين جئت" نظرت كارا إليَّ عبر الطاولة، وقد بدت ندبة وجهها شائهة في نور الشموع. "ثمّة ذكريات أحب أن أفقدها إلى الأبد. أنت تمر بوقت صعب، أليس كذلك؟".

كنت أعرف ما تعني.

قلت: "عواطف؟".

أومات برأسها.

- نعم.

قالت: "هناك أشياء يمكنك أن تفعلها..".

- أعرف، أفعلها.

- وهي تزداد سهولة.

- هذا ما يخيفني.

- لماذا؟

ألقيت نظرة على الطاولة المجاورة لنا، رجل وامرأة يسترقان السمع لحديثنا، أظن أن ما جذب انتباههما لم تكن الكلمات التي كنّا نقولها، بل سرعة تبادلنا للحديث.

عدت بنظري إلى طاولتنا وقلت بهدوء لكارا: "ينبغي لنا أن نجري حديثنا بسرعة عادية".

- صحيح.

أجبت عن سؤالها، مجبراً نفسي على الحديث ببطء أكبر وبتأنٍ: "يخيفني لأنني أخشى من فقد القدرة على الشعور العميق بالأشياء". قالت: "قل لي ميزة الشعور العميق بالأشياء، ألا يلقي الشعور غشاوة على المنطق والعقل؟".

- إلى حد ما. المشاعر أيضاً هي جوهر الرحمة والتعاطف، نحن نغدو قادرين على عقلنة أي شيء، ربما تساعد العاطفة في المراجعات والتوازنات.

- صحيح، أو ربما أنت خائف فقط من تجاوز أحبابك.

أتى المزيد من الطعام.

تطلب الأمر كامل قوة إرادتي كي أفلتر الحوارات السبعة المختلطة في نطاق سمعي والروائح التي لا حصر لها التي هبّت من الأشخاص الآخرين، ومن المطبخ، ومن الطاولات.

سألني كارا: "أأتمنى لو لم تحظَ بهذا التحسين؟".

- هذا سؤال صعب، أخيراً حصلت على العقل الذي لطالما أردته.

رشفّت من نبيذها، "لا بد أنه كان أمراً صعباً".

- ماذا؟

- الجري في دوائر أُمي، عارفاً أنك لا تستحق أن تكون هناك.

- أتعرفين أنني شعرت بهذا الشعور؟

- طبعاً، لدي أُمي عقل يوجد مرة واحدة في كل جيل، لطالما اعتقدت أن هوسك بالسير في أعقابها أمرٌ مُهلك.

- يقول لي أطبائي النفسيون إن الأمر بسبب ماكس، عندما تفقد توأماً...

- تفقد نصف ذاتك. ساعد ارتباطك بماما على ملء هذا الجزء الآخر المفقود من ذاتك.

قلت: "فكرت فيه ليلة أمس بينما كنت أقود السيارة، أشياء نسيتها منذ زمن طويل، لحظات كنت أذكرها قليلاً، والآن كل شيء واضح جداً، ومؤلم".

ابتسمت كارا: "لا يجب أن يكون هكذا".

عدنا سيراً إلى الفندق تحت سماء عميقة الزرقة مرصعة بالنجوم.

في مركز الساحة، كانت فرقة كورال تغني. أمسكوا بشموع مرتعشة، وارتفعت أصواتهم مائلة في البرد القارس نحو السماء. لم أر اللحظة. ليس بشكل حقيقي.

رأيت القصة خلف اللحظة - حكاية مُرّرت طوال أكثر من ألفي عام عن طفل خارق أرسل لإنقاذ العالم.

لم أر البشر من قبل قط بهذا الوضوح: نوع - في مستواه الأساسي - من الحكاين.

مخلوقات تفرض قصة على كل شيء، لكن بشكل خاص على حياتهم، وبفعلهم لذلك، يمكنهم أن يصبغوا وجوداً بارداً وعشوائياً، وأحياناً وحشياً، بمعنى ملفق.

استيقظت عند الفجر على قرع أجراس كاتدرائية سانت فرانسيس الأسيزي، وهي بازيليكاً حجرية مهيبة في الجهة الأخرى أمام الفندق. سخنت القهوة وفتحت الباب الزجاجي المنزلق إلى الشرفة.

خرجت إليها.

كان الجو باردًا بشكلٍ لاذع.

وكانت سانتا في صامتة وساكنة.

بالفعل، كنت على الحافة.

وبدا اليوم حاسمًا.

انطلقنا على الطريق قبل الثامنة، مسرعين شمالًا على طريق يو إس 84، لندخل أرضًا ذات طبيعة من أكثر المناظر التي رأيتها في حياتي إذهالًا، صارت أكثر نبضًا بالحياة مع منظوري الجديد.

بدا كل شيء صافيًا وغنيًا.

كل الألوان مفرطة التشبع.

فيما وراء ضواحي سانتا في، تجلّت الصحراء.

كان الإحساس بالبراح يخطف الأنفاس.

مع كل لحظة تمرّ يكشف لون جديد عن نفسه.

مشاهد تتغير من لحظة إلى أخرى.

الضوء والظل يتبدلان على الحجر الرملي.

قيعان مجارٍ جافة.

هضاب مستوية.

آثار ملحمية.

شعرت أنني أنظر عبر الزمن بينما كنا نسرع عبر المنطقة الانتقالية بين هضبة كولورادو وصدع ريو جراندي.

رأيت طبيعة الأرض بطريقة لم تكن لديّ من قبل، طبقات عصر
الزواحف مكشوفة عند سفح الجبال، ورواسب حقبة الحياة الحديثة
تحت أكتاف الذرى.

لفترة، من بعيدٍ، استطعنا رؤية الأسطوانة البيضاء للهايرلوب
الممتد عبر الصحراء - الخط الواصل بين دنفر وألباكركي.
عبرنا أنهاراً سمعت عنها وأنا أشاهد أفلام الغرب الأمريكي مع أبي.

إلى الشرق، تحولت التلال المغطاة بأعشاب الهرمية والعرعر إلى
غابات صنوبرية، إلى ذرى عالية التمتع متألقة بالثلج أعلى خط
الشجر.

وكل هذا تحت سماء شاسعة كالمحيط، تطل على صحراء كانت
منذ 450 مليون عام -خلال العصر الطباشيري المتأخر- بحرًا ضحلًا.
توقفنا لشحن البطاريات سريعًا في أوجو كالينيتي؛ محطة الشحن
الوحيدة التي رأيناها منذ تركنا سانتا في، وتابعنا انطلاقنا.

كنت قد وضعت فاليسيتوس في تطبيقنا الخاص بالملاحة.
فاليسيتوس مجتمع غير مدمج داخل غابة كارسون الوطنية وأقرب
بلدة لموقعنا الذي حدده الجي بي إس.

وصلنا في التاسعة والنصف صباحًا لنكتشف أن فاليسيتوس ليست
مدينة ولا حتى بلدة، كانت قرية من زمن آخر. بضع مئات من
الأشخاص فقط يدعونها موطنًا، ورغم أن بعض المساكن كانت مأهولة
بوضوح، فإن عددًا مساويًا بالضبط كان متداعيًا.

مررنا بكنيسة قديمة انهارت وحدها.

وبعد ذلك أطلال حانة، تدلّت إعلانات بيرة قديمة بالنيون من
أسلاكها في نوافذ عرض بلا زجاج، وثمة لافتة خشبية تحمل اسم

(ميس أميجوس) ما زالت تتأرجح فوق مدخل يؤدي إلى لا شيء،
بهتت بفعل عقود من ضوء الشمس الشديد.

كانت كارا هي التي تقود.

وكنّت أنظر في هاتفها.

قلت: "لا توجد شبكة هواتف، لكن نظام تحديد المواقع الخاص
بالسيارة ما زال يعمل، سأدخل فقط الإحداثيات الأصلية وأرى ما
سيحدث".

حوّلت الدرجات العشرية إلى الدرجات/الدقائق/الثواني العادية،
وبعد ذلك أدخلت "36°33'45" شمالاً، "106°13'04" غرباً في نظام تحديد
المواقع.

تغيّرت الخريطة على شاشة العرض الضخمة لتُظهر موقع مؤشر
التحديد، الذي كان على بُعد 8.7 ميلاً.

قال الصوت الآلي: تحذير... نظام الملاحة الخاص بالقيادة يمكن
فقط أن يأخذك إلى حدود نصف ميل من وجهتك.

بعد ميلين خارج القرية، تحوّل الطريق من أسفلت إلى حصى
غليظ.

صعدنا تلالاً.

تكدست أشجار دائمة الخضرة على جانب الطريق.

بعد خمسة أميال، لم نكن قد مررنا ببنية أو نفس أخرى.

نحن فقط والسيارة وذيل من الغبار في أثرا.

عندما قطعنا 5.9 ميلًا، صرنا في طريق أقل عرضًا، وأكثر امتلاءً بالصخور، وبه بقع ذائبة من الثلج في الظل. كان على كارا أن تبطن كثيرًا، وصار واضحًا أن ارتفاع سيارتنا الجوجل لم يكن مناسبًا لطرق الغابات القديمة.

عندما وصلنا إلى إشارة 8.2 ميلًا، انتهى الطريق.

قال صوت مساعد الملاحة الآلي: لقد وصلت إلى أبعد ما يمكن على الطرق المعروفة، وجهتك تقريبًا على بُعد ألفي قدم شمال-شمال غرب موقعك الحالي.

أوقفت كارا السيارة.

خطوت خارجًا.

تردد صدى إغلاقي للباب عبر غابة الصنوبر.

خرجت كارا، ودارت حول السيارة إلى صندوقها، وفتحته.

سرت نحوها، ورأيت أنها قد فتحت حقيبتها القماشية الخشنة، كانت تسحب موصل جارمن بالأقمار الصناعية الصغيرة لتتبع الجي بي إس خارج الشبكة.

ناولته لي: «هل يمكنك أن تدخل الإحداثيات؟».

بينما كنت أدخل الإحداثيات "36°33'45" شمالًا، "106°13'04" غربًا في الجهاز، ألقيت كارا خزانة رصاص في مسدس جلوك، ثم وضعت داخل جراب معلق على فخذه وأمنت بمشبك مغناطيسي، بعد ذلك حشت بالطلقات البندقية الآلية التي استخدمتها لتخرجني من المحبس.

تركنا الطريق سائرين وتوجهنا إلى داخل غابة الشجر، والجهاز الموصل يقودنا في مسار شمالي.

كان الجو باردًا وصحوًا.

مال ضوء الشمس عبر الأشجار، خالقًا آبارًا من النور في الغابة.
وكان الهواء مترعًا برائحة الصنوبر والتنوب.

صعدنا تلاً هينًا.

رغم كوننا على ارتفاع يقارب التسعة آلاف قدم، لم يواجه واحد
مننا أي مشكلة في بذل الجهد؛ كان الهيموجلوبين في دمنا يستخلص
بكفاءة الأكسجين من الهواء الشحيح بفضل التعديلات التي حدثت
في الجينات المتعلقة بهذه العملية.

كانت الغابة فسيحة وقد تناثرت فيها الشجيرات والأحراش أسفل
الشجر الكبير. لو كانت معنا سيارة ذات تجهيز أفضل، لأمكننا أن
نقودها صاعدين هذا الجبل.

ألقيت نظرة على جهاز الموصّل.

كنا على بُعد ألف وربعمئة قدم من إحداثياتنا.
قالت كارا: "هناك شيء ما بالأعلى إلى الأمام..".

لم أرَ شيئًا.

- أين؟

- بعد خمسين ياردة مباشرة، رأيت بريقًا بين الأشجار.
سرنا قليلًا إلى الأمام.

وبعد ذلك رأيت سيارة نصف نقل قديمة.

كان نصفها الأمامي في بقعة من ضوء الشمس، وكانت المرأة
الجانبية المصنوعة من الكروم هي ما رأيته كارا يلمع.
اقتربنا.

لا صوت غير وقع أقدامنا على أرض الغابة المفروشة بورق الصنوبر.

توقفنا على مبعدة عشرين قدمًا.

كانت سيارة شيفروليه قديمة، صفراء وبيضاء؛ واحدة من أوائل سيارات نصف النقل الكهربائية بشكل كامل. كانت أوراق الصنوبر قد التصقت تقريبًا بالزجاج الأمامي، وكان الإطار الأيسر الخلفي مرتخيًا.

اقتربنا أكثر، وبسلاسة استلت كارا البندقية الآلية من فوق كتفها وصوبتها نحو باب مقعد السائق، الذي صار في مجال الرؤية، كانت النافذة مكسوة بالثلج من الداخل.

توقفت كارا على مبعدة عدة أقدام.

شعرت بانقباض في صدري، وهاجس بأني أسير إلى داخل فخ. مرة أخرى.

نظرت كارا إليّ وأشارت إلى الباب: "افتحه..". قالتها همسًا.

- واثقة من هذا؟

- هل لديك فكرة أفضل؟

- نعم، نغادر ونعود ببدايات واقية.

دارت بحدقتيها في عينيها وسارت إلى السيارة وفتحت باب السائق بعنفٍ.

كان هناك شخص ممدد عبر المقعد العريض.

قالت كارا: "يا إلهي!".

خطت إلى الورا مع هبوب رائحة التعفن، كنت قد قابلت نصيبي من الجثث خلال مسار عملي كعميل للجى بي إيه، ورغم أني مررت بالتأكيد بما هو أسوأ، كان هذا بشعًا بشكل وحشي.

أسندت كارا بندقيتها على الشجرة وجذبت رقبة سترتها الغليظة فوق أنفها. اقتربت أكثر، ملقيًا نظرة سريعة داخل قاع السيارة، كان مليئًا بثلج قديم قذر يغطي بقايا حمولة من الحطب.

استدرت إلى الباب الآخر.

أصدر صريرًا خشنًا وأنا أجذبه بقوة لينفتح.

كنت أتنفس عبر فمي الآن، وقد دمعت عيناى من غازات التحلل أيًا كانت التي تراكمت في كابينة السيارة.

اقتربت كارا خلفي.

كانت الجثة ترتدي سترة صوفية زرقاء، وبنطالًا من الجينز الأسود، وحذاء رياضيًا عالي الرقبة.

تهدلت كتلة من الشعر الفضي على المقعد، واستقر الرأس في تجويف الذراع اليمنى، الجزء الوحيد المكشوف من الجلد كان اليد، حيث رأيت آثار انزلاق وآبار سوداء استقر فيها الدم والمواد الداخلية المسألة.

اختفى الوجه تحت الشعر المتهدل.

في لوح الأرضية أمام مقعد الراكب، رأيت إبرة وزجاجة فارغة، استخدمت الموصل لقلب الزجاجة كي أرى البطاقة الملصقة عليها.

قلت: "مورفين..".

نظرت إلى الجسد مرة أخرى - كان هناك شيء مسالم جدًا ويائس جدًا في استرخاءه الأخيرة. للحظة نسيت السبب وراء قدومنا إلى هنا، كنت خارج ذاتي، مستغرقًا تمامًا في اللحظة، تساءلت أي حالة عقلية تجعل شخصًا يقود سيارته إلى منتصف اللا مكان ويحقن جرعة قاتلة من المورفين في عروقه.

انحنيت وأزحت في حرص الشعر من فوق الوجه.

كان الجلد جافًا، أرجوانيًا غامقًا، ومتشققًا في مواضع منه، كما لو أنه تعرض لفترات من التجمد والذوبان، كانت العينان مغلقتين، والشفتان الزرقاوان منفرجتين.

تدلت قلادة من الرقبة، وتعلقت بالمقعد الفينيل الأبيض.

ملت لأرى الحلية المعلقة فيها.

كانت حلزونًا مزدوجًا من البلاتين - بنية الحمض النووي.

أرى أوراقًا مطوية متناثرة حول الشجرة، أفتح صندوق لعبتي الليجو الجديدة، ماكس راقد على الأريكة، مرهق بالفعل من المراحل الأولى للمرض الذي سيودي بحياته في العام التالي. كارا تجرب لوحها الحاسوبي الجديد، وثمة رائحة حلوة دافئة لكعكات السكونز التي تصنعها ماما كل صبيحة كريسماس وتخبزها في الفرن. أسمع ماما تقول: "أوه يا هاز، إنها جميلة.." وأشاهدها ترفع قلادة بها حلية لحلزون مزدوج من علبة صغيرة عنايية اللون.

يقول أبي: "صنعها لي خصيصًا جواهرجي في فيلادلفيا، هيّا دعيني أساعدك"، ثم يدور وراءها ويرفع القلادة برقة فوق رأسها ويثبت المشبك بينما ترفع أمي شعرها عن عنقها.

تراجعت مترنحًا مبتعدًا عن الشاحنة.

فمي جاف.

أشرت إلى الكابينة.

خرج صوتي أجش: "أعتقد أنها ماما".

مالت كارا داخل الكابينة، وتفحصت وجه الجثة.

- كيف يمكنك أن تجزم؟

شاهدتُ صدمة التعرف في وجهها.

شاهدتُ كارا تتأهب لمواجهة موجة العاطفة العارمة، شاهدت
الموجة تحطم دفاعاتها، وعلى وجهها تتعاقب لمحات من الارتباك
والرعب والغضب والصدمة وانفطار القلب.

سرت قليلاً مبتعداً في الغابة.

جمدت الريح دموعاً سالت على وجهي.

جلستُ على أرضية الغابة في بقعة شمس.

خلفي، صاحت كارا صارخة في الجثة: "اللعنة عليك!".

انهرتُ.

ماتت أُمي.

مرة أخرى.

عندما نجحت أخيراً في الوقوف على قدميَّ مرة أخرى، كان الضوء
قد تغير، كانت الشمس أعلى، وكانت كارا جالسة على الأرض، مستندة
بظهرها على عجلة الشاحنة نصف النقل، محدقة إلى اللا شيء.

سرت نحوها، وتمهلّت أمامها.

كانت هناك خطوط من الدمع على وجهها.

والغضب يشع منها.

لم أقل شيئاً.

أخيراً نظرت إليّ.

حابسة دموعها.

وذاقنها ترتعش.

- أي نوع من الناس يفعل هذا بأبنائه؟

سألتها: "ماذا ينبغي لنا أن نفعل بها؟ نبلغ أحدًا؟ ندفنها؟".

- من تظنه يبالي بأن ميريام رامزي ميتة؟ مرة أخرى، وإذا

كنت تظن أنني سأقضي اليوم بأكمله كي أضعها في الأرض... أقول

فلننس أن هذا حدث أصلاً. نعود إلى سائتا في -ما زالت لدينا

غرفة الفندق- ونشرب حتى الثمالة، اللعنة على هذا اليوم،

اللعنة على كل جزء منه.

قلت: "أنا مستعد لهذا، لكن ثمة أمراً آخر"، نظرت إليّ كارا، رفعتُ

الموصل: "وفقاً لهذا، ما زلنا على مبعدة 1250 قدم من وجهتنا".

أخذت كارا الموصل مني وحدقت إليه.

قالت: "أليس من الواضح أن هذا ما كان مفترضاً بنا أن نجده؟".

- ربما، لكننا قطعنا كل هذه المسافة، هل يمثل ربع ميل آخر شيئاً؟

مددتُ إليها يدي وساعدتها على النهوض، ثم سعدنا التل متناقلين.

شعرتُ بالضعف.

كل خطوة مرهقة.

ما بين دفقة الأدرينالين عند اكتشاف الجثة والصدمة العاطفية

عند إدراك من كانت، لم يتبق شيء.

دخلنا فُرجة في الغابة.

نمت الأشجار بكثافة على الجانب الآخر.

غابة من أشجار التنوب أكثر ظلاماً وبرودة.

كنّا نصعد في الثلج.

اهتز الموصل في يدي، أطرقت ناظراً إلى الشاشة.

لقد وصلت إلى وجهتك.

قلت: "يقول إننا وصلنا..".

تطلعت حولي وإلى أعلى. كانت الغابة في محيط وجهتنا غير مميزة، أشجار تنوب جبلية، بضع جلاميد من الصخر، قشرة من ثلج قديم على كل شيء. غمت الأشجار متقاربة بشدة على نحو حال دون وصول نور الشمس إلى أرضية الغابة.

كان من المستحيل أن نحدد بدقة أين كنا بالنسبة إلى الإحداثيات التي لدينا.

وضعت الموصل الجارمن على الأرض ليحدد المحيط.

نظرت كارا إليّ.

قلت: "نظام الجي بي إس لا يكون دقيقًا إلا في حدود خمسة أمتار، لذا ينبغي لنا أن نوسع بحثنا إلى ستة وتسعين في مائة وسبعة عشر قدمًا مربعًا".

- سأبدأ من هنا.

توجهت نحو الأشجار.

بدأت السير.

خطوات بطيئة منهجية تهرس الثلج.

نظرت إلى الأرض.

إلى كل شجرة.

كل جلمود مررت به.

كلما غطيت مزيدًا من الأرض، بدأ شكي يزداد في أن كارا كانت على حق، لقد وجدنا ما كان مطلوبًا منّا أن نجده. إصبع أوسط مرفوع للمرة الأخيرة من ماما لأسباب ربما لن نعرفها أبدًا.

عندما انتهيت من اجتيازي الرابع لمحيط المكان وبدأت أعود في الاتجاه العكسي، سمعت كارا تقول: "لوجان".

كانت على مبعدة خمسين أو ستين قدمًا، متوارية في الشجر.

سرت عبر الثلج، متتبعًا اتجاه صوتها. عندما لمحتها أخيرًا، كانت كارا واقفة بجوار جذع مقطوع لما كانت فيما مضى شجرة صنوبر صفراء، كانت الشجرة قد سقطت منذ زمن طويل، من الواضح أنها أصيبت بصاعقة برق؛ كانت هناك ندبة حرق عبر نصف الجذع الضخم.

اقتربتُ من كارا وجِلًا.

كان ارتفاع الجذع الباقي أربعة أقدام.

مسنن، مسودّ، مجوف.

نظرت من فوق الحافة.

برز من الثلج مقبض من الفولاذ المقاوم للصدأ. نظرت إلى كارا، ثم انحنيت وأمسكت به، أيًا كان ما هو متصل به مدفون في الثلج.

- أتساعديني؟

مدت يدها، وقبضت على المقبض.

جذبنا نحن الاثنان، بأقصى ما لدينا.

بعد لحظة، انفصل عن الثلج وتراجعنا متعثرين إلى جانب الجذع، ممسكين بحقيبة سوداء صلبة، بعرض قدمين تقريبًا في كل جانب.

مختومة، لكنها على قدر ما استطعت أن أميز، لم تكن موصدة.

وضعتها على قاعدتها.

بدت باهظة الثمن، مانعة لتسرب الماء، مضادة للصدمات، مضادة للغبار.

هيكلاها من البولييمر الخفيف وعدتها كلها من الفولاذ المقاوم للصدأ.

جثت كارا، ورفعت الأقفال الثلاثة.

فتحت الغطاء بحرصٍ.

في الداخل، محاطاً بطبقة من الإسفنج الأسود، كان هناك حاسوب محمول أكبر من الطبيعي، كنت قد رأيت أفراد قوات التدخل السريع يستخدمون أجهزة كهذا للتحكم في تحليق طائرات من دون طيار للتصوير الحراري، لكنني لم أتعامل مع أحدها بنفسي من قبل.

"هذا جهاز عسكري.." قالت كارا، وهي تفتح الشاشة.

- ما هي سماته؟

- يتحمل الحرارة والبرد والانفجارات، مقوَّى بالإشعاع، ثقيل جداً.

ضغطت زر التشغيل عدة مرات، لكن لم يحدث شيء.

عندما قلبت كارا الجهاز، كشفت مساحة فارغة أسفل.

قالت: "لا توجد بطارية..".

انتزعت طبقة من الإسفنج. تحتها، وجدت بطارية معبئة بالتفريغ وستة أقراص تخزين بالتضمين النبضي المرمز⁽¹⁾.

- إذا لم يفلح هذا، لديّ مقبس طاقة في السيارة.

ألقيت البطارية في مكانها من الحاسوب وضغطت على زر التشغيل مرة أخرى.

توهجت الشاشة منبعثة إلى الحياة.

(1) يُعد التضمين النبضي المرمز إحدى الوسائل المستخدمة لتحويل عينات الإشارات التناظرية إلى إشارات رقمية، وقد ابتكرت هذه الطريقة في عام 1937، وتُعد هذه الطريقة هي المُستخدمة بشكلٍ واسعٍ في نقل المواد السمعية الرقمية في أجهزة الكمبيوتر وأقراص الـ Blu-ray والأقراص المدمجة العادية والـ DVD، هذا إلى جانب استعملاتها الأخرى.

لم تكن لدي فكرة كم قضى من الوقت مستقرًا في مكانه هنا، لكنه بدا شغلاً بشكل عادي، وبعد عشرة ثوان، كنّا نحدّق إلى شاشة رئيسية فارغة في وسطها أيقونة صورة مصغرة واحدة - ملف سمعي بصري بعنوان "إلى أبنائي".

شعرت بمعدل نبضي يشطح من 78 إلى 105 نبضة في الدقيقة.

نظرت إلى كارا: "أتريد أن نفعل هذا هنا؟".

حركت المؤشر إلى الصورة المصغرة ونقرت على الملف.

استغرق لحظة كي ينهي التحميل، وانتظرنا، وكلانا جاث في الثلج أمام الحقيقة كأنها مذبح من نوع ما. ظهرت أُمنا على الشاشة.

تمتت كارا: "اللعة!".

بالنسبة إليّ كان إخبارها بأن أُمنا حية شيء، وشيء آخر تمامًا أن تراها بعينيها.

تراجعت ميريام خطوة مبتعدة عن الكاميرا، كأنها وضعت للتو هاتفًا في حامل ثلاثي، لم تكن في هذه الغابة، على هذا الجبل، كانت في الصحراء التي قطعناها كي نصل إلى هنا، وبنفس الثياب التي وجدناها ترتديها في الشاحنة.

أوحى الضوء بصباح مبكر.

كانت الريح تهب لتطير شعرها الفضي، أزاحته إلى الوراء من فوق وجهها وجلست على صخرة.

انحسر غطاء السيارة الشيفروليه البيضاء والصفراء بفضول في يسار الكادر، وكانت الخلفية أحيانًا من الصحراء الوردية تنتهي عند هضبة مستوية أرجوانية محلقة كنت قد رأيتهما في وقت سابق من اليوم.

نظرتُ إلى الكاميرا.

«لا أعرف إن كنت أتحدث إلى لوجان وكارا، أم واحد فقط منكما، لكن لو كنتما تشاهدان هذا، فأنا فخورة بكما، فهذا يعني أنكما وجدتما الرسالة التي أدخلتها في جين AAVS1، هذا يعني أن التحسين نجح».

لاحظتُ حزمة من أشجار الحور خلفها.

الأوراق صفراء فاقعة.

لقد سجلتُ هذا في الخريف... لعله أكتوبر؟

“جنت إلى هنا مرة مع أبيكما”.

وابتسمتُ.

“كنت حبلً بك يا كارا، رغم أني كنت لم أعرف بهذا بعد. كنّا في العشرينيات من عمرينا، بلا مالٍ، نقود سيارتنا من بوسطن إلى بيركلي لاستلام أول زمالة لي ما بعد الدكتوراه. أقمنا في نُزلٍ على ضواحي سانتا في اسمه ديزيرت آير. في اليوم التالي، انطلقنا شمال المدينة. لطالما أردت أن أرى طبيعة الأرض التي أنفقت جورجيا أوكيف⁽¹⁾ عمرها وهي ترسمها. هذا الجبل وراني؟”

ألقت نظرة وراءها إلى الهضبة المستوية الأرجوانية، التي ارتسمت خطوطها الخارجية على خلفية من سماء الفجر.

“هذا هو سيرُّو بيدرنال، رسمته أوكيف ثماني وعشرين مرة. وقالت ذات مرة: (إنه جبلي الخاص، يخصني، أخبرني الرب أني لو

(1) جورجيا توتو أوكيف (1887-1986) فنانة أمريكية وُلدت بالقرب من صن براري، ويسكنسن، حيث بزغ نجمها لأول مرة لدى جماعة الفنانين في نيويورك في عام 1916، وذلك قبل عقود عديدة من اكتساب النساء حقهن في الحصول على التدريب في مجال الفنون في كليات وجامعات أمريكا.

رسمته مرات كافية، يمكنني الحصول عليه) أشعر نفس الشعور
حيال عملي.

عندما تصلون إلى نهاية حياتكم، تبدوون في التفكير حول الأوقات
الطيبة والأوقات الأفضل، تلك الرحلة مع والدكما كانت واحدة من
أفضل الأوقات. ربما أنا أصبغ لحظة واحدة بالمثالية، لكنني وهاز
كنا قد أنهينا الدراسة للتو، وكان المستقبل مفتوحاً على اتساعه مثل
هذه الصحراء، لم يكن قد حدث شيء سيئ، ولم يكن هناك شيء لا
يمكن أن يحدث.

وصلنا إلى هذه القرية الصغيرة في سفوح التلال المسماة
فاليستوس. كان يوماً خريفيًا دافئًا، وتوقفنا لشرب البيرة في حانة
يبدو أنها لم تستقبل سائحين كثيرين ولا تعرف كيف تتعامل معهم،
كان اسمها ميس أميجوس".

أشاحت بناظرها إلى البعيد للحظة، ثم عادت إلى النظر في الكاميرا.
"لوجان، أجرينا أنا وأنت حوارًا منذ سنين عديدة. سألتني، إن
كان باستطاعتي، هل سأصنع مزيدًا من الناس في العالم مثلنا؟

مرّت عشرون سنة منذ تلك الليلة، وساءت الأمور أكثر من أي
وقت مضى. طوال العقدين الماضيين، كنت أعمل في مختبر صغير في
مكاني المفضل من العالم، محاولة أن أصنع شيئًا يمكنه أن يجعل كل
فرد في نوعنا أقرب إلينا، محاولة أن أمنح الإنسان العاقل شيئًا قد
يسمح لنا بالبقاء لخمسمائة، أو ألف، أو عشرة آلاف سنة أخرى.

هذه الهدية هي تحسين وراثي يرفع أداءنا المعرفي بحيث يمكننا،
بشكل جماعي، أن ندع محركات العقل ترشد سلوكنا بدلًا من وسائل
العاطفة.

إن الجينات التي دفعتنا نحو العاطفة وتيار نماذج معتقداتها ما زالت حاضرة في شريطنا الوراثي، كانت نافعة في فجر الجنس البشري، عندما لم يكن لدينا فهمٌ للكون، قادتنا إلى ابتكار الأساطير والأديان والتقاليد، وهذه الأنظمة وضعتنا بلا شك على الطريق نحو الاستقرار والتعاون.

لكنها الآن تجعلنا نتجاهل الحقائق المحيطة بنا جميعًا. الفقر والمرض والمجاعة، وكل الكراهية التي تربيناها هذه المصاعب، والتي تزداد سوءًا كل عقد - بينما نعتصر القطرات الأخيرة من موارد كوكبنا، لا يمكننا الاستمرار في العيش في حالة إنكار لما يحدث أو نتمنى أن تكون مشكلة يجب أن يحلها شخص آخر.

لم ترَ الديناميكيات أن نهايتها قادمة قطعًا، انقرضت لأنه ذات صباح، من السماء الزرقاء الصافية، اصطدم كويكب عرضه 6.2 ميلًا بشبه جزيرة يوكاتان بسرعة 67.000 ميلًا في الساعة. إن نهاية الإنسان العاقل تلوح في الأفق، يمكننا أن نراها بألف مقياس، وهذا يعني أن لدينا فرصة، لكن فقط لو قررنا أن نعمل بشكل جماعي. إذا لم يتغير شيء، سننقرض لأغبي سبب يمكن تخيله... أننا رفضنا - لأسباب طفولية كثيرة جدًا- أن نقوم بالأشياء الواضحة التي يمكننا أن تنقذنا".

تحوّل شيء ما في عيني أمنيًا.

أصبحتا نائيتين، مظلمتين.

"النسخة الأولى من التحسين اكتملت، لكن ما زال هناك عمل يجب أن يتم، أنا لم أطور آلية انتشار، ولن تواتيني الفرصة كي أفعل ذلك".

ما حدث بعد ذلك، لم أره تقريبًا في عمري كله.

أصبحت أُمي عاطفية.

شيء نادر كسقوط الثلج في صحراء.

"لأول مرة في حياتي، يخذلني عقلي، وبسبب ماهيتي، البحث عن علاج ليس خيارًا. لكن بعد أن مات مائتا مليون شخص، ربما أستحق أن يُنتزع مني الشيء الوحيد الذي أحببته أصلًا في نفسي. أنا أنسى الأشياء. أحيانًا، لا أستطيع التفكير على الإطلاق. اليوم في الحقيقة أفضل يوم عشته منذ شهور، لذا قررت أن يكون هذا اليوم هو يوم مماتي، أريد أن أقول وداعًا بشروطي، بينما ما زلت أعرف من أكون".

مسحت عينيها.

"لم أستطع تحمّل فكرة أن يموت التحسين عند خط البداية، لذا فعلت شيئًا قاسيًا. كارا، استأجرت رجلًا يوصل طائرة من دون طيار إلى كوخك، محملة بتحسيني. لوجان، وأنا متأكدة أنك تعرف قبل الآن، استأجرت هنريك سورين كي يغويك بالذهاب إلى ذلك البيت في دنفر. لا يوجد في حياتي شخص آخر يمكنني الثقة به غيركما، وأمل ألا تكون هذه الثقة قد وُضعت في غير محلها، أمل أن يكون التحسين قد أفلح، أمل ألا تكونا غاضبين مني أكثر مما يجب.

إذن يا أبنائي، لو أنكما تشاهدان هذا، اعلموا أنكما الخطوة التالية في التطور البشري. وباعتباركما الشخصين الوحيديين على هذا الكوكب اللذين يتلقيان تحسيني، في أيديكما مصير نوعنا. في الحقيقة الصلبة التي تحوي هذا الحاسوب الذي تشاهدانني فيه، ستجدان أقراص ذاكرة مرحلية بتسلسلات ووظائف التحسين الجديد رقم واحد، اعتبروا هذا إرثكما. ما تفعلانه به الآن أمر يعود إليكما".

رغم البرد، كنت أتعرق.

محاولاً أن أحيط بعقلي ضخامة ما تحتويه هذه الحقيقة الصلبة.

"آسفة بشأن الطريقة التي كان عليكما أن تجداني بها، لم أقصد قط أن أؤذي كل هؤلاء الناس. أفكر في هؤلاء الذين ماتوا كل يوم، أفكر فيكما أنتما الاثنين، وماكس، وحببي هاز. أعرف أنني لم أكن الأم التي أردتها، لكنني أحببتكما بالطريقة الوحيدة التي أعرفها". نهضت أمنا.

سقط الضوء المبكر على وجهها.

نظرت بعيداً عبر الصحراء.

"المكان جميل جداً هنا، أتمنى لو كان بمقدوركما أن ترياه معي". وبعد ذلك اقتربت من الكاميرا.

"وداعاً يا كارا، وداعاً يا لوجان".

وانكسر صوتها.

"والآن انقذا نوعنا".

مدّت يدها نحو الكاميرا.

توجهت الشاشة نحو السماء لبرهة قصيرة وبعد ذلك أظلمت.

كنّا أنا وكارا ما زلنا راكعين في الثلج أمام الحقيقة الصلبة.

لم أنظر نحوها بينما كان الفيديو شغلاً، لكنني نظرت الآن.

كان وجهها خاوياً، لا دموع، لا غضب. بدت فقط في مكان آخر.

أغلقت الحاسوب.

نظرتُ إلى أقراص الذاكرة المرحلية الستة المحفوظة في الإسفنجة بأمان، وكل قرص في حجم يدي. انتزعت كارا واحداً، تحسّست ثقله، ثم أعادته بحرص وأغلقت الحقيقة.

اندفعت الريح عبر قمم الأشجار، مصدرة صوتًا موحشًا مستمرًا.

نظرتُ إليّ: ماذا بعد ذلك؟

- أعتقد أننا يجب أن نغمر هذه الحقيبة بالبنزين ونشعل فيها النار.
ضاقت عيناها.

قلت: "حاولت ماما أن تعدل بضع حقول من الأرز وانتهى الأمر
بقتل مائتي مليون شخص".

قالت كارا: "ما فعلته بنا نجح، أفلح".

- على شخصين. ليس هذا بالدليل القاطع على أن هذا التحسين
آمن لكل إنسان على الكوكب.

- لماذا يجب أن يكون آمنًا للجميع؟ لماذا يجب أن تكون هذه
هي العتبة؟

سألتها: "هل تفكرين في هذا بجدية؟".

- إذا لم تكن مخطئة بشأن انقراضنا الوشيك، فما الذي لدينا
لنخسره؟

وقفت ونظرت إلى أختي.

- كل ما يعنيه أن تكوني إنسانة.

نهضت كارا واقفة على قدميها: "أعرف أنك كنت هناك في اليوم
الذي أطلقت فيه ماما جرادها في الحقول، ولا يمكنني التظاهر بمعرفة
كيف يكون الشعور بالملضي في الحياة بذلك العبء، لكن ماذا لو
كانت هذه اللحظة -وأنا وأنت في هذه الغابة- هي مفترق الطرق
لنوعنا كله؟ علينا أن نواجه هذا بمنطق بارد، وليس بالعاطفة، ليس
بالنوستالجيا لنوع محكوم بالهلاك. يمكننا ألا نفعل شيئًا، وتنقضي

البشرية خلال مائة وخمسين عامًا، يمكننا أن نقود نوعنا إلى المستقبل، أنا وأنت."

- يا إلهي! تبدين متغطرة مثل ماما.
- هل مفترض بهذا الوصف أن يجرحني؟
- أنت ترتكبين نفس الخطأ الذي ارتكبته، الذكاء لا يجعل الناس معصومين من الخطأ، بل يجعلهم أكثر خطورة.
- تفحصتني كارا للحظة.
- كان شيئًا صغيرًا.
- أصغر الأشياء.
- لكن فكّها ارتفع بشكلٍ غير محسوس، انقبض ما بين حاجبيها ثم ارتفع - تعبير ضئيل عن الحزن ومض وغاب في أقل من ربع ثانية.
- كما لو أنها تحاول أن تخفيه.
- تساءل صوت في رأسي: لماذا تحاول أن تخفي أنها حزينة؟
- لأنها كانت حزينة من شيء لم تردني أن أعرفه.
- ماذا تريدني ألا أعرفه؟
- جاءت الإجابة بهدوء، من دون جهد، كما لو أنها محمولة على نسيم رقيق.
- أنها ترى هذه اللحظة على حقيقتها. شخصان في برية نيو مكسيكو يحملان مستقبل البشرية في أيديهما، تعتقد أنني مخطئ وأنها محقة، ولأن الرهان هو الانقراض، هي على استعداد لأن تفعل شيئًا لا يُصدّق.
- انحنيت وأمسكت بمقبض الحقيبة الصلبة.

تساءلت كارا: "ماذا تفعل؟".

- لا يمكننا أن نتركها هنا. ألا ينبغي لنا أن نعود؟

حدقت إليّ للحظة. "لا بأس".

كان كل ما استطعت أن أفعله ألا أنظر إلى سكين الخندق المغمدة في جراب على فخذه الأيمن، والمسدس الجلوك المعلق على فخذه الأيسر في جرابه.

التفتُ بسرعة، ورفعت ياقة ستري كي لا تستطيع أن ترى شرياني السبائي ينبض بقوة.

كان معدل نبضي قد ارتفع إلى 144، ورغم أنني كنت أتحسن في السيطرة عليه، لم تكن لي القدرة على إعادته إلى المعدل الطبيعي بسرعة كافية لخداع كارا، وخفت أنها لو لاحظت معدل نبضي المرتفع، ستستدل من هذا على شكي فيما كانت تفكر فيه، وهو ما يمكن أن يُصعد من هذا الموقف قبل أن تواتيني الفرصة للتفكير في مخرج لي منه.

هل قمت بضبط نفسي في الوقت المناسب؟ هل لاحظت كارا بالفعل؟ هل كانت هناك دلائل أخرى قد تحذرنا من أن نظامي العصبي يتحول إلى استجابة الكر أو الفر؟ حدقتان متسعتان؟ توتر عضلي؟

كان للحقيقية الصلبة عجالات، لكنها لم تتدحرج على الثلج القديم. جررت الحقيقة ورائي، هابطاً التل رأساً من جديد عبر نطاق إحداثياتنا. شعرت بدوار وخفة في رأسي.

هل جُنت؟

بالطبع لم ترغب أختي التي أحببتها وأحبتني، التي عشت معها تحت نفس السقف طوال ستة عشر عامًا، في قتلي، كان هذا حقيقياً

فعلاً، هي لم ترغب في قتلي، لقد أقنعتها أننا بأهمية هذا التحسين وعرفت أنها يجب أن تتخذ قراراً هنا والآن.

لم يكن خطأها أنها أظهرت حزنها - كان يمكنها بسهولة أن تجد لها مخرجاً بتفسير آخر، مثل العثور على أننا ميتة في شاحنة أسفل ذلك التل ذاته.

كان خطأها أنها حاولت التحايل، محاولة كبت الحزن.

انحنيت وأمسكت بالموصل الجارمن عندما مررت به.

كانت خطوات كارا وراي في الثلج - على مبعدة تسعة أقدام.

عبرنا إلى أرض جافة، وصارت عجلات الحقيبة الصلبة تندرج بسلاسة ونحن نهبط التل الآن، وهي تصطدم أحياناً بالجذور والصخور.

كنت بحاجة إلى الالتفات إليها، لجمع المزيد من البيانات، لكنني كنت خائفاً أن تقرأ الخوف في وجهي وتقرر أن...

- ربما أنت على حق يا لوجان.

كانت هناك رتابة في نبرتها خطر لي أنها درعٌ وفخٌ معاً، لو استجبت، من المحتمل أن تكشف نبرتي وغط كلامي عن حالتي الداخلية.

مسحتُ خيطاً من العرق عن جبينني قبل أن يحرق عيني، وارتفع معدل نبضي بسرعة الصاروخ إلى 165، وتجاوز ضغط دمي السقف.

اهدأ. اهدأ.

أخذتُ نفساً عندما ولجنا فُرجة الغابة المشمسة.

ستقتلني في هذه الغابة. لا يوجد معنى من الانتظار بالنسبة إليها، هذا هو المكان المثالي لفعلها، ستتركني فقط مع أننا.

ورغم ذلك، لم أكن قريبًا من اليقين بأي شكل من الأشكال، لعليّ أتخيل كل هذا، أقيمه على تعبير ضئيل وحييد رأيته في جزء من الثانية.

عدت بتفكيري إلى الطريقة التي تعاملت بها كارا في المزرعة. لقد قتلت ثلاثة رجال في ثلاث ثوان. ورغم أنني كنت بالقطع أقوى وأسرع مما كنت سابقًا في حياتي، أشك في قدرتي على مجاراة سرعتها وسيطرتها وبصيرتها البدنية؛ لقد كانت أستاذة قتال قبل التحسين، ولم أكن. شككت في أن الفجوة بين قدراتي البدنية وقدراتها ما زالت واسعة تمامًا، زائد أنني لست مسلحًا، وهي تسير خلفي بسكين خندق ومسدس جلوك وقدرتها الفطرية والمضبوطة بدقة والمعززة جينيًا على الفتك.

رأيت شاحنة أمني من بعيد، على مبعدة خمس وثمانين ياردة.

لقد تركت كارا بنديقتها الآلية مستندة على الشجرة بالقرب من الشاحنة، رأيت مسارًا نحوها، نمت فيه أشجار الصنوبر متقاربة، قد تزودني بقليل من التغطية، لكن أولاً يجب أن أكسر دفاعات كارا، أن أقلل حدة تعاملها المعرفي ومرات رد فعلها، أجعلها تفكر كما اعتادت أن تفكر، وأمنح ذاتي الأضعف فرصة للقتال.

قلت فجأة: "هل تذكرين ما أخبرتني به تلك الليلة في المستشفى بعد أن مات ماكس؟".

توقفت خطوات كارا.

- لوجان.

تابعْتُ المسير.

- لوجان.

توقفتُ، ملقيًا نظرة أخيرة على مساري عبر أشجار الصنوبر،
والتفتُ ببطء.

كانت واقفة على مبعدة اثني عشر قدمًا، أعلى التل قليلًا، تحديق
إليّ، كانت في عينيها دموع، ويداها إلى جانبيها، والمشبك المغناطيسي
الذي أغلق على مسدسها الجلوك في جرابه مفتوح. كنت أعلم بيقين
قاطع أنه كان مغلقًا عندما غادرنا بقعة الإحداثيات، لقد فتحته
بهدوء بينما كانت تتبعني أسفل التل.

كان هذا كل ما احتجت إليه من تأكيد، وتأكدت أنها قرأت انفطار
القلب في وجهي، لأن عيني الآن كانتا تدمعان أيضًا.
قلت: "قلت لي...".

- توقف.
- ... أنا أختك الكبيرة، وسأكون دائمًا...
- ماذا تحاول...؟
- ...وسنعب هذه الخسارة معًا، قلت لي إنك ستكونين موجودة
دائمًا من أجلي.
- انزلق قناع سيطرتها، وللحظة عابرة بدت مثل كارا القديمة،
والصراع المعذب ينزف عبر عينيها، وفي أعقابها عزم صارم.
خففت قبضتي عن الحقيبة الصلبة، سقطت ورق الصنوبر.
- ماذا تريدني أن أقول يا لوجان؟
- أريدك أن تقولي إني أخوك وإن هذا يهمك أكثر من...
- لكنه لا يهم، أتمنى لو كان يهم، أتمنى هذا أكثر من أي شيء،
لكنها مجرد عاطفة جميلة، و...

جريت في منتصف الجملة.

بلا تحذير.

فقط التفثُ واندفعت هابطًا الجبل في المسار الملتف الذي رسمت
خريطته في ذهني لنفسي عبر أشجار الصنوبر.

سمعت كارا تهتف باسمي من مسافة ما ورائي، وكدت أتوقف،
شيء ما في صوتها -شيء من الدهشة أو جرح ما- جعلني أتساءل إن
كنت قد أخطأت القراءة تمامًا...

وعندئذ جاءت الرصاصة.

انفجرت قطعة من شجرة على مبعدة قدمين إلى يساري.

كانت شاحنة أُمي إلى الأمام مباشرة، على مبعدة خمسين قدمًا.

ألقيت نظرة سريعة ورائي، ولمحت حركة سريعة بين الأشجار.

رصاصة أخرى.

انحرفتُ يسارًا، ثم يمينًا، محاولًا أن أجعل من نفسي هدفًا صعبًا.

والآن أعدو بأقصى سرعة.

ترددُ صدى رصاصتين أخريين عبر الغابة في تتابع سريع، وشعرت
بشيء يجذب كتفي الأيسر بقوة.

استمررت في الجري، والشاحنة تقترب أكثر.

صار بمقدوري أن أرى البندقية الآلية التي أسندتها كارا إلى الشجرة.

كان كتفي الأيسر يتذبذب الآن، وفي الذبذبة ألم، ألم ينتشر في بقية
ظهري وفي عنقي.

رصاصة أخرى.

اخترقت رصاصة الزجاج الأمامي للشاحنة.

بؤرة ألم في كتفي الآن، سخونة مشعة رطبة. مددت يدي خلفي ولمسته وعادت يدي دامية، لقد أصابتني كارا.

تحسّستُ مقدمة صدري وكتفي - لا يوجد جرح خروج للرصاصة.

تباطأتُ عندما وصلت إلى الشاحنة وقبضت على البندقية الآلية ودرت حول الشجرة لأتخذها ساترًا.

كان الألم يخفق بتثاقل، وقد غطى عليه الأدرينالين. دقّ قلبي كالطبل بسرعة 203 نبضة في الدقيقة، سمعت غصينًا ينكسر في مكان ما أعلى التل.

حاولت أن أنظّم أنفاسي.

كانت البندقية ماركة بينيلي نصف آلية، استخدمتها مرة من قبل، سلاح صلب ذو سعة عادية 5+1، رغم أن كارا عدّلت هذه البندقية بخزانة أطول بكثير.

شدّدت أجزاء البندقية.

استرقت النظر من وراء الشجرة.

خيّم الصمت على الغابة.

لا ربح، لا غناء طيور، لا شيء يتحرك.

كان كتفي يوجعني كأن أحدًا ضربه بمضرب بيسبول والدم يجري منسآلاً داخل ساقي اليسرى، متقاطرًا من طرف بنطالي، ناحيًا مسارًا داكنًا عبر أوراق الصنوبر البنية المهشمة.

ألقيت نظرة ورائي.

لا شيء.

ماذا كانت تفعل؟ تدور لتهاجمني من الجانب؟ ماذا كنت لأفعل لو كنت مكانها؟

كانت لديها بندقية ذات منظار في حقيبتها القماشية - بندقية تشيتاك مفكوكة، بندقية القنص طويلة المدى في الجيش الأمريكي، يمكنها إصابة الأهداف من بُعد كيلومترين، وكانت في صندوق السيارة الجوجل. إذا كانت لا تريد المجازفة باصطيادي بالمسدس، ستتكفل هذه البندقية بالعمل، لن أراها أبدًا، لن أسمع حتى صوت الرصاصة.

أما البينيلي فهي سلاح قصير المدى، محشوة بخرطوش عيار 00 لا يكون قاتلاً إلا من مسافة خمسين ياردة، ربما عادت لتأتي بأقراص الذاكرة المرحلية، ثم ستسارع إلى السيارة الجوجل في دائرة واسعة تبقيها خارج مدى نيراني.

أسندت البندقية على كتفي بألمٍ ومسحت الغابة عبر فتحة التصويب الأمامي.

كل شيء هادئ.

نهضت متعثرًا على قدمي، مترنحًا، الرؤية غائمة، فردة حذائي اليسرى تفيض بالدم وأنا أتحرك نحو الشاحنة.

كان باب مقعد السائق ما زال مفتوحًا، زحفت داخل الكابينة، محاولاً أن أبقى منخفضًا، على أمل أن يكون المفتاح في مكان ما بالداخل.

كانت الرائحة تثير الدموع.

صعدت فوق أمتي وأمسكت بكتفيها، جاذبًا إياها خارج الكابينة بقدر ما استطعت من حرص، لكن سرعان ما تبين أنه لا مجال للتأنق أو الرحمة في هذه المهمة، كان الأمر أشبه بمحاولة تحريك جوال عملاق من الحساء والبقسماط.

جذبتها بقوة وانزلت من الكابينة وسقطت بطريقة خشنة على أرضية الغابة.

قلت: "آسف يا ماما..".

دخلتُ الكابينة وأغلقت بابيها، وملأ صريهما المعدني أرجاء الغابة.

لو كانت كارا قريبة، لو لم تكن قد جرت بسرعة إلى السيارة الجوجل، لكنت هدقًا سهلاً أمامها الآن.

والآن كل ما كنت بحاجة إليه أن تدور الشاحنة اللعينة.

على حسب تقديري، كانت رابضة هنا منذ أكتوبر، من ثمانية إلى اثني عشر أسبوعًا. عندما تقف في وضع استهلاك منخفض، وهي مشحونة تمامًا، من المفترض أن تستغرق ستة شهور قبل أن تنفذ بطاريتهـا. ولو أن أُمي توقفت في نفس محطة الشحن التي توقفنا عندهـا في أوجو كاليينتي، قبل 28.4 ميلًا، فيجب أن يكون بهـا شحن وافر، حتى في موديل قديم مثل هـذا. أما لو لم تفعل، حسنًا، ربما سأموت خلال الثلاثين دقيقة القادمة.

ضغطت زر تشغيل المحرك.

لا شيء.

حاولت مرة أخرى.

أزّت المحركات ببطء.

ثم توقفت.

"هـيّا".

ألقيت نظرة عبر الزجاج الأمامي، ومرآة الرؤية الخلفية، والمرايا الجانبية.

لا وجود لكارا.

حاولت مرة أخرى.

أزّت المحركات مرة أخرى، أسرع هذه المرة.

"هيا!"

في المحاولة الرابعة، أّزّ المحرك منبعثًا إلى الحياة وظلّ يثز. غيّرت السرعة، دارت الإطارات الجرداء حول نفسها لعدة ثوانٍ بدت بلا نهاية، ثم وجدت لنفسها سبيلًا للحركة.

تمايلت الشاحنة إلى الأمام، وأدّرت عجلة القيادة، معيّدًا الشيفروليه في اتجاه الطريق، ضاغطًا على بدال السرعة الآن بقوة لأن كل ثانية معطلة تمنح كارا فرصة لـ..

انهمر الرصاص على الجانب الأيمن من الشاحنة، مفجرًا النافذة، وما ثمنيته أن تستقر شظايا الزجاج فقط في جانب وجهي، ولم تكن الضربة لرصاصة قنص واحدة مخترقة بل رنين متقطع لطلقات آلية كاملة.

رأيت أسرع لمحة منها، واقفة في ذلك المعطف الأسود في بقعة من ضوء الشمس جعلت شعرها الباهت الشقرة يتوهج، وهي تسند بندقية آلية إلى كتفها.

رأيت ومضة فوهة البندقية...

غطستُ إلى أسفل بينما يتلقى الزجاج الأمامي الرصاص، ثم رفعت رأسي مرة أخرى، منحرفًا في الوقت المناسب لتجنّب الاصطدام بشجرة. بينما كانت مؤخرة الشيفروليه تتلقّى وابلًا ثقيلًا من النيران، ألقيت نظرة على الطريق من بعيد ولمحت الجوجل الزرقاء وصندوقها ما زال مفتوحًا.

خرجتُ من الغابة، وضغطتُ على الفرامل، وأوقفتُ الشيفروليه التي صرخت بحدة إلى جوار سيارة كارا ببضع أقدام.

كان إطلاق النار قد توقف.

أمسكت بالبندقية، وفتحت الباب المجاور لي.

قبضت على البندقية في مستوى الخصر، وأطلقت دفعة رصاص عبر الإطار الخلفي الأيمن، غاصت الجوجل قليلاً، أطلقت النار على الإطار الخلفي الأيسر. في الوقت الذي كان يمكنني بالتأكيد أن أسبق كارا فوق الامتداد الصخري الأخير من الطريق، كانت سيارتها لتلحق بالشاحنة في يسر على الأقسام الأكثر انبساطاً.

ظهرت كارا من الغابة.

لم أتردد - فقط وضعتها في دائرة التصويب وأطلقت ثلاث طلقات، غطست خلف شجرة واقعة وألقيت البندقية داخل الشاحنة، وقفزت بداخلها، وضغطت على بدال السرعة حتى التصق بأرضية السيارة. طرئ على الطريق وسط هزات مدمرة، والشاحنة يبدو كأنها قد تتفكك في أي لحظة.

رفعت السرعة إلى أربعين ميلاً في الساعة، وأنا لا أكاد أرى عبر الزجاج الأمامي المتكسر. تغطي مقعدي بالدماء، وأحسست كما لو أن أحدهم يدفع منخاساً ملتهباً في رقبتني.

ظلمت أراجع المرأة الجانبية، في شبه توقُّع بأن أرى الجوجل تندفع مقتربة، لكن لم يكن هناك إلا ذيل من الغبار البرتقالي.

خفت اندفاع الأدرينالين في دمي، وبدأ ألمي يزداد قوة.

بعد عدة أميال، كان عليّ أن أبطئ سرعتي لأنني لم أعد واثقاً بقدرتي على إبقاء الشاحنة على الطريق، شعرت بمشكلة في الرؤية ودوار شديد...

لم أعرف كم مرّ من الوقت منذ أصابتني كارا، لكنني كنت أنزف منذ وقت طويل، كنت متأكداً من هذا، احتجت إلى إيقاف النزيف وإلا سأموت.

مددت يدي وسددت بها الجرح، نزل الدم من بين أصابعي، لم أستطع القيادة والضغط على الجرح، لكن كان عليّ أن أستمّر في القيادة، كان عليّ أن أبتعد عنها قدر المستطاع.

بدأت أدخل في صدمة نقص حجم الدم؛ التي تحدث بعد أن يفقد الجسم البشري عشرين في المائة من دمائه. صار معدل تنفسي أسرع وأقل مما يجب، وشعرت أن ضغط الدم الانبساطي لديّ يهبط إلى مستويات خطيرة.

شعرت فجأة بحلول ارتباك بارد عليّ، وحاولت أن أظل متعاليًا على كل هذا، حاولت أن أستخدم قوة عقلي لأظل منتبهاً، حيًا، لكن عدماً رماديًا كان يزحف حول أطراف رؤيتي.

نغمة.

مدوية.

مستمرة.

نادتني، بخفوتٍ، في أعماق هذا الظلام الثقيل.

كان رفع رأسي أصعب عمل بدني في عمري، وعندما رفعتها، انتهت الضجة.

فتحت عينيّ.

دخل الضوء متكسرًا.

ذقت الدم في فمي، كان ينسال على وجهي، كنت ما زلت جالسًا وراء عجلة القيادة في الشيفروليه القديمة. وأمام غطاء المحرك تمامًا، رأيت الجذع المتموج الضخم لشجرة حور، كنت قد اصطدمت بها.

كانت هناك أبنية في الجوار.

رأيت أطلال ميس أميجوس.

كان هناك شخص ما واقفًا إلى جوار نافذتي، وببطء أدت رأسي،
وعيناي تطرفان في مواجهة شمس الشتاء الساطعة.

كان في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره، وكان ينظر إليّ عبر
النافذة، إلى ما تخيلت أنه واحد من أكثر المشاهد إزعاجًا في حياته
الصغيرة.

أنا أنزف حتى الموت في الكابينة الفاتحة بنتن الجثة لشاحنة
مغربلة بالرصاص.

"نيثيسيتاس أيودا؟"⁽¹⁾

أتى صوته عاليًا ومكتومًا عبر الزجاج.

قلت: "سي.. بدا صوتي ضعيفًا جدًا، "بور فافور".⁽²⁾

ظهر الآن أشخاص آخرون في الشارع خلفه، ينجرفون نحو حادثة
السيارة الوحيدة تلك في قلب قريتهم الهادئة.

ولم يكن بمقدورهم أن يعرفوا -ولا بمقدور أي أحد- أن الرجل
المحتضر داخل الشيفروليه حارب للتو معركة من أجل مصير نوعنا.
معركة خسرها.

(1) أحتاج إلى المساعدة؟ بالإسبانية في الأصل.

(2) نعم... من فضلك.

الجزء الثاني

"إن قدرتنا على قراءة تسلسل شريطنا الوراثي بها مقومات مفارقة فلسفية. هل يمكن لكائن عاقل أن يفهم التعليمات اللازمة لصنع نفسه؟"

— جون سولستون

7

بعد عام

اليوم 11 فبراير، وقد رأيت الماء اليوم في لمحة عابرة فقط حيث هبَّ خيط من البخار من جهة البحر. الرياح تصلصل في مصاريع النوافذ المضادة للعواصف والمطر يغطي النوافذ باستمرار، وضعت فقط كتلة خشب أخرى في الموقد.

كنتُ أخطط للبقاء هنا أسبوعًا واحدًا فقط، لكن ربما أبقى لوقتٍ أطول، ثمة برّية منسيّة في هذا المكان تتحدث إليّ.

تخبرني من أكون.

وما أنا صائر إليه.

أغلب الوقت أجلس فقط بالقرب من نافذة المطبخ، أراقب تحولات البحر، خلال الوقت القصير الذي قضيته هنا، رأيته في

عكارتة الرمادية وفي سكونه اللامع. رأيتَه غامضًا بينما تضرب عاصفة ما البرّ (كما يحدث اليوم) ورأيتَه ورنيشًا أسود لامعًا تحت القمر. ثمة شعور هنا -أكثر من أي مكان آخر ذهبت إليه- بأن البحر له حضور، وحضور متقلب... مزاجي، شرس، رائق.

ومتحول دائمًا.

أعتقد أنك وأقا كنتما لتحبان المكان هنا. عندما يكون الطقس جيدًا، ثمة ممرٌ قصيرٌ يهبط الجرفَ إلى الشاطئ، والبلدة على مبعده ميلٍ واحدٍ فقط.

أمل أن تكوني سالمة، أمل أن تجدي طريقك نحو السعادة من جديد، أمل أنك -لو حدث واجتمع شملنا مرة أخرى أبدًا- ستفهمين لماذا كان عليّ أن أدعك تعتقدين أنني رحلت، هذا لأني أعرف قلبك يا بث، ستعرضين سلامتك وحريتك للخطر كي تجديني.

أفتقدك بجنون، وأضحى بأي شيء...

توقفتُ عن الكتابة، رفعت عينيّ عن منضدة المطبخ، ونظرت خارجًا عبر النافذة إلى البحر، شطبتُ الجملة الأخيرة، ووضعت القلم على الورقة مرة أخرى.

أنا لستُ صادقًا يا بث، أنا أكتب أشياء كان ليكتبها لوجان القديم، مدفوعًا بأثرٍ من حنينٍ إلى حياتي الماضية. إذا لم يكن باستطاعتي أن أكون صادقًا معك، حتى عندما يكون ذلك مؤلمًا، فما الجدوى من الأمر؟

لقد أصبح التفاعل مع الناس تحديدًا. تخيلي معرفة ما يحاول أحدهم أن يقوله قبل وقتٍ طويلٍ من أن يتمكن من قوله بأسلوبه الركيك. تخيلي أن تكوني مدركة بشدة لكل تعبير متناهي الصغر يكمن وراء كلماته. تخيلي وجود هوة بينك وبين كل شخصٍ آخر.

تخيلي الشعور بأنك لم تعود بشربة على الإطلاق. بالنسبة إليّ، الآن، يشبه التحدث إلى شخص بالغ ألمعي ما اعتدت أن أشعر به وأنا أقيم حوارًا مع طفل في العاشرة من عمره، أعرف أن هذا يبدو حقيرًا، لكنها الحقيقة.

يمكنني استدعاء كل لحظة من وجودنا المشترك، لا أراك فقط كلمحة لما كنت عليه في لحظتنا الأخيرة معًا - مطبخنا في أرلينجتون، وأنت تضبطين قهوتك الثانية لذلك اليوم، قليل من اللبن، نصف عبوة صغيرة من سكر سبليندا البديل، وأنا أتوجه نحوك لأقبلك قبلة الوداع في طريقي إلى الخروج من الباب، وأنت توقفين ما كنت تفعلين وتنظرين إليّ في عينيّ وتقبلينني بصدق، وليس بطريقة آلية، ولا أحد منّا يشك في أنه لن يرى الآخر مرة ثانية.

أراك بث التي كنتها ذلك اليوم في السجن، فتاة الخامسة والعشرين في طقمها الرسمي الأول، تحاول أن تخفي توترها. أرى بث في سريرها بالمستشفى، مرهقة ومبتهجة، تحتضن ابنتنا لأول مرة. أراك في الصباح الذي سمعت فيه بأن أباك قد مات. وفي مساء يوم أربعاء منذ ستة أعوام ونصف لم يكن به شيء مميز على الإطلاق إلا حقيقة أننا حظينا بأكبر متعة لنناها معًا على الإطلاق... زجاجتنا نبض وضحك وحوار عظيم وقليل من الدموع... كل ما هو حقيقًا بنا.

كل هذه اللحظات تتساوى في واقعيتها جميعًا بالنسبة إليّ، كل هذه اللحظات لك، ما يكسر قلبي أنني لا أستطيع أن أعيشها مرة أخرى. وربما ما يزيد من ألمي معرفتي أنني -حتى لو استطعت- لن أشعر الآن بما شعرت به وقتها.

في السنة الأخيرة، مررت بما يساوي عمرًا من التغيير.

أنا بالكاد أشبه ذلك الرجل الذي قال لك وداعًا في مطبخنا، أظن أنك ستعتقدين أنني أصبحت متحفّظًا، منسحبًا، منطويًا، وربما باردًا حتى.

لقد توقّف المطر، السحب تنقشع، نور الشمس يضرب المسلات البحرية. إحدى هذه النتوءات الصخرية، لو ضيقت ما بين عيني تمامًا، تشبه سفينة منحوتة من الصخر.

ها هي الحقيقة، التي أقسمتُ ذات مرة أن أقولها لك دائمًا: لو أرخيت العنان لنفسي، ربما أسقط في دوامة شديدة الظلمة، ربما أدع فراقنا ووحدي يمزقاني، لكنني أقوى من ذلك الآن.

هذه أشياء من الصعب كتابتها.

أخشى أنني لن أراك مرة أخرى أبدًا.

وأنا خائف أيضًا بنفس القدر من أني سأتغيّر أكثر من اللازم، وكذلك علاقتنا.

تركت القلم، وأغلقت الدفتر، كان ممتلئًا برسائل متشابهة - بعضها ليث، وبعضها لآفا- لقد أصبحت الكتابة إليهما شكلًا من الروتين الذاتي. كتبتُ رسائل لن أرسلها أبدًا كي أتذكر كيف كان الشعور بكونك فردًا في عائلة. كي أتذكر كيف كان الشعور بكوني إنسانًا، كي تقودني العاطفة، إلى حدٍّ ما على الأقل. إن قدرتي على الشعور عضلة ضامرة، لو توقفتُ عن استخدامها تمامًا، سأفقدتها كليةً.

كان الوقت أول المساء، وكنت جائعًا.

كتبتُ رسائل سريعة إلى المحققين السبرانيين والسريين والعاملين في شركات ممن جندتهم للعثور على كارا. ثم نهضت، وغطيت، وجذبتُ معطف المطر من مشجب المعاطف قرب باب المطبخ.

خرجت إلى امتدادٍ من العشب الزمردى نحو حافة الجرف.
ارتطمت الأمواج في صوتٍ كالرعد بالصخور، إلى الأسفل بتسعين
قدمًا.

وبينما كنت أهبط ممرًا منحدرًا بزاوية حادة إلى الشاطئ، فكرت
في كارا للمرة الثامنة اليوم.

عندما أطلقت أختي النار عليّ، دخلت الرصاصة عضلتي الدالية
اليسرى، ومزقت العضلة لكنها أخطأت ترقوتي وضمفيري العضدية،
استقرت في عضلة صدري اليسرى، أعلى قلبي ببوصتين. بوستان فقط
كانتا الفارق من دون أن تكون رصاصة قاتلة.

نزفت تقريبًا حتى الموت في شاحنة أمي المحطمة على ما يمكن أن
نسميه بالطريق الرئيسي في قرية فاليسيتوس.

نُقلت إلى مستشفى في سانتا في، حيث أنقذ الأطباء حياتي.

لا يوجد في نيو مكسيكو إبلاغ إلزامي عن حوادث إطلاق النار، ولم
يكن بمقدوري إلا أن أأمل أن يحترم الفريق الطبي العلاقة السرية بين
الطبيب والمريض وألا يتصلوا بقوة إنفاذ القانون لسؤالي عما حدث
في فاليسيتوس.

لكن لم يكن هناك سبيل للتيقن من سير الأمور.

كل لحظة رقدت فيها في هذه المستشفى كنتُ أخطر بالقبض
عليّ.

بعد اثنتي عشرة ساعة من دخولي، أجبرت نفسي على النهوض
من السرير. كانت ملابسي قد مُزقت عني في حجرة العمليات، وبدا
السير متعثراً في شوارع سانتا في برداء المستشفى في منتصف الليل
أشبه بطريقة مؤكدة النجاح للكشف عن نفسي واحتجازي.

لذا فتشت في أدراج حجرات المرضى الآخرين حتى وجدت طقم ملابس لسيد أكبر سنًا وافق مقاسها مقاسي.

خرجت من مستشفى سان فنسان في الساعة 3:45 صباحًا إلى ليلٍ قارص البرودة ومعني ما يزيد قليلًا على خمسمائة دولار نقدًا من بقايا الفترة التي قضيتها مع كارا.

لم تكن معي بطاقة شخصية، ولا بطاقات ائتمان، ولا هاتف.

كانت أصعب ليلة في حياتي.

أصعب من السجن.

أصعب من فترة الشك في الحبس.

كنت في عذاب.

مرهقًا.

متجمدًا من البرد.

دون تحسيني، أنا واثقٌ أنني كنت لأموت.

دخلت محطة القطار عندما فتحت واشتريت تذكرة ذهاب فقط في أول قطار سريع إلى ألباكركي. كانت سائتا في بالنسبة إليّ أصغر من أن أمكث فيها، وبدأت ألباكركي من نوعية الأماكن التي يحدث فيها ما يكفي من العنف اليومي لأن تواتيني فرصة الإفلات من رادار البحث.

أدفا الضوء القادم عبر النافذة وجهي.

والهدهدة الرقيقة لعربة القطار أرسلتني إلى النوم.

هزّني المحصل ليوقظني عندما دخلنا محطة مونتانيو.

ترنّحت نازلاً من القطار، وتقيّأت في سلة مهملات.

اشتريت شاشًا، وضامادات إسعافات أولية، ومرهم مضاد حيوي، وأقراص تايلينول المسكنة من أول صيدلية رأيتها.

خلعتُ قميصي في الحمام. كنت أنزف عبر آخر لفة ضامادات وضعوها لي في المستشفى. وضعت منشفة ورقية على جرح دخول الرصاصة حتى تجلط من جديد، وغمرته بالمضادات الحيوية، وأعدت ربط كل شيء بضامادات جديدة.

قبل انتهائي من هذا، كنت أكثر تعبًا حتى من أن أقف، ثمُت عدة ساعات في مقصورة، مستندًا إلى جانب مرحاض قذر حتى وجدني عاملٌ في متجر وطردي.

في الخارج مرة أخرى، ثقلت عليّ ورطتي.

كنتُ مفلسًا، مشردًا، مصابًا بشدة، مطاردًا.

ولأني لم أستطع التوقف عن رؤية الأنماط في كل مكان حولي، كنتُ مدركًا بشكلٍ مؤلمٍ ألا شيء مما أعانيه جديد. كم من الناس كانوا متعبين، مفلسين، بردانين، ووحيدين في الشوارع؟ ولا أحد منهم كان يملك الموارد الضخمة التي وفّرها لي تحسيني كي تنقذهم.

لاح برج جرس كنيسة من بعيدٍ، بمنظرٍ جانبي على خلفية من سماء نيو مكسيكية زرقاء على نحو يفطر القلب.

استجمعت نفسي بأفضل ما يمكنني ودخلت إلى المكتب الأمامي.

أشفقت عليّ امرأة طيبة وسمحت لي باستخدام الهاتف.

في ثالث ملجأ اتصلت به وجدت سريرًا متاحًا.

بعد بضعة أيام في الملجأ، كان جراحي من الرصاصة يلتئم بسرعة، واستطعت أخيرًا أن أسير من دون الإحساس بالرغبة في السقوط.

تحوّل تركيزي إلى إيقاف كارا. قبل أن يمكنني فعل ذلك، كنت بحاجة إلى حرية الحركة، وكي أمتلك حرية الحركة، سأحتاج إلى هوية مضادة للرصاص، وسيطلب هذا وقتًا ومالًا.

كانت مشكلة المال معضلة.

مع تحسيني، يمكنني أن أحصل على أي وظيفة في العالم.
إلا أنني لا أستطيع.

كنت لوجان رامزي، وهناك أناس يقبلون هذا البلد رأسًا على عقب ليجدوني.

السطو، السرقة، التزوير - كل هذا بدا موجهًا إلى العمل ضد جهودي كي أظل متواريًا.

لكن وفقًا لبحثي على الإنترنت في المكتبة التي كنت أتردد عليها خلال النهار، كانت هناك ستة كازينوهات في ألباكركي.

هكذا اشتريت بعض الثياب في متجر للملابس المستعملة، وهيأت نفسي، ودخلت أول كازينو بعد أسبوعٍ من إطلاق كارا للرصاص عليّ.

جعلتني الكاميرات متوترًا، كانت موجودة في كل مكان. ستستمر حشياتي الجلدية عامًا على الأقل، لكنني سأكتشف خلال فترة قصيرة إن كانت التغييرات التي أحدثتها بوجهي في فرجينيا الغربية كافية لخداع الذكاء الاصطناعي المميز للوجوه الذي كان بلا شك يمسح قواعد البيانات الخاصة بكاميرات المراقبة في كافة أنحاء البلد.

لكن في ضوء كل ما حدث، لم يكن الأمر مهمًا في الحقيقة.

كنت بحاجة إلى المال، ولم يكن لدي أي خيارات أخرى.

ستكون ماكينات الحظ مضيعة كاملة للوقت، وبالنسبة إلى لعب الورق، يمكن لعبقري رياضيات مثلي أن يحسب بالتأكيد أوراق اللعب،

لكن ضد صندوق أوراق لعب -يحتوي ما بين ست إلى ثمان رُزَم ورق لعب- سيستغرق الأمر ببساطة وقتًا أطول من اللازم، وأي نجاح سيكون بدافع الحظ الخالص.

لكن البوكر كان يمثل فرصة شيقة، لقد لعبت حصتي العادلة منه ولم أكن قط بارعًا فيه في حياتي السابقة،
لكن الآن...

صار حساب احتمالات الرهان فجأة أمرًا لا يتطلب جهدًا، وما إن أجلس إلى الطاولة، حتى يمكنني على الفور استدعاء كتب استراتيجيات البوكر السبعة التي قرأتها سريعًا بالأمس في المكتبة، والتي ركزت على كيف تقرأ أوراق الخصم بناءً على مراهناته، وكيف تراهن في الرهان المبدئي الكبير إن كنت تاليًا على أول لاعب بعد موزع الورق مقابل الرهان المبدئي الصغير إن كنت أول لاعب بعد الموزع، مقابل المواقع المتأخرة.

تلك لعبة تتطلب قوة حصانية على الحساب والقدرة على استيعاب العديد من مجموعات القواعد المحددة بسرعة. وبعيدًا عن التقنيات الرياضية، البوكر في النهاية هي فقط قراءة الناس، انفعالهم، محاولتهم لإخفاء ذلك الانفعال، خوفهم، سأمهم، خداعهم، ندمهم؛ ومن ثم القيام بالاختيارات وفقًا لذلك.

جلست إلى طاولة تكساس هولديم بلا حدٍّ أقصى⁽¹⁾ مساء يوم جمعة ووضعت على اسمي 432 دولار. كنا ثمانية لاعبين على الطاولة،

(1) تيكساس هولديم هي إحدى أنواع البوكر، وتُعد أكثر لعبة شيوعًا في البوكر في جميع الكازينوهات وصالات لعب البوكر في الولايات المتحدة وأوروبا، تتكوّن لعبة التيكساس هولديم من الموزع وهو الذي يقوم بتوزيع الأوراق على اللاعبين، وتسع لاعبين كحد أقصى. يبدأ الموزع بتوزيع الأوراق بمقدار ورقتين لكل شخص. ويعني لعب تكساس هولديم بلا حدٍّ أقصى أن باستطاعة اللاعبين المراهنة بأي مبلغ يفوق الحد الأدنى للرهان على مجموع الفيشات لدى اللاعب فوق الطاولة.

وعندما وزّع الموزّع أول مجموعة ورق، بدأ جرح كتفي ينبض، قمّت بتقسيم الألم إلى أجزاء صغيرة، وبدأت اللعب.

لاحظت -حتى مع اللاعبين الأفضل- ارتفاعاً بسيطاً في الحاجبين عندما يلتقطون بطاقة لعب ممتازة لم يكونوا يتوقعونها. و"غوصاً إلى الداخل" بطريقة غير محسوسة عندما لا تأتيهم. صغّت معادلات لكل خصم لتتبع تسرياته العاطفية. لو رأى فيديل -الشخص الجالس أمامي- ورقة وكان رد فعله كشف ما يزيد على عشرة بالمائة من بياض عينيه، كنت أعرف أنه أتاه شيء أفضل من زوج من الأوراق المتشابهة. ولو كشف عشرين بالمائة؟ سأمتنع عن المراهنة في هذا الدور، إلا إذا اعتقدت أن لديّ من أوراق اللعب ما يضمن لي هزيمته. سرّب اللاعبون المختلفون أسرارهم عبر تعبيرات مختلفة متناهية الصغر.

ثمة امرأة كانت دائماً تُجعد أنفها بحركة اشتمزاز لا تكاد تبين عندما ترى ورقة لعب لا تساعد دورها، كأنها تفوح برائحة سيئة. وولد صغير كان معدّل نبضه يرتفع أعلى من 110 عندما يحاول الخداع، كل مرة.

تطلّب الأمر مني بضعة أدوار كي أقرأ كل واحد منهم، لكنني سرعان ما صنّفت ردود أفعالهم المتباينة، مراقباً حالاتهم المزاجية وهي ترتفع وتنخفض مع توزيع الأوراق الثلاث الأولى المكشوفة، والجولة الثالثة من المراهنة، والجولة الأخيرة.

عندما لعبت أدواري وازداد حسابي من الفيشات، لم أستطع أن أمتنع نفسي من التساؤل إن كان هذا ما كانت تحس به أمي طوال أغلب حياتها الرشيدة. كأنها تدير وتفكر وتعمل أسرع عشر مرات من أي شخص آخر. فهمت كيف أن هذا ربما بنى واجهة من الغطرسة، وفي الداخل الأعماق، عزلة شديدة. لم تكن لديها قدرتي على التقسيم

العاطفي، لذا لا بد أن إحساسها بالبُعد عن الجميع -مساعديها من باحثي ما بعد الدكتوراه، أصدقائها، وحتى عائلتها- كان إحساسًا ساحقًا.

غادرت تلك الليلة ومعى 1907 دولار، وبدأ مبلغًا طيبًا مثل أول نقود كسبتها في حياتي عندما قمت بجزء العشب للجيران في الصيف الذي أتممت فيه عامي الثاني عشر.

كل ليلة، كنت أذهب إلى كازينو مختلف.

وببطء أعدت بناء ثروتي.

قبل نهاية الأسبوع الثاني، كان لدي ثمانية آلاف دولار، وكنت ألعب على طاولات أكثر تنافسية، بل إن لاعبًا أصرَّ إليّ ناصحًا بأمر لعب عالي المخاطر في مكان تحت الأرض بمدينة ريو رانتشو.

غادرت الملجأ وتركت لهم أكبر تبرع استطعت أن أقدمه، بعد ذلك حجزت في أرخص نُزل أمكنني أن أجده، وكان يؤجر الغرف بالأسبوع.

كنت ألعب البوكر في الليل، وفي النهار، بدأت عملية بناء هويتي الجديدة.

كان صنع هوية من الصفر يتجاوز مجموعة مهاراتي، ولم أثق بأن تزودني شبكة الإنترنت السوداء بوثائق موثوق بها.

بأرباحي، اشتريت حاسوبًا محمولًا وبدأت البحث عن شخص بعينه يمكنني سرقة هويته.

يجب أن يكون هذا الشخص في مثل سني تقريبًا، وله وجه مشابه لوجهي بدرجة كافية حتى يمكنني تكبير ملامحي لخداع نظام الذكاء الاصطناعي واسع الانتشار لتمييز الوجوه. ويجب أن يكون مولودًا في مدينة بعيدة عن مدينة ميلادي في بيركلي، كاليفورنيا، في مكان لم أذهب إليه من قبل وحيث لا أعرف أحدًا. يجب أن يكون هذا

الشخص ميتًا، لم يتزوج قط، وبلا أطفالٍ. كنت بحاجة إلى شخص له أثرٌ خفيفٌ على وسائل التواصل الاجتماعي. والنموذجي أن يكون موته قد حدث خارج البلاد، في كارثة ما تسببت في خسائر جماعية.

كانت الفكرة أني لو وجدت أحدًا تنطبق عليه هذه المعايير، فمن غير المرجح أن ترتبط سجلات ميلاده الشخصية بسجل وفاته، ما يعني أن هويته وحرية الحركة التي ستتيحها لي كأننا تطفوان هكذا في الأثير البيروقراطي، منتظرتين أن أمسك بهما.

بالطبع سيكون هذا بحثًا شاقًا، لكن الآن صار لديّ التركيز والسعة لحرث آلاف من سجلات الوفيات في أمسية واحدة، بينما أنصت إلى كتب صوتية بسرعة مضاعفة وألتزم بتذكر كل كلمة منها.

عندما أجد هذا الشخص، سأنقب على نحو أعمق لأكشف تاريخ ومكان ميلاده، واسم والديه، واسم أمه قبل الزواج.

ما إن أحوز هذه المعلومات، سأبحث عن أرخص مساحة مكتبية في ألباكركي، وأجعلها مقرًا لي، وأكتب خطابًا لقسم السجلات الحيوية باسم شخصيتي الجديدة، لأطلب شهادة ميلاد جديدة.

بشهادة ميلاد وبضع خطابات معنونة على مكتبي في ألباكركي لتكون دليلًا بمحل إقامتي، يمكنني الحصول على رخصة قيادة.

بعد ذلك يمكنني طلب رقم تأمين اجتماعي جديد.

وبعد ذلك جواز سفر.

هكذا سأشق طريقي.

وصلت إلى الشاطئ وتوجهت شمالًا، مخلفًا آثار أقدامي في الرمل البارد المشبع بالماء.

عوت الرياح.

كنت أتضور جوعًا.

فكرت أني يمكن أن أسير إلى البلدة لأتناول العشاء، أجلس في حانة،
أطلب شرابًا.

كانت الهوية التي وجدتھا لرجل اسمه روي فوستر، كان من مدينة
دولوث بولاية مينيسوتا، وفقد حياته في رحلة عمره، عندما شبت
النيران في قارب نهري وغرق في منتصف الليل داخل نهر الأمازون في
بيرو.

بنيت هويتي الجديدة من هويته.

كسبت ما يكفي من المال من المقامرة لشراء سيارة.

كنت قد أصبحت معروفًا في مجتمع البوكر الصغير في ألباكركي؛
وهو ما كان يعني أن الوقت قد حان للرحيل.

كانت الرغبة في العودة إلى الديار، إلى بيت وآفا ما زالت موجودة،
لكنني بشكل عقلائي كنت أعرف أني لو تركت نفسي لفكرة الذهاب
إليهما، لن أنهي ألمي، بل سأخلق المزيد منه.

سأجذبهما إلى موقعي المستحيل.

كنت متأكدًا أني اكتسبت الموضع السري الأعلى في قائمة أكثر
المطلوبين من وكالة الحماية الجينية. لم يعرفوا أن أختي هي التي
حررتني من المزرعة، رغم أنهم لو كانوا أذكاء، لارتابوا في أمرها إلى
هذا الحد وحاولوا أن يتتبعوا أثرها، لكنها كانت جانية بنفس القدر،
وشريكتي. من منظورهم، أنا قتلت العديد من العملاء ومتعهدي
الأمن، وهربت عازمًا على العمل مع أمي لإدخال تحسين جيني في
النوع البشري كله.

مجرد السماح لزوجتي وابنتي بمعرفة أنني حي سيعرض حياتهما للخطر.

ورغم ذلك - كان ضعفي يكاد يغلبني.
أردت فقط أن أخفف ألهما، أن أجعلهما تعرفان أنني حي.

بدا ذلك أشبه بعملٍ صغير.
لكن طريق رجوعي إلى أسرتي، طريقي إلى البيت، لم يكن عبر الباب
الأمامي لمنزلنا، لكن فقط عبر العثور على كارا وإيقافها، عبر دفن
لعنة رامزي، يمكنني العودة إلى البيت من جديد.
على الأقل هذا ما قلته لنفسي، لكن حقيقة أصعب وأعمق وأكثر
ألمًا بدأت بالفعل تهمس بذاتها إلي:
ربما حلفت بعيدًا عن البيت أكثر من اللازم. ربما لا سبيل هناك للعودة.

كنت دائم التنقل.
صرت بدويًا.
ذهبت إلى أجزاء من البلاد لم أرها قط من قبل.
مرتفعات الأوزارك.
جبال وايت في نيوهامبشير.

كانت رؤية أمريكا مرتحلًا - الأماكن البعيدة عن الطريق، الأماكن
النائية، الشوارع الرئيسية - خبرة عميقة. فهمت معاناتنا الجماعية الآن
في ضوء جديد. واجهات المحال الفارغة والرفوف العارية، النظرات
القاسية واليائسة من الشرفات الأمامية عندما أمرُّ إلى جوارها بسيارتي.

كان هناك تفاوت صارخ في نوعية الحياة.

يمكنك أن تقف في وسط مدينة واشنطن العاصمة وتعتقد أنك تعيش في المستقبل اللامع والمشرق. ثم تقود سيارتك إلى ساحل خليج المسيسيبي، الذي ضربته سبعة أعاصير من الفئة الثانية في العقد الأخير وتركته بلا اقتصاد يمكن الحديث عنه، وتساءل متعجبًا كيف وجد الناس الإرادة كي يستمروا في العيش.

في أماكن أكثر مما تتخيل، لم يكن هناك إلا القدرة الكالحة على البقاء.

وخلفها: الغضب.

كان يمكنني البقاء في مكانٍ واحدٍ، لكن فضولي دفعني إلى الترحال.

قضيت شهرًا على بحيرة في ويسكونسن، حيث كان ضوء مساءاتي الصيفية الموحشة يمتد إلى ما بعد العاشرة، ويبدو الماء كالزجاج إلى أن تقفز سمكة، وتبقى الشمس متوازية؛ كأنها ضيفٌ لا يرغب في الرحيل. ذات أصيل في منتصف أكتوبر، وأنا أقود سيارتي عبر جبال سموكي، رأيت لافتة لموضع إطلالة عالية توقفت عندها مع أسرتي قبل ثلاث سنوات في عطلة نهاية أسبوع طويلة.

انعطفت إلى ساحة انتظار السيارات، وأطفأت المحرك.

أطلت المنظر على غابة نارية غطت أقدم جبال في العالم.

قفزت من فوق السور الحجري، وهبطت إلى مرج منحدر.

عندما دخلت الغابة، اكتشفت سريعًا ضجة ماء جارٍ.

كان جدولًا صغيرًا، والهواء أبرد وله رائحة أحلى بالقرب من الضفة. منذ ثلاثة أعوام -1115 يومًا كي أكون دقيقًا- جلستُ في هذه البقعة تحديدًا. تذكرت بشكل تام خبرة مشاهدة الجدول متدفقًا عبر

هذه الغابة العتيقة. كان المشهد مهيبًا بالنسبة إليّ، أثرت فيّ بعمق
سكنة هذا المكان، وامتلاأت بهجة وأنا أنصت إلى آفا وِبث تتحدثان
على الناحية الأخرى.

لكن، في الحقيقة، لم أكن قد رأيت أي شيء من هذا، لم يكن هذا
المكان إلا مرآة تعكس حالتي العاطفية الهشة لي.
لم أعد ذاك الرجل.

الأشياء التي أثرت فيه لم تعد تؤثر فيّ.

اليوم، رأيت المكونات ذاتها التي خلقت هذا المشهد.

جلاميد الحجر الرملي المتحولة في التيار، سريان الجدول، نموذج
التعرية على الناحية الأخرى من الضفة، الذي أظهر أدلة على فيضان
صيفي، سمكات السلمون المرقط الأربع الثابتة في التيار - واثنتان
منهما مصابتان بداء الميخوط الدماغى. الطريقة التي انكسر بها الضوء
فوق الماء بزوايا لا حصر لها، والتوازنات التي خلقتها خلف الظلال،
وكل ورقة شجر ساقطة، زاهية، ميتة، دفعتها نسمة رقيقة رطبت في
تبخرها ظهر عنقي، والرائحة القوية للزيوت الطبيعية الأساسية في
أيكات شجر الورد والغار الجبلي ورائحة الموت الخريفى للسكريات
والمركبات العضوية المتحللة في مليار ورقة، وخلف كل هذا رائحة
التحلل الأضعف والمنتامية رويّدًا رويّدًا - التي لم أستطع أن أشمّها إلا
عندما هبّت ريحٌ خفيفة من الشمال - لتشير إلى بقايا غزال أو حيوان
قارض على مبعده ربع ميل.

قضيت ساعة ألاحظ فقط ما حولي.

وكان يمكنني أن أقضي عامًا في دراسة كيف تشكّلت كل الأجزاء
المكوّنة لهذه البقعة الغُفل من الأرض معًا.

وشعرت بوخزة افتقاد لذاك اللوجان، للرجل الذي كنته منذ 1115 يوماً، الذي استمتع في بساطة بمكان شاعري.

تحوّلتُ إلى لاعب بوكر على الإنترنت. كان الأمر أصعب دون ميزة قراءة الوجوه، لكنني وجدت النقاء الخالص للرياضيات مريحاً. راعيتُ أن أخسر مرات كافية كي أمنع الخوارزميات من حظري، لكن بضع مراهنات كبيرة كل أسبوع كانت كافية للعيش، وكل شيء قابل للدفع بالعملة المشفرة، لم تكن للمال أي أهمية بالنسبة إليّ تتجاوز الحرية التي يوفرها.

استأجرت محققين سريين في كل ولاية للبحث عن أختي.

وضعت نفسي مكانها وحاولت أن أتخيل الأشياء التي ستحتاج إليها كي تكمل عمل أُمي.

عدت بتفكيري إلى حواراتي مع إدوين.

نفس الأشياء التي أخبرته أن أُمي ستحتاج إليها كي توزع تحسينها ستحتاج إليها كارا أيضاً: مختبر في المستوى الرابع من السلامة البيولوجية، فريق عمل ما بين فردين إلى خمسة أفراد، رغم أنها نظراً إلى افتقارها إلى الخبرة قد تحتاج إلى عددٍ أكبر. أشخاص بارعين في البيولوجيا الجزيئية، علم الفيروسات، علم الوراثة الحاسوبي، الأمن. سيتوجب أن يعرف فريقها ما يخلقونه، سيتوجب أن يكونوا مستعدين للمخاطرة بتعرضهم للسجن، كيف لي أن أجد مثل هؤلاء الناس؟

سيكون الأمر شاقاً، وأنا الذي جئت من ذلك العالم.

مكتبة

t.me/soramnqraa

لو كنت ما زلت أعمل لصالح الجي بي إيه ولديّ القدرة على الوصول إلى مواردها، لدخلت إلى نظام ميستيك، وحاولت أن أعثر على كارا باستخدام قاعدة بيانات تمييز الوجوه الخاصة بكاميرات المراقبة. ظلمت أعود إلى المعالج فائق النطاق أو معالج التلدين الكمي الذي ستحتاج إليه. مكتبة .. سر من قرأ

أما بقية معدات المختبر فيمكنها شراؤها في السوق السوداء، وهذه المعاملات سيكون من المستحيل تتبعها تقريبًا. لكن المعالجات ليست بالشيء الذي تستطيع شراؤه سرًا، لم يكن هناك شيء غير قانوني فيها، هي فقط باهظة الثمن جدًا وليست شائعة للغاية، لكنها تعلم أنني لها بالمرصاد، وستحاول أن تخفي مساراتها.

ثماني شركات فقط هي التي أنتجت نوع المعدات التي ستحتاج إليها: أتوم كومبيوتينج، زانادو، آي بي إم، كولذكوانتا، زاباتا كومبيوتينج، أزور كوانتم، سترينجووركس.

استأجرت محققين سريين مشتركين لإيجاد قوائم العملاء وأوامر الشراء، مدركًا بالطبع أن هناك احتمالية أخرى.

لعل أُمي أنشأت بالفعل مختبرًا به كل شيء نحتاج إليه لتحقيق ثمار تحسينها، وربما كان موقعه مدسوسًا في الحقيبة الصلبة التي تركتها لنا في تلك البرية النيو مكسيكية، والتي ربما ضُمت طرقيًا للاتصال بفريق عمل.

لو كان هذا هو الحال، فإن كارا في طريقها بالفعل إلى إنهاء عمل أُمي وبدء المرحلة التالية.

الآن بعد أن امتلكت المخ الذي طالما أردته، قررت أن أتأكد من صدق ادعاء أُمي: إن نهاية الإنسان العاقل تلوح في الأفق، يمكننا أن

نراها بألف مقياس. بالطبع كنت أصدق هذا، لكنني أردت أن أعرفها حقًا، أن أفهم تلك المقاييس بنفسي.

هناك بيانات تساوي عدة أعمار كي أُلِمَّ بها، ولا جدوى -بعد أن جرى تنظيم بوابات التمرير لديّ بالنقص- من قراءة كتاب واحد فقط في كل مرة ثانية.

يمكنني أن أقرأ بعيني في نفس الوقت الذي أسمع فيه كتابًا صوتيًا، وأستوعب كل واحد منهما بدقة تصل إلى سبعين في المائة. قرأت كل شيء، قرأت باستمرار، قرأت بسرعة، لم أنم تقريبًا.

آلاف المجلات العلمية، والدراسات التي استندت إليها المقالات، والبيانات التي وراء الدراسات.

تمعّنتُ في مخاطر كارثية بشرية على الكوكب -تلك التي سببها السلوك البشري- في مقابل المخاطر الطبيعية، مثل البراكين الهائلة، والكويكبات، والتهديدات الكونية الأخرى: الإرهاب النووي، الإرهاب البيولوجي، الأوبئة الطبيعية والمخلّقة، حوادث تكنولوجيا النانو، الذكاء الاصطناعي الفائق، المجاعة، الحرائق، الفيضانات، ارتفاع مستوى البحار، ارتفاع درجة حرارة المحيطات والاحتباس الحراري، تطرف الطقس، نقص المحاصيل، الانهيار الزراعي، إزالة الغابات، التصحر، التلوث الضخم للماء وندرته، استنفاد الموارد المعدنية، انهيار شبكة الطاقة، كل أنواع الحروب (السيبرانية، النووية، الأهلية، الجينية، المدارية).

فيما عدا الذكاء الخارق الجامح أو ثورة تكنولوجيا النانو، سنكون أمام مزيج من التهديدات، تعمل جميعًا بخطة مشتركة على انحطاط الحضارة البشرية إلى درجة الخطر الشديد.

لقد محت مجاعة أمي اثنين في المائة فقط من تعداد الكوكب، لكن بعد عشرين عامًا، ما زلنا نجاهد لإطعام الناس. لقد قتلت التأثيرات التالية ملايين آخرين وتركت حتى الطبقات العليا من الحضارة في حالة من الدمار.

ولم يمكن تقييم التهديدات ذاتها في معزلٍ عن غيرها. كان لا بد للانحيازات المعرفية أن تدخل كعاملٍ في المعادلات المعقدة: انعدام الحساسية للنطاق؛ وهو مفهوم يقول بأن البشر لا يحسنون التمييز بين مائتي ميت ومليون ميت. الخَصْم القَطْعِي؛ وهو الميل إلى تهمين العوائد الأدنى قصيرة المدى عن العوائد الأكبر طويلة المدى، أو القيام اليوم باختيارات ستفضل ذاتنا المستقبلية ألا نكون قد قمنا بها. وهناك الاستدلال المؤثر؛ حيث تؤثر العواطف في اتخاذ القرار المهم. وهناك الشعور بالثقة المفرطة؛ حيث تكون ثقة المرء بأحكامه أو أحكامها أكبر بكثيرٍ من الدقة الموضوعية لهذه الأحكام، وتلك مجرد بداية.

كلما التهمت المزيد من المعلومات، بدأتُ أفهم حقًا ما رأيته أمي عندما تأملت حال البشرية.

نحن حفنة من الرئيسيات اجتمعت معًا وشيئت -ضد كل الاحتمالات- حضارة رائعة، لكن للمفارقة -وللمأساة- تفوق تعقيد إبداعنا الآن كثيرًا على قدرة أدمغتنا على إدارته.

بعبارة أبسط: موقفنا خرائي، ونحن لا نفعل ما يكفي كي نمنح عنه الخراء.

رغم كل غطرستها وطموحها وغرورها اللامبالي، لم تكن أمي مخطئة بشأن الوجهة التي نتجه إليها.

لكنها كانت أيضًا غير معصومة من الخطأ، وقد أثبتت شينزين ذلك.

وهو ما يعني أنه مهما كانت المشكلة سيئة، لا يمكن أن يكون إطلاق إبداعاتها الأخير على العالم هو الحل.

سرتُ ميلاً بمحاذاة الشاطئ، ثم تتبعت درباً رملياً إلى مدينة ترينيداد بولاية كاليفورنيا.

انقلب الجو، وتدفقت زخات من البحر أرسلها الماء.

كانت تمطر، والتمعت أضواء المدينة في الغسق الأزرق - دعوة مريحة.

سرت في الشوارع الهادئة بينما يهبط الظلام، مستقرّاً أخيراً في حانة أكلها الملح ربضت على جرف عالٍ يطل على البحر، تصاعد الدخان من مدخنة حجرية، بدت الرائحة أشبه بشواء سمك حقيقي.

كانت الحانة في الداخل مزدحمة ودافئة، جلست العائلات حول طاولات قرب المدفأة الحجرية يلعبون ألعاباً من مجموعة ملأت رفّاً كتبٍ كاملاً.

جلست على المقعد الوحيد الخالي عند البار.

أظهرت قائمة الطعام المكتوبة على السبورة السوداء خيارين فقط: سمكاً ورقائق بطاطس، وسمك القد بالليمون والزبد.

أتاني الساقى، وجهه الشرس وشعره الأشيب جعلاه يبدو إلى حدٍّ كبيرٍ جزءاً من الطبيعة المحيطة مثله مثل مسلات البحر التي أنهكتها الأمواج لطمًا.

سألته إن كان السمك حقيقياً.

- اصطيد قرب الشاطئ هذا الصباح فقط.

- سأتناول السمك ورقائق البطاطس.

تعلقت ثلاثة أجهزة تليفزيون أعلى البار.

عرض اثنان مباريات لكرة القدم - كان موسم المباريات النهائية -
وواحد عرض الأخبار.

في أثناء انتظاري الطعام، أخرجت دفترًا صغيرًا بغلاف جلدي كنت
أحمله معي دائمًا، وقلبت الصفحات حتى وصلت إلى أول صفحة
خالية، وبدأت رسالة جديدة.

آقا... أجلس في حانة في شمالي كاليفورنيا، منتظرًا أول وجبة سمك
حقيقي أنناولها خلال شهور. أتذكرين الخمارة التي ذهبنا إليها في
مدينة فورت ويليام، على شاطئ بحيرة لوخ لايني في أسكتلندا؟
الخمارة التي جاء إليك شخص فيها وسألك شيئًا ولم تستطيعي أن
تفهمي كلمة واحدة مما قاله؟ تُذكرني بهذا المكان.

ثمة أب وابنته يلعبان الداما قرب المدفأة ورائي، رأيتهما عندما
دخلت وشعرت برقة عاطفية لما أعتقد أنه الوحدة. لبرهة، سمحت
لهذه الوحدة بالتنفس، سمحت لنفسي أن تشعر بالغيرة من هذا الرجل
وابنته. سمحت لنفسي أن تفتقد مبارياتنا في الشطرنج، أحاديثنا في طريقنا
إلى المدرسة، سمحت لنفسي أن تفتقد معرفة كل شيء عن حياتك.

وبعد ذلك، بسهولة النقر على زر إضاءة، أطفأت ذلك الشعور.

عدت إلى قلبي الحجري.

بتجئب مشاعري، هل أدفع ذاتي أكثر وأكثر بعيدًا عنك؟ أقول
لنفسي إني لا أملك أي خيار... إني لو لم أغلق هذا الباب، سأجد
نفسي أحاول التواصل معك ومع أمك، معرضًا إياكما للخطر. وربما
كان هذا حقيقيًا، لكنها ليست الحقيقة الكاملة. بالهروب من ثقل
الشعور الإنساني... بالعيش دون كل ذلك الغضب، والحزن، وانكسار
القلب... يكون الأمر أسهل بكثير، أهدأ.

"سيدي؟ آسفة على مقاطعتك، أيمكنك أن تناولني زجاجة الكاتشب؟".

رفعت عيني عن دفتري إلى المرأة الجالسة على مقعد البار المجاور لي، كانت في الستينيات من عمرها، ذات عينيّن طبيّتين واسعتين. أمسكتُ بالزجاجة، وناولتها إياها.

سألتني وهي تلقي بنظرة نحو دفتري: "أكتب القليل من اليوميات؟". قلت، محاولاً أن أتحدث بسرعة طبيعية: "أكتب رسالة إلى ابنتي..". كانت تسعة أيام قد مرّت منذ تفاعلت لآخر مرة مع كائن بشري آخر.

ظهر الساقى ذو الوجه المتعرج حاملاً طبقي -مأدبة مَجيّدة من السمك ورقائق البطاطس- وقدحاً ثانياً من الجعة العنبرية اللذيذة من مصنع بيرة محلي.

أغلقت دفتري ودسسته داخل حقيبة ظهري.

سألتني: "كم عمرها؟".

- خمسة عشر.

- أوه، أنت في قلب المعمرة.

منحتني التمشية من بيتي المستأجر في البرد شهية ضارية. منذ تلقيت تحسين أمي الجيني، وأنا دائماً جائع، شككت أن الأمر علاقة بزيادة النشاط العصبي.

انكبت على وجبتي، التي كانت استثنائية بسبب ندرتها. لا يمكن لأي قدر من التجهيز أن يتغلب على المطاطية المتأصلة وغبابة الشعور بالوادي الغريب⁽¹⁾ للسمك الصناعي.

(1) يشير مفهوم الوادي الغريب في علم الجمال إلى أن الكائن المخلوق الذي يشبه البشر الفعليين بشكل غير تام، يثير مشاعر غريبة مألوفة من الغضب والاشمئزاز عند المراقبين.

لكن هذا السمك، المجهز بطريقة مثالية والذي اصطيد حديثًا في محيط بإمكانني أن أراه من مجلسي، كان يتقشر بسهولة ويذوب في الفم.

قالت لتتابع الحوار: "أبنائي كبار..".

- كم عددهم؟

- اثنان، مارك في شيكاغو، وإيمي تعيش في منطقة الخليج

حكّت لي عنهما وأنا أكل، ماذا يعملان كي يكسبا رزقهما، كيف يبدو أحفادهما، قالت: "تمر الأيام بسرعة شديدة، ما اسمك؟".

قلت: "روبي..".

- أنا ميراندا، هل أنت من منطقة قريبة يا روبي؟ لم تكن تتصيّد المعلومات بطريقة خبيثة، هي أيضًا لم تتفاعل مع أحد منذ فترة، استطعت أن أثبّن صرير قلة الاستعمال في صوتها.

- فقط أمرٌ بالجوار.

- وأنا مثلك، تلك مقطورتني في ساحة الانتظار، اشتريتها بعد أن رحل فرانسيس.

كنت قد رأيتها في طريقي للدخول، ولن أكون صادقًا لو قلت عنها إنها صالحة للسير.

- زوجك؟

أومات برأسها.

أخذتُ رشفة من الجعة.

قلت: "أنا آسف جدًا..".

كنت أتجنب عمدًا النظر بإمعانٍ أكثر مما يجب في وجه ميراندا وهي تتحدث، إن قراءة التعبيرات متناهية الصغر والنوايا، خاصةً

في مكان كهذا بينما أريد فقط أن أشعر بطبيعتي للحظة، يمكن أن تكون في غير محلها.

نظرت الآن إلى وجهها، رأيت واجهة من السلوكيات الطيبة والشجاعة تخفي أسى ما زال نبيًا لم يستطع أن يطفح على قشرة الجرح.

- فقدت المنزل بعد موته.

- تعيشين في المقطورة؟

- بالطبع، ليست بالسوء الذي ظننت أنها يمكن أن تكون عليه، أحاول أن أجد كارافان أربطه بها. بعضهم يتشاركون الموارد، لطالما تحدثنا أنا وفرانيس عن شراء مقطورة تخييم بعد تقاعدنا؛ أن نرى كل الأماكن في البلاد التي رأيناها فقط في التلفزيون. لم يخطر ببالي قط أني سأفعل ذلك وحدي، وبدافع الضرورة؛ الحياة مذهشة دائمًا، أليس كذلك؟

تساءلت في نفسي كيف فقدت بيتها لكنني لم أسألها، ربما نفس المأساة الهادئة التي طردت عددًا كبيرًا جدًا من المتقاعدين من بيوت أعمارهم، انخفضت قيمة التأمينات الاجتماعية أرضًا في ظل التضخم. قرعت قدحي بكأس نبيذها وقلت: "أحسنيت قولًا".

سألتني: "ألا تسافر أسرتك معك؟".

- لا للأسف، هم هناك في الديار.

- وأين الديار؟

من الصعب تقديم إجابة عن هذا السؤال لشخص يعيش على الطريق، ويرى من البلاد قدر ما يستطيع. تبينت في لهجتها شيئًا من الساحل الشرقي -كونيتيكييت أو رود آيلاند- لذا انتفيت موقعًا نائيًا في الغرب.

استطعت أن أرى في عينيها أنها لم تذهب قط إلى هناك، استطعت أن أرى أيضًا أنها تريد أن تتطفل أكثر قليلًا على حياتي العائلية، لماذا كنت أسافر دونهم؟ ومرة أخرى، لم يكن هذا من منطلق أي ارتياحٍ خبيثٍ، بالأحرى كان فضولًا ووحدة.

رفعت عينيها إلى إحدى شاشات التلفزيون، ورأيت عينيها تتسعان، تتبععت نظرتها، ولأن التلفزيون كان مغلق الصوت، كل ما استطعت أن أراه ما بدت لقطات مصورة من طائرة من دون طيار تحلق فوق طريق سريع على ارتفاع عدة مئات من الأقدام.

كان الجنود يقيمون حواجز صفراء لامعة بعرض الطريق.

قرأت شريط الأخبار أسفل الشاشة:

مدينة جلاسجو بولاية مونتانا توضع تحت الحجر الصحي القسري
العسكري بعد موت 95 من مرض غامض

تساءلت ميراندا: "هل كنت تتابع هذا؟".

- لا، ماذا يجري؟

- على ما يبدو نوع ما من الفيروسات.

حدقتُ إلى شاشة التلفزيون، لكنَّ الترجمة النصِّية لم تكن مُفعَّلة، كل ما استطعت أن أراه هو تلك الطائرة الصغيرة المحلَّقة. انتقلت الشاشة إلى منظرٍ لجنودٍ يرتدون بدلات واقية وأجهزة تنفُّس يسرون في منتصف ما يمكن أن يكون شارعًا رئيسيًّا، في أي مكانٍ.

بعيدًا عن فضولي العام تجاه قصة إخبارية عاجلة، كان هناك شيء آخر في العنوان الذي احتلَّ شريط الأخبار أزعجني.

شعرت بعقلي الباطن يحفر نفقًا بحثًا عن الرابط، لكن ميراندا كانت بالفعل تتحدث من جديد، وتسألني إلى أين كنت متجهًا بعد ذلك.

حاولت أن أبقى مهذبًا ومنشغلًا ببقية وجبتي، مخفيًا فضولي داخل ركنٍ ناءٍ من عقلي كي أعود إليه لاحقًا.

عندما قامت ميراندا كي تذهب إلى دورة المياه، دفعت ثمن وجبتي ووجبتها وكنت أنزلق من فوق مقعدي عندما عادت نحو البار.

"هل أنت راحل؟" كانت هناك وخزة من الحزن في صوتها.

قلت: "سأقود غدًا لفترة طويلة، وهو ما يعني ضرورة أن أنطلق مبكرًا".

وعندئذٍ عانقتني، وتوثر الحاجة الخالصة والعزلة أشبه بذبذبات في عظامها. لو اخترت أن أسمح بذلك، لغلبنى تعاطفي معها.

- استمتعت فعليًا بلقائك يا روبي.

تمنيت لها رحلات آمنة.

ثم خرجتُ إلى البرد والمطر المنهمر.

رغم أنني كنت في مدينة، فإن هاتفي كان بلا شبكة.

وكان الجو أكثر ظلامًا ومطرًا من المجازفة بالصعود من الشاطئ إلى الجرف إلى بيتي المستأجر، لذا جريت جنوبًا على الطريق خارجًا من المدينة.

أسرع وأسرع.

إحدى المباهج القليلة التي لا تستدعي الندم في تحولي كانت قدرتي البدنية المحسنة، سخن جسدي كما كينة مثالية، لم أكن فقط في الكفاءة التي كنت عليها في سن العشرين، كنت أفضل أضعافًا

مضاعفة. لم يُعَد يزعجني على الإطلاق كاحلي المعطوب الذي لم يلتئم قط بشكلٍ كاملٍ بعد التواء سيئٍ في الثلاثينيات من عمري، ولا التهاب المفاصل في ركبتي اليسرى. كان بمقدوري أن أشرب ستة كؤوس، وأنام لبضع ساعات، وأصحو منتعشًا وممتلئًا بالنشاط، ولم أَعُد أصاب بالمرض قط. لقد كنتُ عداءً في صباي إلى أن انحدرت بي أخيرًا أوجاع وآلام جسدي في منتصف العمر إلى مستوى الدراجات الثابتة وماكينات التجديف في صالات التمرينات الرياضية مكيفة الهواء، لكن الآن، لم تعد لديّ مشكلة. جريت مسافات ماراثونية فقط لأجل الجري. صعدت الجبالَ عدوًا، سبحت في بحيرات جبلية، كانت طاقتي بلا قرار، شعرت أنني لا أقهر.

عندما ملحتُ أضواء كوخي القريب من البحر، أدركتُ كُنْه ما يتعلق بذاك العنوان في شريط الأخبار الذي كان يزنُّ في رأسي كذبابة. في رحلة عودتي إلى الوطن من الصين إلى أمريكا، عندما تركت مختبر أُمي إلى الأبد منذ عشرين عامًا، قرأت مقالًا في مجلة بالطائرة يصف جلاسجو بولاية مونتانا بأنها أبعد مدينة في أمريكا، كانت المعالم محددة، ما هو المكان الذي يزيد عدد سكانه على ألف، والأبعد عن خط مترو في مدينة سكانها على الأقل خمسة وسبعون ألفًا؟ كان أقرب خط مترو لجلاسجو على مبعدة أربع ساعات ونصف.

كيف يمكن لأبعد مدينة في أمريكا أن تكون نقطة انطلاق لتفشي فيروس جديد؟

كنت غارقًا تمامًا بالماء عندما دخلت من باب الكوخ.

علقت معطف المطر وتجردت من ثيابي المبتلة، لم يكن في موقد الحطب شيء إلا جمرات متوهجة، فتحت الباب الزجاجي، وألقيت بضع قطع من الخشب بالداخل.

ثم فتحت التلفزيون وتوقفت عند أول قناة إخبارية وجدت.

كانت نشرة رأس الساعة، والمذيع يقول:

"... تراقب تطورات الموقف في شمال شرق مونتانا، حيث مات خمسة وتسعون شخصًا في الأسبوع الماضي نتيجة مرض غير معروف. وصلت السي دي سي (مراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها) منذ يومين، واستدعي الحرس الوطني لفرض أمر حجر صحي أصدره حاكم مونتانا يقضي بالتمزام الناس بيوتها، كما يجري تطبيق الأحكام العرفية، وكل الطرق المؤدية إلى جلاسجو والخارجة منها مغلقة، ومنذ ثلاث ساعات، تم حظر تغطية الواي فاي داخل جلاسجو".

على الشاشة، تغيرت اللقطات لتظهر فريقًا من الأطباء في بدلات واقية يحملون شخصًا خارج منزل في حقيبة جثث.

"من المتوقع أن تعقد السي دي سي مؤتمرًا صحفيًا في أي لحظة الآن، وسننضم إلى ذلك ما إن يحدث، في هذه الأثناء ينضم إلينا دكتور...".

انتقلت إلى القناة الإخبارية التالية.

وجدت عالم أوبئة يتكهن بأن هذه يمكن أن تكون سلالة خبيثة من الأنفلونزا تحديدًا، لكن كان من الواضح أنه يُفبرك الكلام ملء الوقت ولا يملك أي معلومة حقيقية.

القناة الإخبارية التالية التي انتقلت إليها كانت فقط تلخص ما سمعته بالفعل.

تركت التلفزيون مفتوحًا وذهبت إلى حاسوبي المحمول على طاولة المطبخ، وقمت ببحث إخباري سريع عن جلاسجو، قرأت ثلاثين مقالًا من مصادر إخبارية حقيقية، لكن لم يكن هناك شيء جديد.

وسائل التواصل الاجتماعي كانت بالوعة من نظريات المؤامرة والميمات، لكنني ظلت أرى مقطع فيديو واحدًا يجري تشاركه.

كتمت صوت التليفزيون وضغطت مؤشر التشغيل.

كان مقطعًا مدته دقيقة وواحد وعشرون ثانية، مغبش الصورة، ومصورًا بهاتف محمول.

بدأ بفتاة مراهقة تميل مقربة من الكاميرا التي كانت تحملها. في الخلفية كانت هناك ضجة تشبه ضحكًا هysterيًا، لم يكن من الممكن أن أتأكد بسبب الجودة الفقيرة، لكن بدا أن ثمة دموعًا في عينيها.

"لا أعرف ماذا يحدث هنا".

وقفتُ وسارتُ عبر مساحة ضبابية.

كان الضحك يتعالى أكثر.

وكانت هي تتحرك نحوه.

عندما توقفت أخيرًا، رأيتُ أنها كانت واقفة في غرفة معيشة كابية الإضاءة بمقطورة مزدوجة الاتساع.

حوّلت كاميرا هاتفها، أظهرت الكاميرا رجلًا هزيلًا يجلس في مقعد كبير له سنادة للأرجل، كان يرتعد بعنفٍ، وكل بضع ثوان، كان يُطلق ضحكة متفجرة لا يمكن وصفها إلا بالمرضية.

"بابا، ما الخطب؟".

لم يُجبها، لم ينظر حتى إليها.

"ماذا يحدث لك يا بابا؟".

حاول أن يقف، لكن توازنه كان ضائعًا.

تعثر ساقطًا، وتمدد على الأرض.

"اللجنة! أهكذا تبدأ قيامة الزومبي؟".

"هل هناك شخص آخر يفكر مثلي أن هذا الرجل يجب أن يمثل دور الجوكر في الفيلم القادم؟".

"أيتها العاهرة، إنهما على وشك أن يأكلاك، اجري!".

"ضعيهما في سيارة وانطلقى بهما إلى مستشفى فوراً".

لم تكن هناك أي معلومة حقيقية يمكن التقاطها، لم أستطع حتى التأكد إن كان الفيديو حقيقياً.

عندما أقيمت نظرة نحو التلفزيون مرة أخرى، رأيت أن المؤتمر الصحفي قد بدأ.

عدت إلى غرفة المعيشة، وجلست بالقرب من موقد الحطب، ورفعت درجة الصوت.

كان القائد رقيب أول جاكسون تولماك يتحدث أمام حزمة من الميكروفونات بينما تهبط طائرة نقل عسكري بوينج سي 17 على مدرج في الخلفية. وكان يقف وراءه رئيسي القديم: إدوين روجرز.

"... حواجز ضد الصدمات عند تقاطع الطريق السريع رقم 2 والطريق السريع رقم 24 في الجانب الجنوبي الشرقي من المدينة، والطريق السريع رقم 2 في الجانب الشمالي الغربي من المدينة، والطريق السريع رقم 246، وطريق إيتكين، والطريق السريع رقم 42. كل المدارس والشركات والمرافق الحكومية مغلقة. مطار جلاسجو ومحطة القطار مغلقان، كل القطارات في المسار الشمالي سيتم تغيير مسارها حول المدينة. لن تكون هناك خدمة هايبرلوب إلى جلاسجو. يظل أمر البقاء في البيت سارياً بلا أي استثناءات جوهرية في النشاط. وصلت للتو شحنة من الوجبات الجاهزة من الحرس الوطني الجوي بمونتانا، وسيتم توزيعها على كل السكان المتضررين في جلاسجو. إذا

كنتم بحاجة إلى رعاية طبية فورية، المستشفيات الميدانية تقام عند تقاطع الجادة الشمالية الأولى والشارع الشمالي الأول، والآن، سأنقل الكلمة إلى د. مانبيرل".

تنحى القائد رقيب أول في الحرس الوطني، واقترب من الميكروفونات رجل يرتدي بدلة وله شعر بلون الأخشاب الطافية في الماء وذقن خفيفة نمت رغم حلاقتها في الصباح.

الرجل العسكري رجل عسكري، ينضح بهدوء الثقة بالقدرة على أداء المهام.

رغم الصورة غير الواضحة تمامًا استطعت أن أرى كم كان ذلك المانبيرل مذعورًا.

"مساء الخير. أنا ديفيد مانبيرل، مدير الاتصالات في السي دي سي. منذ خمسة أيام، جاءتنا التقارير الأولى من مستشفى فرانسيس ماهون ديكونيس فيما يتعلق بمرض غير معروف الأصل. كانت هناك خمس حالات، وجاء المرضى جميعهم إلى المستشفى في غضون ساعاتٍ من أحدهم الآخر.

تضمنت الأعراض تغيرات مفاجئة في الشخصية، وفقدان ذاكرة، وضعفًا في القدرات المعرفية، وأرقًا، وعدم اتساق، وارتعاشات بدنية، وانفجارات صوتية. كان المرضى قد لاحظوا الأعراض لأول مرة قبل ثلاثة أسابيع، ومروا جميعًا بتدهور عقلي ثابت. في اليوم التالي، أتى إلى المستشفى أحد عشر شخصًا بأعراضٍ مشابهة. في اليوم الثالث، زاد هذا العدد إلى ثلاثين. لدى المستشفى المحلي خمسة وعشرون سريرًا فقط، لذا أصبحت تلك أزمة طبية في وقتٍ قصيرٍ.

ألقي نظرة إلى ملاحظاته، ثم عاد للنظر إلى الكاميرا.

"حاليًا، لدينا 218 حالة فعلية. تحوَّلت المستشفى إلى مرفق فرزٍ ونحن نضيف المزيد من الأسرة والمستشفيات الميدانية بالتنسيق مع الحرس الوطني والوكالة الفيدرالية لإدارة الطوارئ. ونحن نرسل بالطائرات أطباء وعاملي تمريض من كافة أنحاء البلاد. حتى عشر دقائق مضت، مات 104 شخص".

هتف مراسل صحفي:

"ما هو معدل الوفيات؟".

"حسنًا، حتى الآن مائة في المائة".

تساءل مراسل آخر:

"ما هو سبب الموت؟".

"يسقط المرضى آخر الأمر في غيبوبة وبعد ذلك يعانون مجموعة من حالات الفشل العضوي، لكنَّ الالتهاب الرئوي التنفسي هو السبب الرئيسي للموت".

تساءل شخص آخر:

"هل اكتشفتُم المريض رقم صفر أو حددتم أي نوع من الأمراض تتعاملون معه؟".

"الإجابة باختصارٍ: لا، لكننا نجري عددًا من حالات تشريح الجثث".

أغلقتُ التليفزيون وجلستُ في صمت الكوخ، منصتًا إلى نقر المطر على النوافذ وهدير الرعد الأبدي للأمواج المتكسرة على الشاطئ بالأسفل.

في ذهني، أعدت تشغيل كل كادر من الفيديو الذي شاهدته، وخاصةً جزءًا معينًا: "أعتقد أنني سأصاب بالمرض أيضًا، طوال الليالي الثلاث الماضية، جسدي كله يوجعني".

كان بمقدوري الإحساس بنظرية تنبثق من ضباب الاحتمالات، وكان بمقدوري الإحساس بنفسني تقاومها بطريقة لا واعية، ليس لأنها بلا جدارة.

لأنها، لو كانت صحيحة، تعني أن شيئًا فظيئًا قد حدث، شيئًا أسوأ حتى من كل هؤلاء الناس الذين يموتون.

دخلت غرفة النوم الصغيرة، أخرجت حقيبة ملابسني من الخزانة وملابسي من الأدراج، وبدأت أحزم أمتعتي بسرعة.

كان الوقت متأخرًا والطقس سيئًا، لكن لم يكن بمقدوري أن أضيع ثانية واحدة أخرى.

سأغادر إلى مونتانا الليلة.

8

بعد يومين، كنتُ منطلقًا بسرعة عبر مونتانا تحت أكبر سماء رأيتها في حياتي، غرب جلاسجو بمائة ميل.

طبيعة ذات أسي شفيف. في السهل الممتد، كنت ألمح من وقتٍ إلى آخر حظيرة أو مدرسة صامدين أمام تقلبات الجو في بحر من العدم الواسع الكبير.

شبه مدن أشباح بنيتها التحتية الوحيدة مكتب بريد ومطحنة حبوب.

مزارع الرياح في كل مكان، بنصال مطاحنها البيضاء الدوارة، كانت الدليل الوحيد على أنني أقود سيارتي في الغرب منتصف القرن الواحد والعشرين.

غير ذلك، بدت طبيعة الأرض كأنها خارج الزمن تمامًا.

ولم تكن المسافات فسيحة فقط، بل بدت فواصل بين مجرّات.

كنت أقود سيارتي المرسيدس سبرينتر الكهربائية رباعية الدفع، التي عدلتها لتغزو منامة مؤقتة ومختبر بيولوجيا جزئية أوليًا. مرّت أوقات لم أستطع أن أجد فيها بيتًا للإيجار، وشكّلت جنبات هذه الشاحنة الصغيرة جدران بيتي. كنت أفرد السرير الملحق بالسيارة، وأطفئ المحركات، وأسقط نائمًا على عواء ذئب القيوط في صحراء سونورا، أو هدهدة الرياح الضارية فيما عاصفة كولورادو الثلجية تمحو العالم في الخارج.

غرب جلاسجو بخمسين ميلًا، فتحت الراديو وبحثت في الموجات حتى وجدت محطة الإذاعة الوطنية المحلية.

"... تختبر الحيوانات في مزارع المواشي واللحم في متاجر البقالة بجلاسجو. حتى الآن، لا توجد مؤشرات على أن اللحم الملوّث باعتلال الدماغ الإسفنجي البقري، المعروف أيضًا باسم مرض جنون البقر، هو المسؤول عن الوفيات الذين بلغ عددهم 177 في جلاسجو منذ الأسبوع الماضي".

مررت بإشارتي مرور رقميتين متموضعتين على مبعدة بضع مئات من الياردات فيما بينهما:

الطريق السريع رقم 2 شرق بلدة هينزديل مغلق أمام كل
حركة المرور المتجهة شرقًا

وبعد ذلك:

غير مسارك شمالًا إلى الطريق السريع رقم 5، أو جنوبًا إلى
الطريق السريع رقم 200

ظللت على اتجاهي إلى الشرق.

بلدة هينزديل في مونتانا، تعدادها 242، شيء يمكن أن يفلت منك لو طرفت بعينك، قامت في ظل توربين رياح طوله ألف متر.

بينما كنت أتهادى عبر الشارع الرئيسي، رأيت أضواء وامضة من بعيد.

شرق البلدة بنصف ميل، اصطفت ثلاث سيارات دورية طرق مونتانا السريعة لتسد الجانبين والحارتين.

عندما اقتربت من المتاريس، خرج شرطي دورية من سيارته، كان يرتدي بنطالًا كاكيا، وقميص جيش أخضر بصف أزرار، وقبعة ذات حافة مستطيلة.

أوقفت سيارتي على مبعدة عشرين قدمًا من السيارات الضخمة.

خلال العام الأخير من حياتي البدوية المتنقلة، لم يحدث قط، وعلى نحو إعجازي، أن أوقفتني الشرطة. شعرت بالثقة بأن التكبير الشخصي الذي أجريته لوجهي سيصمد أمام الفحص، ورغم أنه لم يحدث قط أن فحست قوة إنفاذ قانون هويتي، فقد ساعدتني جيدًا في مرات أخرى لا حصر لها.

جعلت نبض قلبي يستقر عند 70 نبضة في الدقيقة.

رسم رجل القانون دائرة بإصبعه، طالبًا مني أن أخفض النافذة.

امتثلت.

كان يرتدي نظارة طيار شمسية عكست صورتي خلف عجلة القيادة. تساءلت في نفسي إن كانت النظارة ذات إطاري عرض بصريين يمكن أن ينقلا معلومات ذات صلة بي وبسيارتي على العدستين من الداخل، أم هي ببساطة نظارة من الطراز العتيق.

لاحظت التهابات شفرة الحلاقة على وجهه وعنقه من حلقته الصباحية.

- افعَل بي معروفًا وأغلق محركك.

أغلقت المحرك.

لم يعجبني أني لا أستطيع أن أرى عينيهِ؛ كانت قراءة حركة العين حتى الآن هي الوسيلة الأكفأ لفك شفرة الحالة العاطفية للشخص ومقصده.

سألني: "من أين أنت قادم؟".

كانت على سيارتي لوحة نيو مكسيكو.

قلت: "نيو مكسيكو".

- طيب، هل رأيت اللافتات المعلقة إلى الورااء بعشرين ميلاً؟

- بالطبع رأيتهما.

- إذن أنت تعلم أن كل شيء حول جلاسجو مغلقٌ بسبب تفشي الوباء.

- أنا بيولوجي خلوي في مختبر لوس ألاموس الوطني، جلاسجو وجهتي.

رفع نظارته، وحدثني إليّ عبر عينيّن زرقاوين باهتتين.

- ما اسمك؟

قلت: "روبي فوستر..".

- رخصتك وتسجيلك.

كنت قد أعددتهما.

تناولهما، وسار عائداً إلى سيارته من دون كلمة.

كانت الريح تسوط البراري.

ارتجفت سيارتي.

بعد خمس دقائق، خرج مرة أخرى من سيارته وسار نحوي.

- أهلاً بك في مونتانا يا سيد فوستر، أنت تعمل لدى السي دي سي؟

- بالأحرى أنا متعهدٌ مستقلٌ.

- طيب، نحن سعداء بوجودك.

كان مكتوبًا على بطاقة اسمه المعلقة على صدره: د. تروتمان. د
كما في ديفيد.

كان واحدًا من قوات الولاية في مونتانا البالغ عددها 237 فردًا،
وجزءًا من المنطقة الخامسة، وقاعدتها بلدة جلينديف، كانت المنطقة
الخامسة تغطي ست عشرة مقاطعة، من ضمنها فالي، المقاطعة التي
كنت فيها حاليًا. كان ديفيد في الرابعة والعشرين من عمره وتخرج في
الأكاديمية منذ عام.
ما زال أخضر جدًا.

أبلغ الرقيب بيتسي لين، الذي أبلغ بدوره كابتن سام هيوتون،
الذي أبلغ الميجور تومي ميدوز، الذي أبلغ كولونيل جينا سوايسجود.
لقد قضيت ساعتين هذا الصباح في دراسة سريعة لتسلسل القيادة في
دوريات الطرق السريعة بمونتانا وكيف تتفاعل حاليًا مع السي دي سي
والحرس الوطني لمونتانا فيما يتعلق بجلاسجو.

كُلفت دوريات الطرق السريعة بمونتانا بمهمة تأسيس أوسع حلقة
من نقاط التفتيش على مبعدة خمسة وعشرين ميلًا من مركز الوباء.
منذ ساعتين، اتصلت بالكولونيل جينا سوايسجود على رقم هاتف
مزيف من أتلانتا، منتحلًا شخصية رون أورباخ؛ مدير السي دي سي
للشؤون الحكومية الدولية والاستراتيجية. أعطيتها قائمة بثلاثة علماء
متجهين إلى جلاناسجو على الطريق السريع رقم 2، تضم القائمة كذلك
أرقام لوحات الرخصة، وأوصاف السيارات، ومواعيد وصولهم المحتملة.

تساءل الجندي: "ماذا يوجد في ظهر الشاحنة؟" لم يكن متطفلاً أو مرتاباً، ملحتُ فضولاً حقيقياً.

خرجت من السيارة، حتى من مبعدة نصف ميل، كان صوت نصال التوربين البيضاء الهائلة مسموعاً وهي تشق الهواء، مألوفة إياه بنغمة متكررة ثقيلة ونائية.

فتحت الباب المنزلق، وكان أول ما رأيته بدلة واقية معلقة من السقف.

كان هناك مُجمّد إلى درجة حرارة سالب 20.

وجهاز فصل عينات مصغر.

وميكروسكوب ضوئي به كاميرا فيديو.

وماكيعة رمادية فضية في حجم وشكل الميكروويف.

قلت له: "هذا جهاز تسلسل الحمض النووي ذو الموائع الدقيقة الرقمي الآلي. أرتدي بدلتني، وأتوجه إلى منطقة تفشّي الداء، وأجمع حمضاً نووياً من الأشخاص المصابين. خلايا جلد، مسحات مخاط، عينات دم. ثم أضع العينات في تلك الماكينة، التي تحلل الحمض النووي للكشف عما يمكن أن يحوي من أمراض، لو تمكّنا من اكتشاف التسلسل، أو التوصل إلى معرفة ما تغيّر جينياً، فستكون لدينا فرصة في تصور أي نوعٍ من الأمراض نتعامل معه".

قال: "سمعت أن له علاقة ما باللحم الملوّث؟".

شيء ما في صوته... أكثر من مجرد اهتمام مهووس.

- لا نعرف حتى الآن، أتعيش بالقرب من هنا؟

- مالتا.

- أنت تعرف أحداً مريضاً.

كانت جملة تقريرية، وليست استفهامية، وأخذته على حين غرة.

- زوج أختي، يعيش هو وأختي في جلاسجو.

- أنا آسف لسماع هذا.

- لم أتمكن من الحديث معها طوال يومين.

- ما اسماهما؟

- تيفاني وكريس جارفيس.

- ما عنوانهما؟

كتبه لي على ظهر بطاقة تعريف شخصية، دسستها في جيبتي.

- سأحاول الاطمئنان عليهما، سنكتشف لماذا يحدث هذا.

كان بمقدوري أن أرى أن عرضي أثر فيه، لكن كل ما قاله: "سأقدر ذلك كثيرًا جدًا، لو رأيتهما..."

راقبته وهو يحاول إزاحة مشاعره جانبًا.

- سأخبرها.

كان الطريق السريع بين هيندزيل وجلاسجو خاليًا كأننا في نهاية العام، كنت أعرف أن هذا الحاجز الذي اجتزته للتو لن يكون الأخير أو الأكثر أمانًا بحالٍ من الأحوال، لكن لم تكن لدي أي نية في المجازفة عند نقطة تفتيش أمنية أخرى. ستكون نقطة التفتيش التالية تحت إمرة رجال من الجيش، وليس دورية طريق سريع متركزة على مبعدة عشرين ميلًا وبعبدة عن متابعة الأحداث إلى حدٍ كبير.

على مبعدة ثلاثة أميال من جلاسجو، أوقفت سيارتي خارج الطريق وصففتها تحت الشجرات الوحيدة التي رأيتهما طوال اليوم،

مخبئًا إياها قدر ما استطعت. كانت أشجار حور، غمت بمحاذاة ضفة
نهر ميلك، وهو رافد طوله 729 ميلًا لنهر ميسوري، الذي تصادف أن
تدفق في محيط ربع ميل من جلاسجو.

ضُمت قائمة أمتعتني بدلة الوقاية، والموصل الجارمن، ومنظارًا
مقربًا، ومسدسًا نصف أوتوماتيكي، ودرعًا للصدر واقيًا من الرصاص،
وزوجًا من النايتشيدز (نظارة رؤية ليلية من الجيل التالي تشبه
نظارات شمس أوكلي القديمة)، وحاسوبًا محمولًا، وكيسًا يضم حقنًا
وأنايبب جمع عينات الدم وتخزينها.

بعد أن انتفخت تمامًا، لم تبدُ العوامة بالضخامة التي توقعتها، كنت
قد اشتريتها بالأمس مقابل تسعين دولارًا من قسم الأدوات الرياضية في
متجر سبوكين وولمارت.

حملتُ أدواتي في العوامة وانتظرتُ الظلام.

من وقتٍ إلى آخر كانت تمر فوق رأسي حوامات وطائرات من دون
طيار وطائرات عادية وهي تنخفض في طيرانها مقتربة من جلاسجو،
لكن لم تمر مركبة واحدة على الطريق.

جلست مستندًا إلى جذع شجرة حور، مراقبًا الشمس وهي تنزلق
تحت الأفق.

مع غياب الضوء، زاد البرد.

شاهدت أول نجمة تظهر في صفحة السماء.

في الساعة الثامنة، جررت العوامة إلى حافة النهر، وصعدت إليها،
واستخدمت أحد المجاديف لأدفع نفسي في التيار.

كان الماء قارص البرودة.

طفت كتل من الثلج إلى جانب العوامة.

وكان القمر قرصًا من الفضة الوهاجة. ورغم أن رؤيتي الليلية الأصلية كانت قوية، فإن نظارات النايتشيدز جعلت كل شيء واضحًا جليًا.

ولم يكن هناك صوتٌ إلا ذاك الصادر من وقتٍ إلى آخر عن مجدافي وهو يغطس في الماء الأسود المتجمد.

كان نهرًا مثاليًا للسباحة، حيث يمضي ببطء إلى اللا مكان، واسعًا ولا يفور ويزيد كثيرًا.

مضت الرحلة الهوينسي، في مسارٍ لا يتتبع الطريق الداخل إلى المدينة، لكنه يلتوي وينعطف في خط سير أفعواني متعرج عبر بقع من الأراضي الزراعية.

استطعت رؤية الأضواء البعيدة للبيوت الريفية تتوهج كشموس خضراء والألق الممتد الجماعي لأضواء جلاسجو. مرت ساعات عليّ في الماء.

وفي كل مرة تتأرجح فيها العوامة دائرة حول منعطف في النهر، تتوهج أضواء المدينة أكثر قليلًا، وأقرب قليلًا.

ظللتُ منتبهًا يقظًا، مراقبًا بحرص كل شبر على البر. رغم أني كنت متشككًا في وجود أي نقطة تفتيش أمنية عند النهر، فإنك لا تعرف أبدًا ما يمكن أن يحدث. كان ظني أنه رغم عدم رغبة الحرس الوطني والسي دي سي في دخول الناس المدينة، فإن تركيزهم الأساسي سيكون على منع أهل المدينة من مغادرتها.

في الساعة 10:45 أصدر موصلي الجارمن طنينًا.

قضيت زمنًا طويلًا ليلة أمس في دراسة صور جوجل إيرث بالأقمار الصناعية لجلاسجو والتضاريس المحيطة، وقبل أن أنطلق في

الماء، وضعت مؤشر نظام تحديد المواقع لما اخترت أن تكون نقطة وصولي.

جدفت إلى البر، وقفزت خارجًا من العوامة، وسحبته إلى الأرض الجافة.

كان طرف المدينة على بُعد أقل من ألف متر شرق موقعي، على الجانب البعيد من حقل مفتوح.

أخرجت المنظار المقرب وتطلعت إلى المدينة.

من موقعي في مكمني، تمكّنتُ من رؤية نقطة تفتيش عسكرية عند الطريق السريع 246، على مبعدة نحو مائة ياردة غرب المدينة. كانت هناك حواجز خرسانية وأسلاك شائكة ممتدة بعرض الطريق، ونصف ستة جنود في زي الأمن البيولوجي ملتفين حول بضع سيارات هامفي العسكرية.

في أحد أبراج المركبات، رأيت جنديًا بنظارات رؤية ليلية يمسح ببطء وثبات الحقول المجاورة، ومن ضمنها الحقل الذي يتوجب عليّ أن أعبره كي أصل إلى المدينة. لو اتخذت مسارًا أطول عبر الحقول وظللتُ منحنياً نحو الأرض، فأنا متأكد بشكل معقول أنني سيمكنني البقاء مخفيًا وراء المنحدر.

خبأت العوامة في الأشجار، ووضعت الحقيبة على كتفي، وبدأت الزحف الطويل البطيء نحو جلاسجو.

وصلت حافة المدينة عند منتصف الليل.

أنزلت حقيبة الظهر وأخرجت بدلتي الواقية، وأنا أقل قلقًا من أن أصاب بشيء وأكثر اهتمامًا بالتغطية التي من المأمول أن توفرها

لي. كم إشارة إنذار يمكن أن يثيرها شخص يرتدي بدلة واقية يسير في منطقة تفشٍ لداء؟

ارتديت درعي المغناطيسي وقضيت عدة دقائق مريرة وأنا أحاول أن أرتدي بصعوبة البدلة الواقية في الظلام. ثم رُكِّبت جهاز التنفس الخاص بي، ثم دسست مسدسي نصف الآلي في جراب بديل اختلقته على فخذ البدلة، ووضعت حقبتي على كتفي.

سرت بحذرٍ عبر مجموعة أشجار فصلت الحقل الذي كنت أزحف عبره عن أرض جلاسجو، كان أقرب مبنى عبارة عن محل لأدوات التجميل على حافة المدينة محاط بهياكل مركبات تصدأ بين الحشائش.

جثوث أرضًا وانتظرت لحظة لألاحظ ما حولي.

توهَّجت منازل متواضعة من بعيدٍ.

وفقًا لبروتوكول الحرس الوطني بمونتانا، تضع دورية تطبيق حظر التجول جنديًا واحدًا على كل مربع سكني في المدينة من الغسق إلى الفجر، وستكون هناك أيضًا دوريات راكبة من سيارات هامفي أو مركبات برادلي القتالية تمر من وقتٍ إلى آخر.

دخل في الكادر جندي من الحرس الوطني يرتدي قناع وجه تكتيكيًا يتوجه بعيدًا عني عبر منتصف شارع خالٍ إلا منه، وبندقيته الآلية في وضع استعداد. بعد أربع عشرة ثانية، ظهر جندي آخر يذرع أقرب شارع متقاطع في مسار متعامد، وبعد خمس ثوانٍ -وعلى بُعد مربعين من الأبنية- ظهر جندي ثالث، سار قليلًا في اتجاهي، ثم انعطف يمينًا.

سجلت سرعاتهم على التوالي، التي اختلفت بدرجات تراوحت بين 1، 2، 35 ميلًا في الساعة، ثم أجريت معادلة عقلية سريعة، راسمًا لنفسي مسارًا وسطهم وباحثًا عن حلٍّ لمنفذي الخفي.

في اللحظة المناسبة، تركت مخبأ الأشجار، متحرّكًا في خطوات سريعة خفيفة على رصيف ومنزعجًا من الرؤية المحدودة بسبب درع وجهي والهمود العام للمدخلات الحسية بسبب بدلة الوقاية.

سمعتُ:

كلبًا ينبح.

رجلاً ينشج بالبكاء وهو يتوسل إلى من تحمل اسم جين أن انهضي أرجوك.

صوتًا يخرج عبر مكبر صوت على مبعدة خمس أو ست مربعات سكنية، يصيح بتعليمات موجهة إلى جمهور ما.

ما بدا مثل طلقات نارية على الجانب الآخر من المدينة.

ومن أكثر من منزل سمعت تلك الضحكة المجنونة التي سمعتها في ذلك الفيديو المنتشر.

أقمشة -مماسح أطباق، مناشف، تيشترات ممزقة- معلقة على كل باب تقريبًا مررت به، ثلاثة ألوان كانت كلها: الأخضر، والأحمر، والأسود.

وفقًا لـ (كي إل تي زد)؛ المحطة الإذاعية المرخصة لخدمة جلاسجو، كانت السي دي سي والحرس الجمهور قد أمروا كل بيت بالإبقاء على علامة بصرية متدلية من بابه الأمامي تحدّد حالة الناس بالداخل.

الأخضر = لا مرض.

الأحمر = شخص بالداخل ظهرت عليه الأعراض.

الأسود = شخص مات بالداخل.

بينما كنت أقطع شارع إس التاسع، كان المنظر مروّعًا - كل تاسع أو عاشر بيت كانت تتدلى قطعة قماش أسود من ثقب بابه.

عندما لمحت جنودًا جددًا يقومون بدوريتهم، أضفت المتغير الزائد إلى معادلتني.

أول بضع منازل اقتربت منها كانت أماكن لا يمكن الاقتراب منها؛ إما كلاب تنبح وإما أضواء بالداخل أو مغلقة بالأقفال. لم أكن بحاجة إلى أن ينطلق بسببي جرس إنذار، كنت بحاجة إلى منزل مظلم، بلا كلاب، وبياب غير موصد بأقفال.

إلى الشمال، لمحت مركز النشاط.

خيام بيضاء تلمع تحت كشافات الضوء القوية.

طواير من الناس ينتظرون العلاج.

وطائرات من دون طيار تحلق أعلى كل شيء.

توقفت لحظة، محاولاً أن أستوعب المشهد كله.

تكاد تشعر بالخوف في الهواء - كأنه شيء حي. هؤلاء الناس المساكين، لا بد أن الرعب أفقدهم عقولهم، متساءلين أي انحراف سيكوباتية للقدر ألقت بهذا الداء بينهم. وعلى عكسي، لم يكن لديهم سبيل لوضع خوفهم جانبًا.

كنت بحاجة إلى العثور على بيت.

والحصول على عينتي.

والعودة إلى السيارة.

في الوقت المضبوط، في انعكاس على زجاج سيارة أمامي في الناحية الأخرى من الشارع، لمحت حركة - جندي في زي التمويه الليلي يدور حول المربع السكني.

حتى من على بُعد أربعين ياردة، أمكنني أن أثبت أنه في مسار سيجعلني في مجال رؤيته خلال أقل من ثانيتين.
انبطحت أمام سيارة، ملصقًا جسدي الممدد بالرصيف.
انتظرت حتى مرّ.

في المربع السكني التالي، رأيت عنوانًا مألوفًا. صعدت إلى الشرفة الأمامية المغطاة، كان القماش الأسود المعلق بمسمار في الباب بقايا تيشيرت للمطربة بيونسيه، من جولة حفلات وداعها الأخير.
طرقت على الباب.

توهّج مصباح الشرفة الأمامية فوق، لكن لم تكن هناك أضواء في الداخل، رفعت ذراعي إلى داخل الشبكة الحاملة وفككت المصباح.
ثم ألصقت أذني بالباب.
لا خطوات قادمة.
لا أصوات.

انحنيت وجربت مقبض الباب.
لم يكن موصدًا بالقفل، وظللت أديره، حتى انفتح الباب أخيرًا.
كان المنزل مظلمًا.
صامتًا.

خطوت إلى الداخل، وأغلقت الباب ورأيت.
لفحتني رائحة الموت حتى من وراء كمادة قناعي.

دخلت غرفة معيشة صغيرة.

ومن ممزّ مقوس، دخلت مطبخًا.

نقرت زر الإضاءة على الجدار.

سطع صف مصابيح معلقة في قضيب معدني على نضد رخامي
مغطى بأبراج من الأطباق ذات رائحة عفنة.

هتفت: "هالو؟".

ابتلع الخواء صوتي ولم يرد بالجواب.

صعدت السلم المكسوة بالبساط نحو الطابق الثاني، لأصل إلى
بسطة تتيح الدخول إلى عدة أبواب،
كلها مغلقة.

فتحت الباب الأوسط - حَمَّام به باب في كل ناحية، لعلّه مرتبط
بغرفتي النوم المجاورتين.

أدى الباب على اليمين إلى مكتب منزلي.

أضأت مصباحًا علويًا.

كانت هناك منضدة قصاصات صحف مغطاة بالصور وأدوات
القص المختلفة.

على الحائط فوق المنضدة عُلّق بورتريه مؤطر لعائلة متعددة
الأجيال تقف أمام شجرة كريسماس ضخمة في زمن أفضل لا ريب.

تحركت عائداً عبر الحَمَّام وفتحت الباب المؤدي إلى غرفة النوم
الثانية في الطابق العلوي.

بدأت عيناوي تدمعان.

سمعت صريراً واهناً - زاده قناع وجهي وهنًا على وهن.

رمى كل شيء، وجذبت مسدسي، وكدت أطلق النار على امرأة في قميص نوم حريري تجلس في أبعد ركن من الغرفة وأكثرها ظلامًا.

اكتفت بمراقبتي، وهي جالسة بلا حراك وذراعاها ملتفتان حول ركبتيها، وشعرها متهدل على وجهها.

"ماذا تفعل في بيتي؟" أشارت رتابة صوتها إلى أنها تعاني من صدمة، وكانت هناك نغمة مشدودة في صوتها.

قلت: "رأيت القماش الأسود على بابك، طرقت الباب، لكن أحدًا لم يرد".

لم تتحرك المرأة، كانت شبه مختفية في الظلام.

أخفضت مسدسي، وأخذت بضع خطوات نحوها.

سألتها: "هل هناك أي شيء يمكنني أن أفعله من أجلك؟".

ظننت أنني رأيت رأسها تهتز.

ذهبت إلى الجدار، ونقرت زر الإضاءة.

نوهج مصباح على طاولة الفراش الجانبية وعاد إلى الحياة، ليلقي الضوء على رجل منتفخ متمدّد على جانبه فوق سرير عريض. كانت عيناه مفتوحتين. بشرته شاحبة، وبها لمعة شمعية. عمره ما بين الأربعين والخامسة والأربعين، وكان يرتدي تيشيرتًا وبنطلون بيجامة، وكانت هناك عشرات الصور الفوتوغرافية المؤطرة موضوعة حوله من كل ناحية كأنه نصبٌ تذكاري مؤقت.

كانت الصور للرجل الميت والمرأة الجالسة في الركن.

أماكن ومعالم كثيرة حول العالم:

عجلة لندن.

مدينة تشيتشن-إيتزا الأثرية في يوكاتان بالمكسيك.

قاعدة إبرة سياطل الفضائية.

في حفل موسيقي.

على زحافات جليدية.

سألها: "متى رحل؟".

- منذ ثلاثة أيام، حاولت أن أتصل بأمه، لكنكم أغلقتم شبكة

الواي فاي الخاصة بنا يا قوم، وحظرتكم كل اتصال خلوي إلا

تسعة واحد واحد.

- هل كان يتصرف بطريقة غريبة قبل موته؟

- نعم.

- كان جالسًا في السرير فقط؟ يرتعش؟

أومات برأسها.

- ضحك لا إرادي؟

- ساء الأمر أكثر وأكثر، لم يكن يأكل أو يشرب، لم يكن يحمل

نفسه ليذهب إلى الحمام، ورفض أن يذهب معي إلى

المستشفى. قبل أن أتمكن أخيرًا من طلب النجدة، كانت

الفوضى في المدينة.

- ألم يأت أحد لمساعدتك إطلاقًا؟

هزت رأسها: "قرب النهاية، لم يُعد حتى يتعرّف عليّ" انحدرت

الدموع على وجهها. "فقدت أبي بسبب الخرف منذ خمسة أعوام، كان

هذا أشبه بالمرور بمسار ذلك المرض كاملاً في عشرة أيام. في آخر مرة

حاولت أن أجعله يشرب الماء، ضربني، كسر فكي" مالت إلى الأمام،

ورأيت الجانب الأيسر من وجهها، كان متورمًا داكنًا. "في النهاية أصبح

عديم الاستجابة، كان يحرق لساعات بلا نهاية إلى العدم. وبعد أن

انزلق في نوعٍ ما من الغيبوبة، رقدت معه في سريرنا، ويدي على صدره، أحسُّه فقط يصعد ويهبط. سقطتُ نائمةً، وعندما استيقظت، وجدت أن صدره لم يعد يتحرك".

- هل تمنعين لو أخذت مسحة من داخل فمه؟

- لماذا؟

- ستساعدنا مادته الجينية على فهم المرض الذي قتله.

- إنه ميت، ألم يهلك هذا الشيء؟

- ثمة احتمال.. أتمنى ألا يكون.

- أظن أن الأمر لا يمثّل أهمية الآن.

وضعت حقيبتني على الدكة الخشبية عند طرف السرير، أخرجت عدة تجميع العينات: قنينة بلاستيكية وممسحة طولها ست بوصات لها رأس قطني.

كان فم الرجل الميت مغلقًا، وكنتُ أتمنى أن يكون تبيّس الموت قد أتى بالفعل وانقضى، وإلا كنت سأضطر إلى قطع جزء من الجلد من إحدى الأصابع.

بحمد الله، انفتح فمه بأقل قدرٍ من الجهد. أدخلت الممسحة ما بين أسنانه وكشطت بها الجزء الداخلي من خده، ثم دسست الممسحة في الأنبوبة البلاستيكية.

تساءلت المرأة: "هل سأموت أيضًا؟".

كان صوتها واهنًا جدًا.

ممثلًا بالخوف.

سرت نحوها.

- هل تعاني من أعراض شبيهة لأعراض زوجك؟

هزّت رأسها: "لكني لا أشعر أني بخير".

- بأي شكل؟

- كل ليلة، أعاني من أسوأ أوجاع الجسد، أشعر كأن عظامي تنشق داخلي.

سألتها: "وماذا أيضًا؟".

التمعت الدموع في عينيها مرة أخرى.

- تغيّرت ذكرياتي.

- كيف؟

- كما لو... كل هذه اللحظات مع كريس تظل تنهمر عليّ، أراها بوضوح تام الآن أوضح مما رأيتها من قبل، أوضح مما أتذكر أي شيء أصلاً.

التقينا منذ ثلاثة عشر عامًا في تلك الحانة في مدينة بوزمان، يمكنني أن أخبرك بكل كلمة قلناها، بكل شعور انتابني. لا أستطيع الرسم، لكن لو كنت أستطيعه، لأمكنني أن أريك كيف كان كريس يبدو تلك الليلة، حتى الشعيرات القصيرة حديثة النمو على ذقنه، الطريقة التي وقفت بها خصلة من شعره نافرة. يمكنني أن أخبرك كيف كانت رائحته، كيف بدت مريحة كرائحة البيت، كيف عرفت تلك الليلة أني سأقضي بقية حياتي معه.

رفعت إليّ عيني متضرعتين:

"لم أعتقد قط أن الأمر سينتهي على هذا النحو".

أردت أن أساعدها، أن أخفّف ألمها.

لكني كنت أموج بخليطٍ من الإثارة والرعب.

الإثارة لاكتشاف هذه المرأة التي أظهرت نفس أعراض التحسين الأولى -رغم أنها بدأت أسرع- التي عانيت منها بعد انفجار قنبلتي الثلج في ذلك القبو بدنفر.

والرعب مما كان يعنيه ذلك.

لقد ذكرت الفتاة في الفيديو الشهير معاناتها من أوجاع الجسد، ورغم أن هذا أشعل شكي ودفعني إلى القدوم إلى هنا، كان هذا هو التأكيد الذي أسعى وراءه، أو على الأقل أقرب ما يكون إلى ما أملت الحصول عليه قبل أن أجري تحليل الحمض النووي في منظم التسلسل الخاص بي.

جثوث أمامها.

قلت: "أتمنّعين لو أخذت مسحة من فمك؟".

- لماذا؟

- أنا فقط أحاول فهم ما يحدث.

أومات برأسها.

تناولت ممسحة أخرى ذات رأس قطني ومسحت بعض المخاط من جانب خدها الأيمن.

سألتي: "ماذا ستفعل بها؟".

مضيت إلى السرير وأخذت قلمًا أسود ثقيلًا من عدة عيّناتي، وكتبْتُ على الأنبوب البلاستيكي الذي احتوى عيّنتها: "هي/بلا مرض". "سأحلل حمضك النووي إلى جانب عينة زوجك، أحاول أن أفهم لماذا ساءت حالته وتحسّنت حالتك".

تساءلت: "تحسّنت؟ هذا لا يبدو تحسّنًا".

"عندك حق، لكنك ستعيشين" وضعت الحقيبة على كتفي وقلت:
"من فضلك فكري في الذهاب إلى المخيم في قلب المدينة واطلبي
المساعدة من أجل فكك".

فتحتُ الباب، وخطوت إلى الردهة، وألقيت نظرة أخيرة على
الغرفة.

"قابلتُ أخاك عند نقطة تفتيش في هينزديل اليوم، ديفيد، هو
قلق عليك، أراد أن يتحدث إليك، لكنهم لا يسمحون حتى بدخول
دورية الطريق السريع إلى المدينة، أراد مني أن أخبرك أنه يحبك".
كانت تبكي الآن.

- أنا آسف جدًا لخسارتك يا تيفاني.

أغلقت الباب وهبطت السلم، وأنا أرسم بالفعل خريطة مساري
للخروج من المدينة والعودة إلى السيارة.

عندما وصلت البهو، صدمني شيء بقوة شاحنة.
ارتطمت بالجدار.

وسقط مسدسي على الأرض.

ضربني كوع على فكي - نجوم وعتمة.

لم أعرف حتى ماذا كنت أقاتل، لم أعرف كيف أخذت هكذا على
حين غرة تمامًا...

لأن هذا الشخص تعرّض لِمَا تعرضت له من تحسين.

انغرست لكمة أخرى في معدتي، تقوس جسدي وأنا أشهق.

فجأة ارتفعتُ عن الأرض سبعة أقدام، مرفوعًا كأني لا أزن شيئًا.

وألقي بي لأبهر في الهواء لمدة 0.85 من الثانية.

اصطدمت بالأرضية الخشبية القاسية عند حافة المطبخ.

سمعت نفسي تتألم، تمكنت من دفع أغلب الألم جانبًا، ورفعت رأسي، رأيت رجلًا عند أسفل السلم يرفع مسدسي عن الأرض.

لم يكن يرتدي قناعًا للتنفس، وهو ما قد يعني أنه يعرف ألا وجود لأي مريض معدٍ بالمعنى التقليدي.

سمعت خطوات في الطابق الثاني.

سمعها أيضًا، رفع عينيه متطلعًا إلى السلم، ورفع مسدسي، وانتظر، ثم أطلق النار.

سقطت تيفاني متدحرجة على السلم حتى استقرت عند قدميه. فك خزانة مسدسي، ولفظ الطلقات التي في الخزانة، وفك أجزاء المسدس وهو يسير حافيًا نحوي، وأجزاء مسدسي تقعقع في سقوطها على الأرض.

كان الرجل تقريبًا في الخامسة والثلاثين من عمره، حليقًا تمامًا، مربع الفكين، شعره طويل ينسدل حتى كتفيه. يرتدي بنطالًا من الجينز وفانلة بولو احتوت بالكاد ذراعيه المفتولتين. كان أقصر مني بخمس بوصات، عريض الصدر والكتفين، ضيق الخصر، له تلك البنية المخيفة للمصارعين.

لقد تعرضت للتحسين بالتأكيد، لكنه لم يتمكن من السيطرة على تعبيراته متناهية الصغر بعد، لعلّه كان ليصرخ في وجهي قائلاً كم أنه يعشق العنف وإلحاق الألم - أسوأ نوع من الأشخاص تقابله بعد أن تعرض للتحسين.

لم يكن يحمل سلاحًا يمكنني أن أراه.

ظللت منبطحًا، تاركًا إياه يقترب أكثر.

انطلقت الأفكار بسرعة الضوء،

كيف وجدني هنا؟

بسيطة،

كان ينتظرني.

لقد قام بنفس الاستكشاف الذي أجرته على جوجل إيرث، وقرر أن نهر ميلك هو أفضل طريق لدخول المدينة، والحقل الذي زحفت عبره هو آمن سبيل.

وانتظر ظهوري.

لقد أفسدت الأمر.

كنت مصممًا جدًا على إيجاد أفضل طريق لدخول مدينة تحت الحجر الصحي حتى إني فشلت في أن أضع في اعتباري أن شخصًا له نفس ذكائي سيحدد نفس المسار.

كان يجدر بي أن أختار الخيار الثاني أو الثالث الأفضل، أو على الأقل أكون مستعدًا لبعض الشيء لمثل هذه النتيجة المحتملة.

لكن كل هذا كان موضوعًا جانبيًا الآن.

عندما صار على بُعد أربعة أقدام، اندفعت بجسدي نحوه.

تنحى ببساطة عن الطريق.

اندفعت متجاوزًا إياه، وسقطت، وجاهدت للنهوض، وأنا أنزع قناع تنفسي لأحظى بمجال رؤية أفضل وخلعت حقيبة ظهري عن كتفي.

نظر إليّ، وهو يلم شعره خلف أذنيه.

"أهلاً لوجان".

شعرتُ بعقلي يُجري بحثًا، محاولًا أن يوفق هذا الصوت مع كل إنسان حدث أن قابلته.

كانه يقرأ أفكاري قال: "لم نلتقي قط".

سألته: "منذ متى تنتظرني؟".

- ثلاث ليال.

- أين؟

- سيارة مهجورة في ساحة الخردة.

لقد سرت بجواره تمامًا.

- أختي هنا؟

ضحك فقط في سره بينما أندفع لأحدد إن كان هنا لقتلي أم للقبض عليّ.

سألني: "حصلت على عيناتك؟".

تواجهنا في غرفة المعيشة.

سجلتُ بروز كتفه الأيسر إلى الأمام، وتراجع الأيمن، وأفلتُ من لكمته العرضية اليمنى التي كان يمكن أن تطرحني أرضًا، وسددتُ لكمة خطافية يسرى إلى وجهه عندما مال فاقداً توازنه، ثم ضربت قصبه أنفه بكوعي ضربة وحشية.

تراجع مترنحًا، والدم يسيل على وجهه.

تبادلنا اللكمات، بعضها يفلت، وبعضها يصيب. بدت حتى أشد ضرباتي غير كافية - كأني أقاتل شجرة بلوط.

بعد أن أصبته في صدغه الأيمن، هز رأسه واندفع، وذراعاها اللحيمتان مفرودتان، كان عقلي يزعق: لا تدعه يطرحك أرضًا.

كُنَّا في الرواق الذي يؤدي إلى غرفة عائلية بجوار السلام، وعندما انحنى ليقبض على ساقِي، قفزت إلى أعلى، دافعًا الجدران بقدمي، لأسقط فوقه مباشرة، وركبتي تندفع إلى مؤخرة رأسه في صوت ارتطام مقررز.

عندما رقد مذهولًا على الأرضية الخشبية للصالة، لففت شعره الطويل على يدي اليمنى، وأغلقت عليه قبضتي، وضربت رأسه بالأرضية.

مرة.

مرتين.

ثلاث مرات.

أربع.

بطريقة مستحيلة، جاهد كي يقف على قدميه، لكنني قبضت على ظهره، وتشبثت به، ولففت ذراعي اليمنى حول رقبته، واعتصرتها بكل ما فيَّ من قوة، محاولاً أن أسبّب له اختناقًا في الدم يقطع مسار الشريان المؤدي إلى مخه ويعطيني بضع ثوان ثمينة لتصوّر...

دفعني إلى الحائط، بقوة طردت الهواء من رئتي، ثم دار حول نفسه واندفع نحو الناحية المقابلة من الرواق، بقوة شديدة حتى إنني صنعت شقوقًا في حائط الجبس.

شعرت بالآلام فظيعة في ضلوعي.

خبطني في الجدار.

مرة أخرى.

ومرة أخرى.

ومرة أخرى.

حتى لم يعد بمقدوري التحمل أكثر من ذلك.

حتى لم يعد بمقدوري التنفس.

أفلتت قبضتي.

سقطت على الأرض، وبينما كنت أشهق بحثًا عن الهواء، انهال الرجل بوابل من اللكمات على وجهي...

عندما أفقُتُ، كنت راقدًا على أرضية المطبخ وكان الرجل عند مائدة غرفة الطعام يسحب حقنة من حقيبة سوداء صغيرة. ألم في كل شيء.

شعرت أني مكسور تمامًا، والألم يقترب من حافة تتجاوز قدرتي على تحييده.

رأيتَه ينقر جانب الحقنة، وعندما التفت نحوي، أغلقت عيني.

أصدرت الأرضية صريرًا عندما اقترب مني وجثا إلى جوارِي. شعرت بيده الدافئة على كتفي، وعرفت أن سن الإبرة قادم.

فتحت عيني، وفتحت يدي اليمنى، ودفعتها إلى أعلى مباشرة في حلقه الطري.

كانت ضربة مثالية.

أصدر شهيقًا مفزعًا وأوقع الإبرة، وهو يقبض على رقبته.

احمرَّ وجهه.

وملأ الذعر عينيه.

تدحرجت ونهضت واقفًا، محدقًا إلى الرجل وهو يحاول التنفس، بدا أنه ينال خيطًا من الهواء، لكنه ليس كافيًا تقريبًا. تصورت أن

أمامه دقيقتين من البقاء في حالة وعي غير سارة على الإطلاق، ومن أربع إلى اثنتي عشرة دقيقة قبل الموت الدماغي.

قلتُ وأنا أتوجع من ألمي: "لقد حطمت قصبتك الهوائية، يمكنني أن أتركك تموت مختنقًا أو يمكنني إنقاذك".

أوما برأسه بعنفٍ، ووجهه يتحوّل إلى اللون الأرجواني.

"لديك سكين في تلك الحقيبة؟".

أوما برأسه، مجاهدًا كي يتنفس.

خمس عشرة ثانية.

رقدت حقيبة الرجل السوداء مفتوحة على النضد، داخلها كان هناك مسدس كيمبر ميكرو 9 ملم، وأصفاد، وقنينات، وحقن، وسكين قتال فاير-تك.

أسرعت عائداً إلى الرجل، الذي كان جالسًا الآن مستندًا إلى خزانة مطبخ، يختنق حتى الموت.

قلت: "تمدّد على ظهرك، أبعد يديك".

واحد وأربعون ثانية.

كان شيئًا غريبًا أن تنتقل من محاولة قتل هذا الشخص إلى إنقاذه في غضون بضع ثوانٍ، لكنه كان يمتلك معلومات. اعتليته.

"لو بدرت منك رفة عين خاطئة، سأشققك إلى شرائط".

أوما برأسه بطريقة محمومة.

كان وجهه بائسًا، واستطعت أن أرى بالضبط أين استقرّت ضربتي في حلقه، لقد حطمت الجزء العلوي من حنجرته. مررتُ إصبعي على

حلقه حتى شعرت بـبروز آخر: الغضروف الحلقى، في المسافة الفارغة بين هذا وتفاحة آدم سأصنع شقي.

عندما فتحت السكين، اتسعت عينا الرجل.

كان نصلها حاداً بطريقة جنونية.

شققت بها المنطقة التي حددتها، وأنَّ الرجل بينما الدماء تنسال من الجرح الجديد، دفعت النصل بحرصٍ عبر غشاء الجلد حتى نَقَّبَ مجرى الهواء لديه.

كان وجهه قد غدا أزرق.

ثمان وسبعون ثانية.

عرفت أني اخترقت مجرى الهواء لديه، لأن بعض الدم غاص في الجرح ممصوِّصاً، أطلتُ الشق إلى نصف بوصة.

سواء من الأُم أم من انقطاع الأكسجين، فَقَدَ الرجل وعيه الآن.

بعد أن سحبت نصل السكين، نهضت واقفاً وبدأت أفتح أدراج المطبخ، باحثاً عن شفاطة أو...

أمسكت قلمًا جافاً (بك) به آثار عض على طرفه، وفصلت بسرعة الهيكل عن مكونات الكتابة.

كان الجرح الذي أحدثته في رقبة الرجل قبيحاً، مسنناً وينزف بجنون، لكن ببعض الجهد تمكَّنت من إدخال الهيكل المجوف للقلم بوصتين عبر رقبة الرجل.

لم يكن يتحرك.

وضعت القلم بين شفتي، ونفخت زفيرين في مجرى هواء الرجل، وانتظرت.

لم يحدث شيء.

بدأتُ محاولة الإنعاش القلبي الرئوي، الضغط على الصدر مائة مرة في الدقيقة.

ثم زفيران في القلم.

ومرة أخرى.

أربع دقائق واثنى عشرة ثانية.

كنت على وشك البدء في دورة أخرى من الإنعاش القلبي الرئوي عندما ارتجف القلم في ثقبه وأصدر ضجة بقبقة وشفط.

انفتحت عينا الرجل، أخذ شهقات طويلة يائسة عبر القلم وحدّق إلى عينيّ بتركيز عاجز، كان لون وجهه يعود إلى الدرجة الطبيعية.

فتح فمه ليتحدث، لكن لم تخرج الكلمات.

شاهدت نوبة الذعر تعود، ولكسر من الثانية، شعرت بالأسف من أجله.

قلت: "حياتك في يدي..".

أوما برأسه، كان يعرف هذا.

لمست القلم: "هذا هو كل ما يبقيك حيًا".

أسرعت إلى غرفة المعيشة، وأخرجت حاسوبي المحمول من الحقيبة، وعدت إلى المطبخ.

جلست بجوار الرجل ذي الحلق المكسور وفتحت ملف كتابة خاليًا.

لم يكن لديّ وقت كثير؛ لا بد أن أحدهم سمع الطلقة التي قتلت تيفاني.

سألته: "ما اسمك؟" ثم ناولته الحاسوب.

كتب: أندرو

- هل أختي في جلاسجو؟

هزّ رأسه.

- كيف تورطت مع كارا؟
- كنّا في ميامار معًا، كنت واحدًا من الفريق الذي أنقذها، اتصلت بي السنة الماضية لأكون جزءًا من مشروعها.
- لماذا يقتل التحسين الناس؟
- لا فكرة لديّ
- ربما كان محقًا.
- ماذا كان مفترضًا بك أن تفعله بي؟
- أنقلك من هنا.
- إلى كارا؟
- نعم.
- أين هي؟
- لا أعلم.
- مددت يدي، وانتزعت القلم.
- شهيق.
- يأس.
- يدها تقبضان على عنقه ويبدأ ذلك اللون الأرجواني الجائع إلى الأكسجين في صبغ وجهه من جديد.
- أعتقد أنني لن أفرج عليك وأنت تختنق ببطء؟
- كتب أندرو: كولورادو
- أين في كولورادو؟
- بالقرب من سيلفرتون، أرجوك.
- أعطني عنوانًا وسأدعك تتنفس مرة أخرى.

دفعت القلم مرة أخرى عبر الثقب في حنجرته، وعندما شهق طلباً للهواء، راقبته، محاولاً أن أحس إن كان يكذب، لكن صدمة شق القصبة الهوائية كانت تُغرق أي تعبيرات، ناهيك عن أي تعبيرات متناهية الصغر يمكن قراءتها.

سمعت خطوات على الشرفة الأمامية، قبضت على الحاسوب، وقفزت واقفاً، وأسرعت إلى غرفة المعيشة، ودست الحاسوب في حقيبة ظهرتي بينما كان أحدهم يطرق بقوة على الباب الأمامي.

انترعت حقيبة أندرو من فوق مائدة غرفة الطعام وجريت ماراً به، وأغلقت الباب الخلفي في اللحظة التي انفتحت فيها الباب الأمامي. دخل الجنود المنزل.

اندفعت عبر الساحة الخلفية، ماراً بشواية قديمة ومظلة خشبية، ثم وثبت من فوق سياج متداعٍ ارتفاعه ثلاثة أقدام إلى زقاق. أخيراً أخذت شهيقاً عميقاً من الهواء إلى رثتي، وانتشر ألمٌ ساطع في جذعي بأكمله، لقد أصيبت ضلوعي بكدمات في أثناء قتالنا، وكان الألم في صدري ما فتئ يزداد، لكن لم يكن بمقدوري أن أتوقف. ظللت أجري.

عبر ساحات خلفية وساحات أمامية.

عبر شارع خال.

أخيراً خرجت من ساحة خلفية ولم يكن هناك غير الظلام أمامي. لقد وصلت إلى الحقل الذي زحفت عبره من قبل. جريت بأقوى ما استطعت، ثم انزلقت في قناة ري ووضعت نظارتي الليلية، التي نجت بما يشبه المعجزة - معوجة قليلاً، لكنها سليمة في الأساس.

استرقت النظر من فوق حافة القناة، كانت أضواء جلاسجو تتوهج بلون أخضر ساطع، وظهرت ثلاثة هياكل من وراء أشجار مزروعة كمصدات رياح تحيط بالمدينة.

جنود الحرس الوطني.

على مبعدة خمسين قدمًا فقط، استطعت أن أرى بنادقهم وأجهزة تنفّسهم، لم يكونوا مرتدين لنظارات الرؤية الليلية. رأيت أحدهم يسير مسافة قصيرة داخل الحقل، كان رجلاً قصيراً ممتلئ الجسم - لا بد أن لديه منظر رؤية ليلية ما في بندقيته، لأنه توقف هناك فقط، يدور ببندقيته ماسحاً الحقل بطريقة منهجية.

تراجعت من دون صوت داخل قاع القناة وانتظرت. اقتربت خطواته.

استطعت أن أسمع التراب وهو ينسحق أسفل حذائه الثقيل. توقف على مبعدة عدة أقدام.

استطعت أن أسمع صوت أنفاسه.

استطعت أن أرى ماسورة بندقيته.

صاح أحد زملائه الجنود: "أي شيء؟".

تردّد للحظة، وهو ما زال يمسح الأرض من حوله.

أخيراً قال: "لا..". وبدأ يتراجع نحوهما: "لا بد أنهم ارتدوا عائدين إلى المدينة، أبلغهم ذلك".

صعدت على جانب القناة وراقبتهم وهم يختفون في الشجر.

رقدت هناك لحظة، وصدري يجيش مستنداً إلى التراب البارد، وكل نَفَس انفجارية أُم. قبل تحسيني، كان هذا المستوى من الألم ليهلكني، حتى الآن، كاد يفعلها.

استنفد ذلك كل طاقتي، لكنني دفعت ألمي جانبًا وبدأت الزحف الطويل البطيء عبر الحقل، مفكرًا في سكان جلاسجو. هؤلاء الذين ماتوا.

هؤلاء الذين خُلفوا - مرعوبين، مرتبكين، مُدمرين. لم يعرفوا - لم يكن من الممكن أن يعرفوا- أنهم في حزنهم يعيشون لحظة مهمة في تاريخ كوكبنا.

لكل حرب عظيمة، هناك معركة أولى. الغزو النازي لبولندا، الذي بدأ الحرب العالمية الثانية. معركة حصن سمتر بالنسبة إلى الحرب الأهلية الأمريكية. ليسكنجتون وكونكوردي بالنسبة إلى الحرب الثورية الأمريكية. حشود الطائرات من دون طيار التي ضربت تايوان عندما غزتها الصين. لم تكن معركة جلاسجو حرب أسلحة، كانت حرب جينات وطفرات، حربًا ذات انتخاب طبيعي.

لقد حدثت الهجمة الأولى بالفعل، ولم يعرف حتى أحد بها، ذلك العنف الذي يضطرم على المستوى الخلوي لكل مواطن في جلاسجو. تمكنت أختي من إصابته بالعدوى.

كانت الرهانات أكبر من الأيديولوجيا، أو الأراضي، أو حتى الدين. كانت الرهانات مستقبل نوعنا.

إلى حيث سنذهب.

ما سنصبح عليه.

لقد بدأت كارا الحرب الجينية.

9

وصلتُ إلى سيارتي بينما كان الفجر يبزغ على البراري، كان ضوءًا ناعمًا خفيًا، باستثناء أقصى الأفق الشرقي، الذي كان محمرًا عند أطرافه كما لو أن الليل ذاته قضى ليلة عسيرة.

اقتربت من الشاحنة الصغيرة بحذر، منتبهًا لاحتمالية أن يكون أحدهم في انتظاري.

الحرس الوطني.

أو المزيد من رجال أختي، لقد توقعوا بنجاح الطريقة التي تسلت بها إلى جلاسجو، ربما كانوا ينتظرون بالقرب من شاحنتي الصغيرة.

لكن السيارة كانت على حالها، وآثار الأقدام الوحيدة التي رأيتها في الجوار كانت لي.

دخلت السيارة، متأوهًا وأنا أخلع بدلتني الواقية. ثم خلعت قميصي، الذي كان يتصبب عرقًا.

لم أعرف كم كان عددها، لكنني كنت متأكدًا أن ضلوغًا عدة مصابة
بكدومات من المعركة.

كانت البطاريات الشمسية مشحونة بالكامل، وقد وُضِّلتها بالفعل
بمنظم تسلسل النانو الرقمي وتجهيز الحمض النووي الميكروفلويدي
الآلي. وضعت فيه عينات تيفاني وكريس بالإضافة إلى عينة مني
وحمض نووي من إنسان غير محسَّن كضوابط للتحليل، وبدأت
الماكينة عملها.

بعد تنقية الحمض النووي، ستقرأ كل نوكلوتييد، خيطًا بعد خيط،
وتسجل كل زوج قاعدي بالتسلسل، ثم تُحمَّل القراءة الناتجة على
محرك برمجيات سينشئ تراصفًا جينوميًا كاملاً من جديد، سيستغرق
التسلسل الكامل وخاصةً تحليل هذه العينات ما بين ثماني إلى عشر
ساعات.

عندما بدأت أنظمة منظم التسلسل القراءات والتجميعات
الجينومية، أدركت محرك السيارة ورأيت جلاسجو في مرآة السيارة
الخلفية وهي تبتعد.

كانت سيلفرتون على مبعدة ألف ميل - رحلة تستغرق ست
عشرة ساعة بالسيارة في اتجاه الجنوب، عبر مونتانا ووايومينج، وأخيرًا
الأطراف الجنوبية الغربية لكولورادو.

كنت قد اجتزت حدود وايومينج للتو عندما بدأ جسدي وتركيزي
يستسلمان، توقفت عند استراحة خارج بلدة رانشستر، وأخرجت بعض
المورفين من صندوق الطوارئ، وحقنت ذراعي ببضع ملليجرامات...

والأم

ذاب

فردت سريرى، وخلعت ملابسى وحذائى الثقيل، وتمددت فى السرير.
لم أشعر بهذا الإعياء منذ حاولت كارا قتلى فى نيو مكسيكو وأجبرت
على الفرار من المستشفى فى منتصف الليل.

لكن فى لحظة مباركة، تلاشى كل ألمي.

راقبت ضوء منتصف النهار وهو يتدفق عبر الزجاج الأمامي القذر
حتى لم يعد بمقدوري أن أفتح عيني أكثر من ذلك.
وسبحت مبتعدًا على وقع النقرات والدمدمات المريحة لمنظم
تسلسل الحمض النووي.

عندما استيقظت، كان الليل، والصمت فى الشاحنة الصغيرة.

اعتدلت فى جلستي ببطء، وأخذت شهيقًا مترددًا.

كان أثر المورفين قد تلاشى، وعاد الألم من جديد، رغم أنه كان أقل
شمولًا من قبل.

نزلت من السرير، وتناولت ثلاثة أقراص مسكن أدفيل من
صندوق الطوارئ، وذهبت إلى منظم تسلسل الحمض النووي، الذي
كان يطنُّ بهدوء.

أيقظت شاشة اللمس، ورأيت رسالة: التسلسل أ جرى تحميله
وتحليله، يجري تحليل التسلسل ب، الوقت المتبقي: 51 دقيقة.
شربت ثلاثة أكواب من الماء وفردت الدكة التي كنت أستخدمها
أيضًا مكتبًا.

فتحت حاسوبي المحمول وفتحت محرك التحليل؛ برنامج اسمه (لايفكود). التسلسل أ هو عينة حمض تيفاني النووي، ولأني قست بدقة تسلسل الجينوم الخاص بي وقرأته بالتفصيل، كنت أعرف بدقة ما أبحث عنه. كانت لدي قائمة بالجينات والممرات الجينية التي حُورّت لتغيير نشاطها المتوقع ومستويات تعبيرها نتيجة للتحسين الذي أجبرتني أمي عليه. في الواقع، لقد اقتحمْتُ بالفعل الشفرة الأصلية للمحلل وصغت برنامجًا أكثر تفوقًا بكثير مستخدمًا تسلسل حمض النووي كقالب لاصطفاف ومقارنة الجينومات الأخرى.

يتطابق البشر بنسبة 99.9 في المائة في حمضهم النووي أحادي العدد/ تسلسل الجينوم لنحو 3.2 مليار زوج قاعدي. ومع ذلك، رغم أننا جميعًا نمتلك نفس الجينات تقريبًا، توجد تعددات للأشكال -أي اختلافات صغيرة في تسلسل هذه الجينات- تؤدي إلى تغيرات في مستويات التعبير، بل وتغير وظيفة الجين، هذه الاختلافات الدقيقة هي ما تجعل كل واحد منّا فريدًا عن بقية أفراد نوعنا.

لقد صغت شفرة برنامجي كي أعثر على هذه الاختلافات وأسلط الضوء عليها.

نقلْتُ الملفات الضخمة الحاوية لتسلسل حمض تيفاني النووي الخام داخل برنامج البحث الخاص بي.

وبينما البرنامج مستمر في عمله، تناولت علبة حساء من الخزانة وسخّنتها في قدر صغير على موقدي.

كنت أتضور جوعًا.

قرأت نتائج تحليل حمض تيفاني النووي وأنا أكل.

كما توقعت بالضبط، نفس الجينات التي تحوَّرت في شريطي الوراثة تحوَّرت في المقابل لديها.

حتى التعديلات سارت على الأثر.

هذه الحمولات من الحمض النووي كانت بادئة بالفعل في ممارسة تعديلاتها على جينات لا تُعد ولا تُحصى، تشمل سلاسل مضاعفة من الممرات - كل لمسة خفيفة للجينوم، أشبه بأثر الفراشة الذي سيغير مع الوقت شريط تيفاني الوريثي ويؤدي إلى زيادة ذكائها وإطالة عمرها ومضاعفة مرونتها ليرفعها في النهاية إلى نسخة في مستواي.

بعد رؤية كارا وأندرو، بدأت أشك أن التحسين رغم تغييره لأشكال التعبير عن الذكاء والذاكرة والبراعة البدنية بشكل عام، يمكنه أن يقوي أضعافاً مضاعفة تلك النزعات الموجودة من قبل - القوة، وخفة الحركة، والتناسق بالنسبة إلى أشخاص مثل أندرو وكارا، وتمييز الأنماط وقراءة الناس بالنسبة إلى الأشخاص الأكثر ميلاً إلى التفكير مثلي.

كانت تيفاني في نفس الرحلة، التي قطعتها أنا من قبل، نحو أن تغدو نسخة معززة من الإنسان العاقل عندما أطلق عليها أندرو النار عند قمة ذلك الدَرَج.

باستخدام البرنامج، بدأت أعزل الشفرات الجينية للعديد من الحزم الفيروسية التي أوصلت التحسين إلى تيفاني. كل حزمة كانت تسلسلاً من ثمانية كيلو قاعدي - تبدو كأنها كمية تافهة من الحمض النووي، لكنها تحمل شفرة. ورغم أنها استُنسخت، لم يبدو أنها حُزمت وأُفرزت إلى حد أن تصبح قادرة على الانتقال.

لم تكن تيفاني قط ناقلة للعدوى.

لكن السؤال الحقيقي كان ماذا يحدث مع التسلسل ب.

سمعتُ منظم تسلسل الحمض النووي يصدر صافرة تشير إلى أنه يُحمَل الآن التسلسل ب إلى داخل برنامج لايفكود.

بما أنه لم يبدو أن فيروس كارا يمكنه الانتشار من شخص إلى آخر، تساءلتُ كيف تمكنتُ من إصابة كل هذا العدد من سكان جلاسجو؟ هل أرسلتُ فريقًا تسلك إلى المدينة منذ عدة شهور وأصاب بطريقة يدوية أكبر عدد ممكن من الناس؟ لعلها استهدفت فقط حفنة من الأماكن وكانت لديها احتمالات جيدة إلى حدٍ كبير بأن تصيب بالعدوى نصف السكان على الأقل.

أومض حاسوبي المحمول برسالة تنبهي أن التسلسل ب (حمض كريس النووي) قد انتهى من التحميل على برنامج لايفكود. نقلت الملفات داخل برنامج البحث المعتاد الخاص بي، ثم خرجت من السيارة لأتبول.

كانت السماء ملبّدة بالغيوم وبلا نجوم. تخللت رائحة الثلج الهشة الهواء، وتكدس الظلام محاصرًا المناطق المضاءة من نقطة الاستراحة.

عدت إلى الشاحنة الصغيرة وطالعت بسرعة النتائج الأولية للتسلسل ب.

على الفور استطعت أن أرى وجود شيء ناقص في الشفرة.

رغم أن كريس تلقى أيضًا حزمة التحسين الفيروسية، لم تحدث إلا بعض التحسينات فقط. في حالات كثيرة، كانت التحسينات جزئية فقط، بعد أن فشلت في إكمال التغييرات وشوّشت بدلاً من ذلك على أقسام من الجينات الحيوية.

بدلاً من بدء التحسين، أشعلت الحزمة الفيروسية فتيل تشظٍّ جيني جديد وبدأت سلسلة من تحرير الجينات بعيدًا عن أهدافها. نسختُ التسلسلات الجديدة ونقلتها إلى مبحث عام لأرى إن كان بمقدوري العثور على توافقي وتفاعلات ممكنة.

لم يكن مدهشًا لي أني لم أجد أي توافقات جينومية مضبوطة.

لكنني شاهدت في ذعر قائمة نتائج "التداخل 95%-50%" التي اصطلفت أمامي: قعاص الغنم، داء جنون البقر، اعتلال الإبل الدماغية الإسفنجية، اعتلال المنك الدماغية الإسفنجية القابل للانتقال، مرض الهزال المزمن، اعتلال القوط الدماغية الإسفنجية، اعتلال ذوات الحوافر الدماغية الإسفنجية ذو المنشأ الخارجي، اعتلال الدماغ الإسفنجية، مرض كروتزفيلد جاكوب⁽¹⁾، مرض كروتزفيلد جاكوب علاجي المنشأ، مرض كروتزفيلد جاكوب المتغير، مرض كروتزفيلد جاكوب العائلي، مرض كروتزفيلد جاكوب المتقطع، داء غيرستمان شتراوسلر شينكر⁽²⁾، الأرق العائلي المميت، الكورو⁽³⁾، الاعتلال البريوني المتغير الحساس للبروتياز (مجموعة من الإنزيمات البروتينية).

اللعة علي!

كل هذه أشكال من الأمراض البريونية.

والبريونات عبارة عن بروتينات معتلة تحمل قدرة مرعبة على أن تنقل بطريقة تحفيزية شكلها المعتل إلى التنوعات الطبيعية لنفس البروتين، هذه الطفرات تتسبب في اعتلال البروتينات الطبيعية في المخ، إنها تمزق حرفيًا مادة المخ وتسبب حفنة من أمراض الانتكاس العصبي المثيرة للرعب. يفقد الضحايا قدرتهم على تمييز الناس والأماكن والعناية بأنفسهم، وفي المراحل الأخيرة، يتوقفون عن التفكير بشكلٍ مطلقٍ.

(1) عبارة عن اضطراب انتكاسي في الدماغ يؤدي إلى الخرف ثم إلى الوفاة في النهاية.

(2) مرض نادر جدًا يصيب المخ أيضًا وأعراضه قريبة من الأمراض السابقة: الخرف والتشنجات العضلية وربما العمى والصمم والوفاة في النهاية.

(3) مرض بريوني أصبح نادرًا جدًا في أيامنا هذه، وهو يسبب تدهورًا سريعًا في الوظيفة الذهنية وضعفًا في التنسيق.

في العادة، الأمراض البريونية نادرة للغاية -يتم الإبلاغ عن أقل من ثلاثمائة حالة في الولايات المتحدة كل عام- وتتطور ببطء. وطريقة العدوى محدودة بشدة. لا يمكنك أن تصاب بها إلا عبر واحدة من ثلاث طرق: الإصابة الوراثية، أو من عمليات زرع قرنية ملوثة أو أدوات طبية ملوثة، أو -كما في حالة مرض الكورو الذي أصاب شعب الفُوريه في بابوا غينيا الجديدة- أكل لحوم البشر.

أغلقت حاسوبي المحمول، وفصلت الطاقة عن منظم التسلسل، وأدبرت محرك السيارة.

كانت الأفكار تتسابق في عقلي.

بالنسبة إلى أشخاص مثل تيفاني ومثلي، كان التحسين يسير كما خُطط له.

لكن لو سار التحسين بطريقة ما شديدة السوء، فلتتوقع أن يكون نوع الفشل الوظيفي الذي ستراه بالضبط مرضًا بريونيًا.

10

كان المطر يتساقط عندما دخلت سيلفرتون، كولورادو، بلدة المناجم القديمة ذات الخمسمائة نسمة. استقرت في وادٍ عالٍ محاط بذرى مسنّنة متكسرة لسلسلة جبال عمرها ثلاثون مليون سنة تشكلت عندما اصطدمت صفيحتان قاريتان إحداهما بالأخرى.

قدت سيارتي عبر البلدة الهادئة.

ليس من محل مفتوح إلا حانة فقيرة في طرف، وحافلة طعام في الطرف الآخر. نهضت نصف المباني في حالات متباينة من الاحتياج إلى الترميم، بدت من ذلك النوع من الأماكن التي لم تتغير بشكل حقيقي خلال مائة عام، مكان وقف متحديًا للمستقبل.

مكان يموت.

في نهاية البلدة، أوقفت سيارتي عند جانب الطريق.

وفقًا لنظام تحديد المواقع لـديّ، كان 58 طريق إبولوس واي إلى الشمال من موقعي الحالي بـ 3.2 ميلًا، وبينما كنت أتطلع حولي في هذه البلدة الخاوية المحتضرة، لم أستطع التخلص من فكرة أن أندرو كذب عليّ، أو ربما لم يكذب، ربما كنت أؤدي بالضبط ما خططت له كارا.

مكتبة

t.me/soramnqraa

على أي حال، سأعرف قريبًا جدًا.

بعد ميل شمال البلدة، انتهى الطريق الممهد. كان الطريق الترابي موحلاً، وغارقًا بالماء في مواضع منه، والمطر يسقط بقوة أكبر الآن بينما يتعرج الطريق عبر غابة دائمة الخضرة.

كانت الغيوم منخفضة ومنذرة بالوبال، غابت في بطنها أعلى الذرى.

مررت بسفح تل تزلج مهجور. كان النُزل مظلمًا، ونوافذه مكسورة، ومركبات التليفريك تتأرجح في الريح. وثمة كاسحتا ثلج مهملتان منذ أميد بعيد متروكتان لياكلهما الصدا في هدوء.

بعد ميلين آخرين، نبّهني الجي بي إس إلى أني قد وصلت إلى 58 إبولوس واي.

لم أتوقف.

على يميني، كانت هناك طريق بحارة واحدة تتفرع صاعدة جانب الجبل قبل أن تتوارى داخل غابة داكنة - لم أستطع أن أرى أي رقم للشارع، إلا بوابة تمنع الدخول إلى الطريق الخاص، وثمة لوحة مفاتيح وجهاز اتصال داخلي بالقرب منها. لقد رأيت كل هذا بصفاء أقل على خريطة القمر الصناعي عندما توقفت لأجري استعداداتي بالأمس.

قدت سيارتي بضع مئات من المئارات مبتعدًا في الطريق، وأخيرًا أوقفت المرسيدس على مسافة آمنة من درب كارا.

انهمر المطر كالمطارق على زجاج السيارة الأمامي.

ذهبت إلى الجزء الخلفي من السيارة وفتحت حقيبة أندرو. كان قد فكك سلاحه أشلاء في بيت تيفاني في جلاسجو، لكن كان لدي الآن مسدسه الكيمبر ماكرو 9 ملم. تأكدت من الذخيرة: سعة 7 + 1، كان سلاحًا ضئيلاً، لكن حاليًا، أفضل من لا شيء.

عندما خطوت خارجًا، كان الهواء معبقًا برائحة التنوب المبتل والخشب المحروق، غصت في الغابة المتفحمة، شاقًا طريقي بثبات صاعدًا جانب التل المشجر المنحدر.

بعد خمس عشرة دقيقة، كنت أعلى الطريق بعدة مئات من الأقدام، واستطعت أن أرى من بعيد الطريق الخاص المؤدي إلى 58 إيولوس واي يصعد ملتفًا عبر الأشجار، شككت في وجود كاميرات ومجسات أشعة تحت حمراء على طول الطريق.

تابعت صعودي الشاق للجبل، مبقيًا عيني على الطريق وفي نفس الوقت محافظًا على اختبائي بين الأشجار.

بعد ساعة، وصلت أخيرًا إلى حافة فرجة في الغابة. أمامي مباشرة نهض المسكن الجبلي، من الداخل، شعت الأضواء في خفوت عبر النوافذ.

جلست مستندًا إلى شجرة، تاركًا مظلة الغصون تقيني المطر الثلجي، وعندما مال الأصيل نحو المساء وانسحب الضوء، أخرجت منظارًا مكبرًا من حقيبة ظهري ووجهته نحو المنزل.

لا حركة بالداخل.

كنت قد أجريت بحثًا عن ملكية المنزل، كان له مالك واحد منذ بنائه قبل اثني عشر عامًا، كيان باسم جي 6، شركة ذات مسؤولية محدودة لديها وكيل مسجل في ولاية ديلاوير ولا توجد أي معلومات أخرى متاحة. قمت باختراق سجلات مكتب مفتش المباني في سيلفرتون ووجدت مخططات المسقط الأفقي. بافتراض أن البنائين التزموا بها، سأعرف طريقي في المكان.

بينما أنا منتظر هبوط الظلام، خطر لي أني على جبل في كولورادو، على ارتفاع عشرة آلاف قدم في يناير، وكان المطر ينهمر بدلاً من الثلج. ذات يوم من الأيام، كانت هذه الجبال تُدفن تحت أمتار من نثار طازج. ذات يوم من الأيام، كانت هذه الغابات لتغدو خضراء، لكن حرائق الغابات في الأحياف مفرطة الطول حمّصتها.

حلّ المساء.

نهضت واقفًا، وظللت وسط الأشجار وأنا أسير بمحاذاة محيط فرجة الغابة حتى وصلت إلى جانب المنزل.

تحركت بمحاذاة الجدار الحجري، وانعطفت عند الزاوية إلى داخل الساحة الخلفية. امتدت من المنزل منصة مترامية الأطراف حتى حافة الغابة، توقفت عند أول نافذة قابلتني.

وكانت هي هناك.

تولي ظهرها لي وهي تقطع الخضروات على نضد من الجرانيت - على مبعدة عشرة أقدام فقط.

تابعت الحركة. لو كانت الرسومات الهندسية صادقة، هناك باب في الطرف الآخر من المنزل، يفتح على حجرة زجاجية لأخذ حمامات الشمس، ستمنحني أفضل تغطية للاقتراب من كارا، وإذا اضطررت إلى كسر الزجاج، من غير المحتمل أن تسمعه من المطبخ.

عبرت المنصة وجريت بمحاذاة الجدار الخلفي من البيت، لأصل
أخيراً إلى جدار زجاجي داكن مبخر من الداخل.

أخرجت المسدس الصغير من سترتي، ومددت يدي نحو الأبواب
الزجاجية المنزلة.

دار المقبض.

لفح وجهي هواء دافئ.

خطوت إلى الداخل، وانغلق الباب في تكة ناعمة وراني.

وجدت نفسي في حجرة موسيقى، حيث استقر بيانو كبير بصندوق
من خشب الزان محاطاً بجدران زجاجية. رُتبت على غطاءه بحرص
مجموعة من الصور الفوتوغرافية المؤطرة.

تفحصتها في الظلام.

أنا وماكس في سن الثامنة في نزهة على ظهور الخيل قرب سلسلة
جبال سيرا نيفادا.

كارا في رداء وقبعة التخرج في حفل مدرستها الثانوية.

والدنا، هاز، في مقصورة مركب شراعي كان يحبه في خليج سان
فرانسيسكو، يبتسم من وراء نظارة شمسية.

أعياد ميلاد، حفلات كريسماس، أعياد شكر، أعياد هالووين.

كان هناك زمن يمكن لهذه الصور فيه أن تحطمني - كأثار عائلة
منكوبة. أما اليوم، فلم أشعر إلا بهدير ناءٍ للعاطفة، وكان هديراً
واهناً جداً، وبعيداً جداً فيما وراء أفقي العاطفي، حتى إني ميزته
بالكاد.

أهذا هو المكان الذي عاشت فيه أُمِّي مختبئة، بعد أن صدّق
العالم أنها اندفعت بسيارتها خارج الطريق الساحلي لكاليفورنيا؟

كان هناك أثر كسر في غطاء البيانو، ميزته على الفور. منذ عقود، عندما كان هذا البيانو قائماً في بيتنا في بيركلي، اصطدمت به عَرَضاً وأنا أمتطي سكوتر بينما كانت كارا تطاردني في أرجاء البيت.

تخيلت ميريام جالسة هنا، تعزف الموسيقى التي قدمتها لنا في أوقات أسعد، محدقة إلى كل هذه اللحظات المجمّدة بعيدة المنال. فككت أربطة حذائي وخلعته، ثم خرجت من حجرة حمّامات الشمس وسرت في الممر الواسع الذي يشطر الطابق الأول، وقلبي يدق 5 نبضات أسرع في الدقيقة في هواء المرتفعات الشحيح بينما صوت أختي في المطبخ يغدو مسموعاً.

ثماني لوحات للرسام الهولندي فيرمير معلقة على الجدران في الجانب الأيمن من الممر، وصدأ النحاس الخفيف على سطوح اللوحات أشار إلى أنها جميعاً أصلية.

زيّنت أربع لوحات ضخمة لجورجيا أوكيف الجانب الأيسر - منيرة في وهج الكشّافات الجانبية التي سحبت منها كل ذرة من الحيوية.

في الصالة الكبيرة، تقاطعت العوارض الخشبية المكشوفة بعرض السقف المقبب. توهجت النار في مدفأة حجرية من طابقين انفتحت على غرفة المعيشة، حيث كنت أقف، والمطبخ في الناحية الأخرى.

أحكمت قبضتي على المسدس الصغير وسرت جانباً نحو المدفأة.

أخذت شهيقاً، ثم خطوت حول الزاوية، جاعلاً أختي في مجال الرؤية.

كانت ما زالت واقفة عند نضد المطبخ الأوسط، تخرط بصلة بسرعة أكبر مما رأيت بها أي شخص يخرط بصلة في حياتي.

لم تنظر إليّ على الفور، رغم أنني كنت متأكداً أنها رأتني.

تساءلت على سبيل التحية: "هل مات أندرو؟".

- لا، لكنني لن أقول إنه بخير.

على حد ما استطعت أن أميز، كانت كارا عزلاء. ترتدي سروالاً من سراويل اليوجا وفانلة ضيقة بلا أكمام. كان شعرها أقصر مما رأيتها عليه في المرة الأخيرة، وبدا كأنها أجرت تكبيراً ذاتياً إضافياً لوجهها.

- هل هناك...

قالت: "أنا فقط هنا.." وهي تتحدث بسرعة أكبر من لقائنا الأخير معاً.

أو ربما لم أكن معتاداً على التواصل مع شخص آخر محسن.

- كنت أنتظر يا أخي.

كان هناك شيء آخر تبينته من لغة جسدها ولم أستطع أن أحده.

"أتنوي أن تطلق النار عليّ؟" تساءلت وهي تتحرك نحو موقد وتترك البصلة داخل مقلاة بها قطعة زبد لامعة.

- حسبما يترأى.

قطعت بسرعة شرائح من نبات الهليون على خشبة تقطيع اللحم، ووضعتها في طبق خبيز خزي، وصبت قطرات من زيت الزيتون على كل شيء، ووضعت في الفرن الساخن.

قالت: "فلنأكل وجبة معاً، يمكنك دائماً أن تطلق النار عليّ لاحقاً، أنا عزلاء، لكن إما أن تقتلني الآن وإما تتوقف عن تصويب هذا المسدس اللعين نحوي".

أنزلت المسدس. أشارت كارا إليّ كي أجلس في الناحية المقابلة لها من النضد الجرائتي، جذبت قدرًا صغيراً واتجهت إلى الثلاجة، وتناولت عبوة من الدجاج.

قلت: "إذن كان هذا مكان ماما..".

- كان لديها أماكن أخرى، أخفت ملايين قبل أن تصدر الحكومة أصول ممتلكاتها، كيف كانت جلاسجو؟
 - حصلت على بعض العينات من صنع يدك.
 - حتى الآن، تلقى 2016 شخصًا التحسين، هناك 274 حالة مؤكدة بأمراض شبه بريونية.
- "عن عميد؟" نساءلت.

هزّت رأسها: "لا أعرف لماذا طورت نسبة 13.6 في المائة البريون بدلاً من التحسين".

شقّت كارا بخبرة قطعتين من صدور الدجاج وقبّلتها في خليط من التوابل. كانت حركاتها دقيقة، بسرعة ودقة لم أرها قط من طهاة محترفين. أغلب الوقت، حتى وهي تقطّع، لم تفارق عيناها عينيّ قط. وارىت المسدس عن الأنظار، أسفل الحافة الجرانيتية تمامًا.

سألتها: "عرفتِ أني سأذهب إلى جلاسجو؟".

- أملتُ أن تفعل، بافتراض أنك نجوت من حادث نيو مكسيكو. أرسلت أندرو إلى هناك في حالة إن ظهرت.

ليرشدني إلى هنا.

قلت: "قستُ تسلسل عينات جلاسجو، لم يكن التحسين قابلاً للانتقال".

قالت: "كان عليّ أن أتأكد من أن التحسين يعمل أولاً..".

- إذن فقد عاد الأمر إلى نقطة البداية؟
- لا، يمكنني العيش مع معدّل خلل 13.6 في المائة. مع علاج جيني بهذه القوة، الآثار الجانبية والخروج عن الهدف أمور حتمية، أنا مندهشة من أن العدد ليس أكبر من ذلك.

مضت كارا نحو الموقد، وصَبَّت نبيذاً أبيض على البصل المقلي،
عطرت سحب من الكحول المبخَّر أرجاء المطبخ.

"هل استطعت الوصول إلى نسخة قابلة للانتقال بعد؟" سألتها
وجزء مني خائف أن يسمع الإجابة.

- قريباً.

يا إلهي! شككت في هذا كثيرًا، لكن سماع تأكيد بالأمر...

قالت: "أستخدم خلايا HEK293 لزراعة تركيزات عالية من
الفيروس الحامل للتحسين".

أومات برأسي. خلايا HEK293 سلالة من خلايا الكلى الجنينية
البشرية، مستخدمة على نطاق واسع طوال عقود في صناعة تكنولوجيا
الجينات بسبب سهولة زراعتها والكفاءة التي يمكن بها نقل الحمض
النووي الخارجي إليها، ما كنت لأستخدمه بالضبط.

وضعت الدجاج على شواية الموقد المصنوعة من الحديد الزهر.

- ما هو عدد التكاثر الأساسي المتوقع؟

- 8.7، مع قدرة الحالات على نقل الفيروس خلال خمسة عشر
يومًا من التعرض الأولي.

كان هذا رقمًا كبيرًا. في علم الفيروسات، يشير عدد التكاثر الأساسي
إلى مستوى العدوى لمرض معين، وهو عدد الحالات المتوقع أن يتسبب
فيها شخص واحد مصاب. مرض الحصبة، أكثر الفيروسات المعروفة
للشخص قدرة على العدوى، لديه عدد تكاثر أساسي يتراوح بين 12 إلى
18، ما يعني أن كل شخص مصاب من المتوقع أن يعدي من 12 إلى
18 آخرين. مقارنة بهذا، كان لدى الأنفلونزا الإسبانية -التي قتلت
خمسين مليونًا- عدد تكاثر أساسي أقل بكثير وصل ما بين 1.4 و2.8.
وكوفيد-19 كان نحو 5.7.

قلت: "لو عرضت كل إنسان للتحسين، وإذا استمرت النسب المئوية لجلاسجو، فأنت تتحدثين عن قتل مليار إنسان. ألن يؤرقك هذا في الليل؟".

اللعنة.. نعم سيؤرقني في الليل، لكن سيكون من الأثانية ألا أفعل ما يجب فعله فقط لأنه يعذب بقايا ضميري. لدينا هذه اللحظة لنصح مسار السفينة، إما أن نحسن ذكاءنا الجمعي إلى مستوى يمكننا عنده جميعًا أن نتحد وننقذ أنفسنا، وإما سيكون القرن القادم هو الأخير للبشرية.

التفتت مرة أخرى إلى قطع الدجاج، كانت قد تحمّرت إلى درجة جيدة. استخدمت كارا ملقطة لتحرك قطع الدجاج في مرق النبيذ الأبيض، ثم رشّتها جميعًا بأعشاب طازجة. سألتها: "أين تنهين التحسين؟".

اكتفت بالابتسام لي: "حان وقت الطعام. اذهب وائت بالنبيذ، المخزن وراءك".

انتظرتُ حتى بدأت بالفعل تغرف الطعام في الأطباق قبل أن أنزلق من فوق مقعدي المستدير.

كان مخزن نبيذ أُمي حجرة صغيرة ذات جدران حجرية ومكيفة الهواء. بعد قليل من التردد، اخترت زجاجة كابرينيه سوفينيون مصنوعة في معصرة نبيذ قرب مدينة والا والا في واشنطن، كانت منطقتي المفضلة قبل أن تحترق.

كانت كارا قد وضعت الأطباق على مائدة غرفة الطعام عندما خرجتُ بالزجاجة، وعندما رأتها، قالت: "عام ميلادك، اختيار لطيف". جلستُ قبالتها، ووضعتُ المسدس على الدكة بجانبني.

كان الطعام رائعًا. أطبق الليل جناحيه - ولم يكن هناك إلا الظلام عبر النوافذ ونور النار الموقدة في المدفأة يتراقص على الجدران.

نظرت كارا إليّ: "ألا تعتقد أننا كبشر في أزمة؟".

"لا" أخذت قسمة أخرى من الدجاج الممتاز. "أرى ما رأيته ماما، أعرف ما هو آتٍ، وهذا يطاردني كوسواس".

- إذن لماذا لا نعمل معًا؟

- ماذا لو لم يكن هذا هو الحل؟ ماذا لو انتهى بك الأمر إلى قتل مليار إنسان بلا سبب؟ ماذا لو انتهى الأمر بك فقط وأنت تخلفين عالمًا كله ميريام رامزي - كله أشخاص مقتنعون أنهم يعرفون ما هو أفضل، كلهم قادرون على إلحاق أذى لا يمكن تخيله إن أخطأوا؟ ماذا لو خلقت حزمة من البشر هم أفضل على نحو جذري فيما كانوا يجيدونه بالفعل، جنود، مجرمون، سياسيون، رأسماليون.

رشفت أصغر رشفة من النبيذ وحدثت إليّ عبر المائدة ذات الحواف الطبيعية التي لم تتعرض لتحسينات النجارة، حيث تخيلتُ أُمي تتناول وجبات كثيرة وحيدة، أو ربما لم تكن وحيدة على الإطلاق، ربما أحببت وحدتها وصحبة عقلها.

تابعتُ: "أنت تعملين من منطلق افتراض معيب، الذكاء الأعلى لا يجعلك أقل طمعًا أو أنانية أو شرًا، ولا يجعلك بالضرورة شخصًا طيبًا".

- لا أقول إنه سيحل كل شيء، إنها ليست عصا سحرية. لكن لو استطعنا أن نمنح الناس القدرة على رؤية العالم كما هو عليه بالفعل، والذكاء كي يفعلوا شيئًا حيال هذا، ألن نعطي أنفسنا فرصة على الأقل؟ ألا ندين لنوعنا بهذا؟ انظر، فهمت الفكرة.

تريد أن تعرف ما يحمله المستقبل، وتحتاج إلى معرفة مسبقة بأننا نقوم بالاختيار الصحيح، لكنك لا تستطيع.

- أريني دليلاً أن هذا التحسين سيصلح المشكلات التي تقولين إنه سيحلها، أريني اختباراتك وبياناتك الدقيقة.

- أعرف أنني غيرت إلى الأفضل، يجب أن أثق بأن أغلب الناس الذين أحسنهم سيمرون بتحول مشابه.

- إذن في النهاية، أنت تقيمين كل هذا على اعتقادك الشخصي؟

- نحن في سباق مع الزمن يا لوجان، كل ما يمكننا أن نفعله هو أن نحاول بأقصى ما لدينا أن نستخدم الحقائق المتاحة لدينا وندرس دوافعنا. لقد درسْتُ دوافعي، لم أكن لأفعل هذا من أجل المال أو الشهرة، ولا من أجل السلطة أو الأجيال القادمة.

- ما السبب إذن؟ لأنك تعتقدين أن هذا هو الصواب؟

- الصواب والخطأ كيانات وُلدت من العاطفة البشرية، ليست إلا قصصاً أُلّفناها ونسبنا إليها المعاني. لا تتطابق مع أي واقع موضوعي، الشيء الوحيد الحقيقي هو البقاء على قيد الحياة.

قلت: "ربما تكون الرحمة والتعاطف مجرد مشاعر رخوة، أوهام خلقتها خلائنا العصبية المرآتية، لكن هل من المهم حقاً من أين أنت؟ إنها تجعلنا بشرًا، بل لعلها ما يجعلنا نستحق البقاء".

"بربك يا لوجان، كفانا معانٍ مجردة. ربما لم تصدق أن وقتنا انتهى هناك في نيو مكسيكو، لكنك تعرف الآن. وتعرف أننا لا نستطيع أن نترك هذا يحدث فقط" رفعت كارا كأس نبيذها: "هل أنت معي أم لا؟".

رفعت كأسِي ولمست به كأسها، وبينما نشرب، أبقيت عينيَّ على عيني أختي، وفي أثناء ذلك كنت أمد يدي ببطء، ببطء شديد نحو المسدس...

الأطباق، والأكواب، وقارورة الخمر، وزجاجة النبيذ، والطعام، وأنية المائدة الفضية - كل شيء سقط فوقي، عندما سقطت فوقي المائدة بكامل ثقلها وألقنتني أرضًا، وهي تكاد تسحق صدري.

لم أرَ أي مقدمة لهذا، لم تكشف عن أدنى إشارة لنيّتها، لكنها بالطبع قرأت في وجهي أنها فشلت في إقناعي.

تلويت خارجًا من تحت المائدة، وقد تمكنت أخيرًا من الإمساك بمسدسي.

"توقفي!"

التفتت كارا ببطء وتجمّدت في الممر المؤدي إلى غرفة المعيشة، ساكنة تمامًا، فتشت يديها بحثًا عن سلاح، كانتا خاليتين.

نظرت إليَّ بحدة مفاجئة مفرعة: "أنا أحبك يا لوجان، وأمنحك كل الفرص، لا تجعلني أفعل هذا. أعرف أنها مجرد عاطفة، لكنني لا أريد أن أضطر إلى فقدك أيضًا".

صوبت مسدسي نحو ساق أختي اليسرى، متوقعًا بصيصًا من حزن أو خوف، لكن ظل وجهها محايدًا تمامًا.

- أين تنقن الفيروس؟

قالت: "سترث آفا عالمًا يحتضر، يمكنني أن أرى في وجهك أنك..."

"بالطبع أكرهه!" تردّد صدى صوتي عبر جنبات البيت الصامت.

- إذن لماذا تصوب نحوي مسدسًا؟

- لأنه لا بد أن يكون هناك سبيل آخر.

- عظيم. ما هو؟

- لا أعرف.

- حسنًا، بينما تفكر أنت فيه، سأفعل في الحقيقة شيئًا.

- أين تنقن الفيروس؟

اكتفت بالتحديق إليّ.

قلت: "لا أريد أن أؤذكِ..".

- أعرف.

صُوبْتُ نحو عضلتها المستقيمة الفخذية اليسرى، العضلة التي
تثني الفخذ وتمد الساق من أسفل عند الركبة، سأقعدّها من دون
أن أهدد حياتها.

كان صوت الطلقة يصم الآذان في حدود البيت.

صَفَرْتُ أذناي.

كانت كارا ما زالت هناك، منتصبّة، بحثت عن الدم، لكن لم يكن
هناك أي منه. بحثت عن آثار الصدمة، لكن لم يكن هناك أي منها.

كانت فقط تقف إلى يمين المكان الذي صوبت إليه.

غير مصابة.

أنا...

تحركت.

.... أطلقت النار مرة أخرى.

للحظة، تساءلتُ إن كانت بطريقة ما دسّت رصاصات فارغة في
خزانة المسدس، إن كانت هذه خدعة مدبّرة بطريقة معقدة، لكنني
عندئذ رأيت ثقب الرصاصة في الأرضية خلفها.

أخذتُ خطوة إلى الأمام.

هي على مبعده عشرة أقدام فقط الآن.

مرة أخرى تحركتُ في نفس اللحظة التي جذبتُ فيها الزناد واختفت وراء زاوية المدفأة.

ما هذا الخراء؟

اندفعتُ في أثرها إلى داخل غرفة المعيشة، محاولاً أن أفهم كيف تمكّنت أختي من مراوغة ثلاث رصاصات من هذا المدى القريب. طبعاً هي لم تراوغها. أغلب الطلقات الـ 9 ملم تتحرك بسرعة 1200 قدم في الساعة، لا يمكن لأي إنسان، محسّن أو غير محسّن، أن يتحرك بأي شكل يقارب هذه السرعة.

كانت تترقب، وتتحرك، في النانو ثانية ما بين عزمي وجذبة الزناد، لكن حتى مع قدراتي الإدراكية المحسّنة، لم أكن لأستطيع أن أفعل هذا.

أصدر لوح من ألواح الأرضية خلفي صريراً.

درت حول نفسي لأجد باطن قدم يضرب صدري ويدفعني إلى الوراء، لأرتطم بطاولة قهوة زجاجية، وأنا أحاول أن أرفع مسدسي، لكن كارا ركلت المسدس من يدي وهبطت فوقي، واضعة طرف السكين الذي شقّت به دجاجنا على حلقي.

قالت: "هل فكرت من قبل أنه ربما هناك سبب لقيام ماما بتحسيننا نحن الاثنين؟" شعرتُ بالنصل بادئاً في اختراق لحمي. "ربما كانت تعرف أنك لست قادراً على القيام بالاختيار الصعب".

- لقد حسّنتِ نفسك مرة أخرى، أليس كذلك؟

لم تُجب. أدخلتُ يدي خفيةً في جيبِي، وقبضتُ على جهاز التحكم الصغير، وضغطت الزر، وأبقيته مضغوطاً. داخل جيب سترتي الأيسر،

شعرتُ بذبذبة هادئة عندما بدأ محرك الاقتران ومُولد التفريغ في الطنين.

حملتُ كارا إليّ، وقد سقط قناعها المحايد، كانت غاضبة ومكسورة القلب.

- أريدك أن تعرف... لا يوجد جزء فيّ يريد أن يفعل هذا.

لكنها كانت ستفعله، لقد سمحت لي بالعثور عليها لتقوم بمحاولة أخيرة لضمي إلى صفها، وبما أن هذا فشل، كان عليها الآن أن تفعل شيئاً صعباً للغاية.

قالت: "أنا آسفة.." والتمعت الدموع في عينيها.

- لو قتلتي، سيموت كلانا.

تفحصتُ وجهي، باحثة عن أمارات الكذب، لم تجدها.

قلت: "إبهامي يضغط على زر، لو أفلته، سيقوم الموزع الموجود في سترتي على الفور بإطلاق وإبل رذاذ مستمر...".

- مم؟

- الريسين.

اتسعت حدقتها، تدفق الأدرينالين.

الريسين عبارة عن بروتين مثبط للريبوسوم⁽¹⁾، الذي يصيب الخلايا ويعوق قدرتها على تركيب البروتين الخاص بها، معطلاً الوظائف الأساسية في الجسم. يأتي من بذور نبات الخروع، التي تُستخدم لصناعة زيت الخروع غير الضار. مادة متاحة بسهولة ومن اليسير إلى حد ما إنتاجها. يحتاج الشخص البالغ العادي إلى 1.78 ملليجرام فقط

(1) الريبوسوم هو أحد عضيات الخلايا الحية، وأحد المراكز المهمة في عملية تحويل المعلومات الوراثية إلى بروتينات مشفرة ضمن الصيغة الوراثية.

من الرئيسين، حقناً أو استنشاقاً، كي يموت - ما يعادل بضع حبات من ملح الطعام.

سألها: "تعرفين ما يحدث عندما تستنشقين الرئيس؟".

كانت كارا قد غدت متجمدة تماماً.

- خلال عدة ساعات، ستصابين بسعال دموي تشنجي، تمتلئ رئتاك بالسوائل، تغرقين، ولا يوجد علاج، ولا ترياق.

- هذه خدعة جيدة.

رفعت ذراعي اليسرى: "أترين الأنبوبة داخل كُمي؟".

نظرت عيناها إلى كُمي، ثم عادت إلى.

راقبتها، ويدي على الزر. نظرت إلى المسدس... على بُعد ثمانية أقدام.

قلت: "الموزع مصنوع بطريقة خاصة، سيملاً هذه الغرفة برداذ من الجسيمات النانوية المسحوقة والجافة قبل حتى أن تلمسي المسدس".

- أتصادف أن جئت بواحدٍ من هؤلاء المتاحين في كل مكان؟

- ابعدي سكينك عن حلقي.

سحبّت النصل.

- ألقها بعيداً.

جلجلت السكين على الأرض خلفنا.

قالت: "لا يهم، لا يمكنك أن توقفني".

لو كنت أعلم علم اليقين أن قتل كارا سينهي خطر إطلاق التحسين في العام، لرفعت إبهامي عن زر التحكم. لكنها ذكرت شيئاً عن عالم

فيروسات، وجئدت وحسنت أندرو، الذي ظهر لي في جلاسجو، ولديها أشخاص آخرون يعملون معها، أشخاص يمكنهم إكمال التحسين في غيابها، وبدا أن خط النهاية قريب.

قلت: "بطء شديد، انزلي عني".

تحركت على البلاط.

قلت: "ارقدي على بطنك..".

تقلبت، ووجهها منكس في الزجاج المكسور. "لو قمت بحركة نحو المسدس..".

- لن أفعل.

ألقيت نظرة نحو الباب الأمامي، على مبعدة عشرين قدمًا.

اعتدلت في جلستي.

نهضت ببطء.

كارا تراقبني من طرف عينها اليمنى، وكفأها على البلاط، مستعدة للقفز معتدلة.

أخذت خطوة حذرة إلى الوراء.

وبعد ذلك خطوة أخرى.

عندما كنت على مبعدة عشرة أقدام من الباب الضخم، التففت وانطلقت نحو المدخل، سمعت الزجاج ينسحق ورائي، كارا تتحرك، لكنني لم أتوقف، على أمل أن يكون الباب مفتوحًا، لأن الثانية الإضافية التي سأحرقها في التعامل مع القفل قد تكلفني حياتي.

جذبت الباب بقوة لأفتحه وانطلقت متجاوزًا العتبة عندما دوت طلقة رصاص خلفي.

هبطت السلام عدوًا.

خرجت من مجال إضاءة الثريا الخارجية، وانطلقت بسرعة متزايدة تحت المطر الثلجي، وزر التحكم ما زال في قبضة يدي.

لا تقع، لا تقع، لا تقع.

تردد صدى مزيد من الطلقات راجعًا من الجبال المحيطة، وقدماي الحافيتان تلتصقان قليلاً بالوحل.

لم أنظر ورائي، لم أتوقف.

أسرعت هابطًا التل عبر فرجة الغابة، وأنا في حاجة فقط إلى الوصول إلى مأوى الغابة الأكثر ظلامًا، ونبضي يتقافز إلى 195 نبضة في الدقيقة، وما بين دقات قلبي الهادرة والمطر المنهمر المغرق، لم تكن لدي فكرة إن كانت أختي ما زالت تطاردني.

دخلت الغابة المحروقة، والأرض تزداد انحدارًا، ورؤيتي الليلية تجتذب كل خيط متاح من الضوء، وتراوغ الأشجار، وتقفز فوق كتل الخشب الممدودة، وأستطيع الشعور بالاجاذبية تهدد بسقوطي متسقلبًا من فوق الجبل.

أبطأت سرعتي، وتوقفت أخيرًا خلف جلمود صخر.

أرهفت سمعي.

لا شيء.

كنت قد بدأت أرتجف. تمزقت قدماي، واحترقتا من البرد، سمعت شيئًا، ليس وقع أقدام، ضجة ما آلية نائية، كانت باب جراج يفتح.

بعد اثنتي عشرة ثانية، مسح مخروطا ضوء الغابة لفترة قصيرة، منيرين المطر المنهمر بشكل رائع، سمعت إطارات تدور فوق الأرض الممهدة.

رأيت ذلك لحظة واحدة فقط: وميض الأضواء الأمامية يكشف الطريق الخاص.

كارا ترحل، لم تكن بحاجة إلى هذه المعركة، لقد فازت بالفعل.

بيدي اليسرى، أخرجت الموزع من جيبى وعطلته يدويًا، وعندما تأكدت فقط أن محركات الاقتران قد توقفت عن العمل تركت إبهامي يفلت زر التحكم.

وبينما كنت أرتجف بشكلٍ لا إرادي، أبحرت في عقلي أفكار سوداء. أنتَ فاشل.

خسرت الحرب.

بطريقة ما، زادت من قدراتها إلى حدٍّ يتجاوز قدراتي بكثير لدرجة أنها صارت الآن قادرة على مراوغة الرصاص. نعم، لقد نجوت، لكن إلى أي غاية؟ لا فرصة أمامي. وعندئذٍ خطرت لي فكرة.

كان الباب المؤدي إلى مسكن أُمي ما زال مفتوحًا. دخلتُ.

خيم الصمت ثقيلًا.

لقد أخذت كارا المسدس الكيمبر، لكنني لم أعد لأجل هذا.

صعدت إلى الطابق العلوي، ووجدت غرفة النوم التي كانت تستخدمها كارا، كانت الخزانة ما زالت ممتلئة بملابسها، واستقر كوب من الماء على طاولة الفراش الجانبية.

دخلت الحمّام، غطّيت مستلزمات التواليت الخاصة بكارا خزانة الحمّام، وبينها رأيت ما كنت أبحث عنه. التقطت فرشاة الشعر، وتفحصتها عن قرب، وميزت أوهى وميض للأمل.

بين أسنان الفرشاة الخشنة كانت ما زالت عالقة بعض خيوط من شعر أختي، وواحد منها كان ما زال يحمل البصيلة ملتصقة به.

11

رحلتُ متأخراً تلك الليلة، متوجّهاً غرباً في خروجي من جنوبي كولورادو، وعندما منح أول ملمح للفجر لوناً للسماء، وجدتُ نفسي على الطرق المهجورة لوادي مونيومنت، وأبراج الحجر الرملي تتلقّى أشعة الشمس الأولى، حتى في الوقت الذي كانت ما زالت فيه الأراضي الواطئة باقية في عتمة السّحر الأرجوانية.

أوقفت سيارتي على جانب الطريق لأعطي نفسي استراحة.

خرجت من السيارة.

كان الصمت شاهقاً.

ولا حتى نفثة ريح، أو خصلة غيم.

وبينما كنت أشاهد الضوء يتقدم من فوق التلال ذات القمم المسطحة القادمة من عالم آخر هابطاً نحو أرض الوادي الذي كان

يومًا ما بحرًا في حقبة الحياة القديمة، استرحت إلى فكرة دوام هذه الأرض الطبيعية.

امتدت الصحراء تحت بوصة هشة من الجليد، وفي كل مكان حولي كانت هناك هضاب مستوية وقمم حمراء وُجِدت لمئات الملايين من السنين قبل أن يحكم البشر الأرض وتستمر في الوجود زمنًا طويلًا بعد رحيلنا.

كان مساء في أواخر يناير، وما زالت أمامي ساعة وأربعون دقيقة بينما أنطلق على الطريق السريع أي 15 في اتجاه فيجاس. من على مبعدة عدة أميال، انبثق امتداد شارع ستريب من حوض الصحراء كبرعم خيالي لزهرة ما غريبة.

اقتربت من تجمّع الكازينوهات الفوضوي، مارًا بفندق ميتا فريم عند الطرف الشمالي - فندق شاهق مبني على شكل إطار لوحة بارتفاع ألف متر، حيث كانت اللوحة عبارة عن عرض مستمر عشوائي لآخر المنشورات على وسائل التواصل الاجتماعي.

وسط هذه القطع المميزة المتحدية للجاذبية من عمارة الكازينوهات انكشفت بقايا الكازينوهات الأصغر حجمًا والأحقر والتي قاربت تاريخ انتهاء صلاحيتها بعد أن كانت متأنقة منذ أربعين أو خمسين أو ستين عامًا.

بينما كنت أتهادى في شارع ستريب، هبّت روائح الحشيش والقيء والبول والكحول وعطور فتيات الاستعراض لتتخلل شاحنتي الصغيرة.

مررت بنافورة بيلاجيو ذات المياه المشعة بنور الشمس. مرة في اليوم، يستخدمون ماء حقيقيًا. أما بقية الوقت، فيستخدمون صورًا مجسّمة.

لقد هُدم فندق وكازينو سيزارس بالاس، وفي مكانه شُيِّدت كتلة شركات عالمية (برج بابل)؛ جبل حقيقي من صنع الإنسان ارتفع فوق شارع ستريب مسافة ميل كامل. ثمة طريق أخضر اسمه (الحدائق المعلّقة) كان يبدأ عند قاعدة البرج، ويصعد صعودًا ملتفًا حول هيكل المبنى، وأخيرًا ينتهي، بعد عشرة أميال، عند القمة. وعلى طول الطريق الأخضر، كانت هناك حدائق ومتاجر ومطاعم ومقاهٍ وامتدادات طويلة من دروب السير ونوافير رقمية وأماكن للتوقف والجلوس ومشاهدة الامتداد المتلألئ للمدينة والصحراء من ورائها. عند الطرف الجنوبي من شارع ستريب، أضاء أحدث وأعجب ملمح لفيجاس بضوء أزرق على خلفية من سماء أول المساء. أسموه (الأرض الزرقاء)؛ وهو عبارة عن جسم كروي هائل يلمع مثل كرة الديسكو في شمس الصحراء ويتوهج كنموذج مذهلٍ من الأرض في الليل.

وكان شارع ستريب محاطًا بمساكن زرية الهيئة - كتل سكنية للناس الذين يدفعون عجلة فيجاس كي تدور.

وحول المساكن، كدائرة خارجية من الجحيم، كانت بقية لاس فيجاس، مهجورة منذ عشرين عامًا بعد أن جفّت بحيرة ميد.

قدت سيارتي عبر الشوارع الخالية، مراوغًا القمامة والأنقاض.

إلى الغرب، كانت الشمس تغرق في كاليفورنيا، مغيرة لون صحراء موهافي من البرتقالي إلى الأحمر إلى البنفسجي إلى الأرجواني.

وبعد ذلك غابت الشمس، أظلمت ضواحي فيجاس، وأشرقت أضواء النيون في الكازينوهات.

أوقفت سيارتي على مبعدة عدة بلوكات من مبنى كان ذات يوم
فرعًا مهجورًا لولمارت، ونزلت من المرسيدس، وبدأت السير في الشارع
الصامت.

عندما اقتربت، أخرجت زجاجة الويسكي من المعطف القديم
الذي اشتريته من متجر ملابس مستعملة في طريق خروجي من
كولورادو. فتحت الزجاجة، وسكبت قليلًا من الويسكي على معطفي،
ثم تناولت جرعة كبيرة وبصقتها.

كانت ساحة انتظار السيارات فارغة، أعمدة الإضاءة ساقطة في كل
مكان، وثة هياكل سيارات محترقة وبقايا مخيمات مشردين عديدة
- خيام ممزقة وبراميل نפט ومخلفات اليأس.

لم يكن في السماء قمر، لكن ضوء النجوم أرشد طريقي.

كانت المداخل القديمة لواجهة المتجر قد أغلقت بألواح الخشب
وصار من المستحيل اجتيازها.

سرت بمحاذاة جانب المبنى، أسير متثاقلاً كسكّير، وحتى قبل أن
أنعطف عند الزاوية، شممت دخان السجائر وعطرًا واهيًا لكولونيا
رخيصة.

درت حول الجانب الخلفي من المبنى. من بعيد، في منتصف
امتداده، رأيت أربع سيارات دفع رباعي مصفوفة بالقرب من أرصفة
التحميل.

بلغتني أصوات، كانوا يتحدثون الروسية.

خمسة رجال، لا، سبعة.

كنت على مبعدة خمسين قدمًا عندما أولوا انتباههم لي. لا شك
عندي أنهم رأوني قبل عدة دقائق. لا بد أن هناك كاميرات حول

النطاق الخارجي للمبنى، لكنهم اعتبروني منشردًا يترنح سكرانًا في الظلام.

لزموا الصمت، وهم يراقبونني، منتظرين كي يروا إن كنت سأمر في حال سبيلي.

توقفت والتفت وواجهتهم.

خرج من الحشد الصغير رجل عملاق يرتدي بدلة رياضية سوداء.

قال: "امض في طريقك.." مشيرًا بسيجارته نحو الوادي.

انطلقت في اتجاهه، محافظًا على مشيتي المترنحة.

"هل أنت أصم؟".

لاقاني على مبعدة عشرة أقدام من الآخرين، بعد أن تحرك بقدمين خفيفتين ورشاقة تناقضت مع حجمه. وقف الرجل ينظر إليّ من علوه الشاهق - كما لو كان جلمود صخر نما له ذراعان وساقان.

"هل فيلد بالداخل؟".

استوعبت رد فعله في ضوء النجوم: دهشة. رفع ذراعه اليسرى وتحدث بلغته الأم داخل طرف كفه، بعد ثلاثين ثانية، زاغت عيناه؛ كان ينصت إلى أحد ما في سماعة أذنه.

أجابه: "دا، دا، دا".

افترت أطراف شفثيه عن ابتسامة منفصلة تمامًا عن عينيه - كان على وشك أن يؤذيني، وأبهجه مشهد العنف القادم.

تحركت ذراعه اليسرى نحو مسدس في مؤخرة حزامه، استطعت رؤيته في الصورة المنعكسة من إحدى المرايات الجانبية لسيارات الدفع الرباعية.

ركلت ركبته اليسرى مباشرة، أصدرت واحدًا من أسوأ الأصوات التي سمعتها في حياتي: فرقعة انكسار- وعندما تعثرُ إلى الوراء، مددت يدي إلى حزامه، وجذبت مسدسًا إم بي 443 جراش، أدركته في يدي، وفتحت رأسه بمؤخرة المسدس.

عندما سقط، أطلقت النار على الرجل الثالث ثم الأول ثم الرابع ثم السادس بالترتيب الدقيق لمن أظهر فيهم أعلى تناسق ورشاقة. في الحقيقة لم يُظهر أحد منهم شيئًا من هذا، كانت فوضى عارمة إذ سقط أصدقاؤهم حولهم وهم يجذبون ببلادة أسلحتهم.

كان الرجل الثاني يدخن سيجارة، وأنقذ تردده حياته، أما الخامس في المجموعة، أكثرهم حكمة، فرفع يديه ببساطة.

"هل أبواب هذه الأرصفة هي المدخل؟".

قال الرجل الخامس: "نعم..".

جذبت سلكًا لاصقًا من حلقة حزامي وقذفته إليه.

قلت: "قيّده..". مبقياً المسدس مصوبًا إليهما بينما هو يقيد رسغي الرجل الثاني وراء ظهره لكنني أيضًا أراقب الكاميرات الموجهة نحو الزقاق.

إذا كانوا يشاهدونني، فلديهم عدة خيارات، أن يرسلوا رجالًا آخرين -بافتراض أن لديهم المزيد- أو يحاولوا الهروب من طريق آخر.

"هل فيلد هنا؟".

أنهى الرجل تقييد زميله، وقف ونظر إليّ، لقد أخافه سؤالِي، أوما برأسه.

- كم عدد الحراس بالداخل؟

- اثنان.

كان يقول الحقيقة.

- ما اسمك؟

- أليكسي.

- خذني إلى الداخل يا أليكسي.

نزعت سلاح أليكسي وتبعته صاعدين السلام إلى باب رصيف التحميل، الذي رفعه إلى أعلى بما يكفي لعبورنا منحنيين أسفله.

سرنا على الأرضية الخرسانية المصقولة لمستودع خالٍ. توهجت المصابيح المعلقة على العوارض الخشبية، واستطعت سماع الطنين البعيد لمولدات الكهرباء.

قلت: "خذني إلى فيلد".

قادني أليكسي عبر ممرٍ كالح.

عند نهاية الممر، جذب حلقة مفاتيح من جيبه وفتح بابًا فولاذيًا ثقيلًا. دخلنا حجرة ذكّرتني بغرفة عرض داخلية في حديقة حيوان. تراصت أمام الجدران مآرض⁽¹⁾ وأحواض سمك بأحجام متنوعة، وامتلاء الهواء برائحة نشارة الخشب ومخلفات الحيوانات والمواد المنظفة. سرنا بمحاذاة جدار اصطفت أمامه صناديق صغيرة خلف زجاج. تراءت في كثيرٍ منها أطباق بتري⁽²⁾. كانت تعني بها أذرع روبوتية تعتصر المحاليل من قطّارات معايرة زجاجية أو تدير الأطباق الشفافة كي تلتقط زوايا جديدة من الضوء أو الحرارة.

(1) مآرض ومفردها مآرضة هي أرض مغطاة بالتراب توضع فيها الأحياء البرية بقصد الدراسة والمشاهدة، وغالبًا ما تكون المآرض في حاويات زجاجية وتضم النباتات أو الزواحف.

(2) طَبَق أو غُلبَة بِتْرِي هو وعاء أسطواني غير عميق، مصنوع من الزجاج أو البلاستيك، ومزود بغطاء. يستعمله علماء الأحياء لاستنبات الخلايا، كالبكتيريا والفطريات، يُعد أكثر أنواع أطباق الاستنبات استعمالًا.

ازداد حجم الصناديق كلما سرنا.

في أحدها، رأيت نوعًا ما من اليرقات يتلوّى في التراب، بالكاد يمكن أن تراه العين المجردة.

في صندوق آخر، كانت هناك أجساد وردية ضئيلة في حجم جوز الكاجو تشبه فئرانًا رضيعة.

شتلات ما بدت أشبه بشجرات دائمة الخضرة، بيد أنها ذات نصال قرمزية. كان هناك قسمٌ كاملٌ ممتلئٌ بمأرض تحوي حشرات لم أرها أو أتخيلها قط.

امتلاً صندوق أكبر بالماء - موطن بحري أو نهري به سمكة شفافة غير منتظمة الشكل بدت كأنها من كوكب آخر. مررنا بمأرض وأحواض سمك أكبر.

رأيت مخلوقًا شبيهًا بالحيوانات ذات الجراب في حجم قطعة منزلية يتدلّى مقلوبًا وله براثن ثلاثية الأصابع. انفتحت عيناه النيليتان، حدّقناه أكبر قليلًا من رأسي دبوس أسودين.

سبح ثعبان بحري له رأس في كل طرف عبر حوض زجاجي مليء بأعشاب بحرية وردية، التمع مثل الزئبق عندما نبضت الكهرباء أسفل سطح جلده تمامًا.

لم أستطع منع نفسي من الوقوف أمام أكبر بيت حيوانات رأيته في حياتي حتى الآن، امتدّ الزجاج من الأرض إلى السقف، واستوعبت المساحة تقريبًا خزانة في حجم حجرة.

جلس المخلوق في ركن من الحظيرة المسيجة، تحت ظل سعفة نخيل. ذكّرني بأحد وحوش الجرميلين في الفيلم الذي حمل اسمها والذي أُنتج عام 1984، لكن أذنيه وجناحيه أصغر، وله سمت أقل إثارة للذعر.

انفتح باب في نهاية هذه الحضانة.

جذبت أليكسي قريبًا مني، وألصقت المسدس برأسه.

ظهر رجل يرتدي معطف المختبرات الأبيض في المدخل، وعندما رأيته، ابتسم. كان تاي فيلد أقصر مني بشبرين، له شعر مجعد أسود به نقاط من الشيب، وسالفان كثيفان، وشارب يليق أكثر بصاحب حانة. لقد أبقت وكالة الحماية الجينية فيلد تحت أنظارها لسنتين، لم نلاحظه قط، رغم معرفتنا أنه يعيش في عليقة (برج بابل) ويُجري عملياته في حفنة من الأبنية القديمة في الامتداد المهجور من لاس فيجاس. رسميًا، لم يبلغنا أحد قط بالسبب في كونه خارج نطاق عملياتنا، لكننا كنّا نعرف جميعًا. كان متعهدًا من الباطن لوكالة مشاريع البحوث المتطورة الدفاعية. كان يبيع لهم تكنولوجيا حيوية غير مشروعة ومن وقتٍ إلى آخر كان يفشي معلومات سرية عن إرهابيين ومنافسين بيولوجيين للجبي بي إيه. وحتى تتساوى الأمور كلها، سُمح له بإدارة مشروعه الخاص بالمخلوقات العجيبة المصنّعة ما دام أنه يبرر الحرية التي سُمح له بها.

خلفه، وقف على الجانبين رجلان لهما ملامح سلافية يرتديان سترتين سوداوين.

قال: "لوجان رامزي الصغير..".

- أهلاً دكتور فيلد.

- هنا للقبض عليّ؟

- لم أعد أعمل في الجبي بي إيه.

- هنا لقتلي؟

- أحتاج إلى استعارة مختبرك.

- ولماذا يجب أن أتركك تفعل هذا بدلاً من قتلك؟

- إذا كنت تعتقد أن بإمكانك قتلي، ينبغي لك أن تفعل هذا قطعاً، لم يمض الأمر على نحوٍ طيبٍ مع الحراس السبعة المدربين الذين وضعتهم عند رصيف التحميل، لكن ربما هذان الاثنان المتواريان خلفك هما الوغدان الحقيقيان؟ إذا كانا يريدان تلقي الرصاص، سأضطر إلى قتل أليكسي هنا، وهذا ما لا أفضله. أو... نكتفي بمناقشة الأمور... يمكنك أن تميز أنك تواجه ما لا قبِل لك به، وهذا فصل القول.

ضحك د. فيلد بحماس. قال: "آخر مرة رأيتك فيها لا بد أنك كنت في الثانية عشرة من عمرك، كنت ألقى محاضرة في بيركلي، ودعتني أمك على العشاء".

- كنت في التاسعة من عمري في الحقيقة، ولبثت عندنا.

- حقاً؟

- لعبنا دور شطرنج.

- لا أذكر ذلك، من فاز؟

- هزمتني في ثلاث عشرة حركة.

"ممتاز" وألقى نظرة إلى الرجلين خلفه وقال: "استرح".

أطلقت سراح أليكسي، الذي تحرك نحو فيلد، ورأسه منكس مثل كلب معاقب.

قال فيلد: "اقتلاه".

بعد ثانية ونصف تقريباً، كان الرجال الثلاثة جميعهم ميتين عند قدمي فيلد، وما زال لديّ طلقة في مسدسي، الذي كنت أصوبه إلى وجهه.

قال: "آسف، كان عليّ أن أرى بنفسي".

"إذن أنت تنشئ تنانين الآن؟" سألته وأنا أشير نحو المأوى الأكبر.

- ستندهش من مقدار المبلغ الذي يستعد الناس لدفعه مقابل شكل جديد تمامًا من الحياة لم يره أحد من قبل، ما إن أنتهي من التصميم، سأبيع هذا المخلوق مقابل خمسين مليونًا.
- هل يمكنه أن يطير فعلاً؟
- لا، لكن الجناحين يرفرفان. للأسف، ليس قادرًا على أن ينفث نارًا.
- هل حاولت؟

"استكشفنا الفكرة. توجد مخلوقات في المملكة الحيوانية يمكنها بالتأكيد تحمّل درجات الحرارة القصوى. درسنا جينوم (دودة بومبي)، التي تعيش قرب الفتحات الحرارية المائية في درجات حرارة تزيد على 170 درجة فهرنهايت، ودرسنا ضفادع غابات ألaska ودببة الماء بطيئة الخطو، التي يمكنها أن تعيش في درجات حرارة منخفضة تصل إلى الصفر المطلق، لكن لا توجد بنية حيوية داخلية في المملكة الحيوانية، على الأقل التي اكتشفناها، يمكنها تحمّل ألف درجة" وضحك: "ولن أبدأ في التعرف على طريقة لبناء عضو قادر على إنتاج وطرده النار".

- هل تم الحمل به في نوع موجود أم نما في المختبر؟

- نما في المختبر في رحم صناعي قائم بذاته، نسميه: سموج.⁽¹⁾

لم يبدو شبيهًا بالتنين الأسطوري الجبار. بل بدا، حسنًا... مثيرًا للشفقة نوعًا ما.

كان جلده شائكًا، صلبًا، وحبيبيًا. شككت أنهم استعاروا بعض الحمض النووي من جينوم التمساح، بدت برائته الخلفية شبيهة بسيقان تنين كومودو.

(1) سموج أو سموغ تنين خيالي ظهر في رواية الهوبيت عام 1937 لج. ر. ر. توكين. وصف سموغ في الرواية بأنه جشع وقوي وشرير ويحب الكنوز كثيرًا.

انفتحت عينا المخلوق - عينا حيوان زاحف ومن عالم آخر، حديق
إلينا عبر الزجاج.

قال فيلد: "هذا مخلوق معيب بشدة، عندما نما، زادت كتلته
أسرع قليلاً مما يمكن لمقاطع عظامه العرضية أن تتعامل معه. انتهينا
للتو من التعديل الهيكلي للعظام كي نزيد حجمها وكثافتها، سنعرف
إن كنا قد نجحنا خلال الأسابيع القليلة التالية".

تحرك التنين من تحت سعف النخيل، وغمس رأسه ذا الزوايا
الحادة في بركة صغيرة من الماء، وبدأ يشرب.

سألني فيلد: "لماذا أنت هنا؟".

- هل رأيت الأخبار القادمة من جلاسجو؟

- طبعاً، سمعت أن الجيش يبني طوقاً حول المدينة، يحبسون
كل من فيها.

أطلعته سريعاً على كل شيء، وعندما انتهيت، مال برأسه إلى الوراء
وضحك لوقتٍ طويل، إلى أن تفرقت الدموع في عينيه.

قال فيلد: "آه من أمك! تقتل مائتي مليون إنسان، وتدمر مجالاً
علمياً كاملاً -ومعه عمل عمري- ثم تزيف موتها فقط من أجل
فرصة أخرى كي تصعد من جديد إلى الحلبة وتضرب بقوة أكبر". تنهَّد،
ومالك نفسه. - إذن هل يعمل هذا التحسين بنجاح؟

- ينجح مع البعض.

- كيف حققت هذا؟

- ليست لديّ فكرة، لكن لو كان عليّ أن أحُدس.. فقد
استخدمتُ بياناتها من برنامج ستوري أوف يو ووضعتها في
معالج فائق النطاق.

"نعم، بالطبع" لمعت عيناه، والتقطت لمحة من العالم خلف المجرم: "كانت لديها مجموعة البيانات، ربما شيدت خوارزمية لتهندس بشكل عكسي شفرة الحمض النووي من السمات البدنية لعملائها، واو! لقد فعلتها بالفعل! شيدت بالفعل برنامجًا لتستنبط النمط الجيني من النمط الظاهري". راقبته وهو يتفكر في الأمر كله. "يستطيع الناس أن يكذبوا في الاستبيانات، ربما صممت برامج عنكبوتية لجمع السجلات العامة ومقارنة شهادة الوفاة، وسائل التواصل الاجتماعي، تخترق بضع شركات تأمين وتقارن بياناتها بسجلاتهم الطبية، تصل إلى نسبة ثقة معقولة" كانت هناك غيرة واضحة وراء مرحة.

- ستطلق أختي تحسين أُمي.

- كيف؟

- فيروس قابل للانتقال من دون أعراض.

- ما هو عدد التكاثر الأساسي؟

- تسعة تقريبًا.

هزُّ فيلد رأسه معجبًا: "أمامنا أوقات شيقة".

- أحتاج إلى مختبر.

هزُّ كتفيه: "أعتقد أن إيقافها يستحق التعب فعلًا؟" لجزء من ثانية، رأيت في عينيه بثراً من الأسى لا قرار له. "نحن نغرق يا لوجان، فات الوقت على كسح المياه بالدلو، لا يعني هذا أننا لم نحاول فعلًا من قبل، ولا توجد قوارب نجاة، عش كأن العالم ينتهي، لأنه ينتهي". حدق إليّ لحظة: "لم أغير رأيك، أليس كذلك؟".

- لا.

"حسنًا.. قالها وهو يطرق برأسه ناظرًا إلى الرجال الموقى: "أظن مي كاسا، سو كاسا".⁽¹⁾

شغل المختبر الأساسي عدة آلاف من الأقدام المربعة في جانب من متجر وولمارت القديم - تراصت أمام الجدران الخوادم وصف من ماكينات طبع الحمض النووي.

أراني فيلد محطة جينات ذات واجهة ثلاثية الأبعاد، وأدخلني إلى نظامها، وتركني لألعب.

باستخدام البصيلة التي انتزعتها من فرشاة شعر كارا، أكمل برنامجي الخاص تحليلًا وظيفيًا مقارنًا بين الجينوم الخاص بي والجينوم الخاص بها. لقد استهدفت جينات بعينها في حمضها النووي، وزادت تعديل تجليها بما يتجاوز بكثير العتبات التي وضعها تحسين أمانا الأولي - بالأساس تلك الأنظمة من شبكات الجينات التي تتحكم في التركيز وتمييز الأنماط والمعرفة العامة.

حملت تحليل جينوم كارا الجديد على واجهة الذكاء الاصطناعي الخاصة بفيلد، والتي سرعان ما حددت قائمة أهداف بالتعديلات والأعضاء المستهدفة والأنظمة الجينية المطابقة.

لو أردت أن أحظى بفرصة لإيقاف كارا، سيكون علي أن أزيد قدراتي إلى مستواها، أو إلى ما يتجاوزها. لعلها أجرت التعديلات بهدوء، واحدًا بعد واحد، طوال فترة امتدت شهورًا، لسوء الحظ، لا أملك الوقت، أي شيء سأطلع به لا بد أن يكون سريعًا وسافلاً.

لكن خطرت لي فكرة، بما أن كل شيء قرأته أو تعلمته عن الهندسة الوراثية كان الآن طوع بناني.

(1) بالإسبانية في الأصل، وتعني اعتبر البيت بيتك، ترجمتها الحرفية، بيتي بيتك.

بالنسبة إلى أغلب جينائنا وتسلسلاتنا المنظمة، لدينا نسختان. التزم تحسين أومي الأساسي بمخطط الطبيعة، معدلًا نسخة واحدة من الجين. لكن تعديل النسختين، المعروف أيضًا بزيادة الجرعة الجينية، كان وسيلة قوة غاشمة أكيدة لتضعيد تجليات النمط الظاهري - رغم أنها وسيلة خطيرة. مثلًا، أي زيادة بنسبة 50 في المائة في الجرعة الجينية للكروموسوم 21 ق تُغيّر توقيت ونمط ومدى التطور، وتخلق بهذا اضطرابًا جينيًا معروفًا باسم متلازمة داون.

كي أجاري ما فعلته كارا، وبسرعة، يجب أن أضعف عددًا كبيرًا من جيناتي المعدلة بالفعل عن طريق تفعيل النسخة الصامتة أيضًا إلى حدّها الأقصى من التعبير - وهي ضربة قاسية جدًا لنظام متوازن بدقة.

خطفت بضع ساعات من النوم في سيارتي عندما استطعت. من وقت إلى آخر، كان مختصو البيولوجيا الخلوية وعلماء الفيروسات العاملون لدى فيلد يقتربون ليروا ما كنت أفعله، لكنني كنت أبقى رأسي مطرقًا، متفاعلاً معهم بأقل قدر ممكن.

باستخدام تشكيلة من صياغات الحمض النووي، طلبت نصف دسته من دوائر الحمض النووي الصغيرة، كل دائرة عبارة عن موصل قائم بذاته وذاتي التكرار لمجموعة معينة من الجينات والتعليمات.

في اليوم الثالث، حملتُ التسلسلات الجينية الخام ووضعت صياغات الحمض النووي الخاصة بفيلد ومصفوفة التجميع لتعمل معًا على تكوين حمض نووي خاص بمقادير ونقاء محدد، وكل شيء احتجت إليه جرى تركيبه بطريقة كيميائية تمامًا.

لكنني كنت ما زلت بحاجة لوسيلة نقل، شيء يمكنه أن يندمج مع منظومتي بسرعة أكبر من الناقل الفيروسي الذي استخدمته أمنا لنقل التحسين الأول والذي استخدمته كارا في نسختها الثانية. كنت

بحاجة إلى شيء يأخذ مزيجي من تسلسلات الحمض النووي والجينات المصغرة ويفجر الحمض النووي الجديد داخل خلاياي المسكينة التي تحمّلت فوق طاقتها.

كنت أعمل بلا توقف لمدة اثنتين وعشرين ساعة.

غادرت مركز العمل، وتمشيت في الممرات المنهوبة لما كان ذات يوم قسم الأدوات الرياضية.

خطر ببالي مقال، كنت قد قرأته منذ خمسة عشر عامًا في رحلة طيران أسرع من الصوت من واشنطن العاصمة إلى لوس أنجلوس، ولم أفهم إلا نصفه في ذلك الوقت، والآن أجده محفوظًا كاملاً في ذهني.

درس المقال مزايا وعيوب العديد من وسائل نقل الجينات، إحداها كانت عن طريق القوة الهيدروديناميكية - وهي تقنية تستخدم الحقن المضغوط لمقدار كبير من الحمض النووي وذلك بشكل أساسي لدفع عبوة جينية عبر جدران الخلية عن طريق الصدمة التناضحية⁽¹⁾، واختراق الجسد بكفاءة كبيرة. لم تكن القوة الهيدروديناميكية سهلة على المتلقي، لكن فيما يتعلق بوسيلة نقل سريعة وسافلة للتغيرات النظامية التي كنت بحاجة إليها، كانت قوة لا تُهزم.

بالإضافة إلى حقن نفسي، سأحتاج أيضًا إلى نظام نقلٍ مخصص لعبور حاجز الدم-المخ وتمرير التغيرات إلى مخي، شيء سريع ودقيق. من أجل ذلك، سأصنع جسيمات نانوية تؤوي عبواتي الجينية، التي ستتجه إلى مخي مباشرةً عن طريق جهاز للاستنشاق.

عندما أخبرت فيلد بما كنت أفعل، نظر إليّ كأنني فقدت عقلي.

(1) الصدمة التناضحية أو الإجهاد التناضحي هو اختلال وظيفي فيسيولوجي ناجم عن التغير المفاجئ في التركيز الذائب حول الخلية، مما يؤدي إلى تغير سريع في حركة المياه عبر غشاء الخلية. في ظل ظروف الترسيب الفائق -ظروف التركيزات العالية لأي أملاح أو ركائز أو أي مذاب في المادة الطافية- يتم سحب الماء من الخلايا عن طريق التناضح.

"هناك وسائل أكثر متعة لقتل نفسك من الفشل العضوي الكارثي".

سألته: "ألديك فكرة أفضل للنقل السريع؟".

لم تكن لديه أي فكرة.

بعد ستة أيام من وصولي، صافحت فيلد عند طرف رصيف التحميل وشكرته على كرم ضيافته، الذي لم أترك له خياراً فيه.

- أنت هالك لو فعلت هذا، تعرف ذلك، صحيح؟ لا يستطيع الجسد البشري تحمّل ما أنت موشك على وضعه فيه.

قلت: «ربما تكون على حق...».

- ومع ذلك ما زلت أتمنى لك حظاً طيباً، تذكّر أنني ساعدتك.

- بعد أن حاولت قتلتي، مرتين.

"نعم، مرتين فقط" وبينما كان يبتسم، قفزت من فوق رصيف التحميل وانطلقت عبر الرصيف الذي حمّصته الشمس نحو سيارتي.

كان الوقت يداهمني ويكاد ينفد مني قبل أن أجد كارا، لذا ولأول مرة منذ صنعْتُ هويتي الجديدة، قررت أن أسافر بالطائرة.

بعد اثنتي عشرة دقيقة من إقلاع الطائرة من مطار هاري ريد الدولي، استقرّت بنا عند ارتفاع 95000 قدم. كانت طائرة بوينج تسع ثمانين راكباً، ورغم أن المحركات النفّاثة التضاغية كانت تدفعنا بسرعة ميل في الثانية، لم يكن هناك أي إحساس بالحركة إلى أن نظرت من النافذة ورأيت الطائرات النفّاثة الأسرع من الصوت عتيقة الطراز متخلفة عنّا بسبعة أميال، والطائرات الأقدم الأدنى من سرعة الصوت متخلفة عنها بأربعة أميال، وبدت جميعها تتسارع إلى الوراء.

راقبت انحناء الأرض - ذلك الغبش الأزرق الهش للغلاف الجوي
الذي يتحوّل إلى فراغ الفضاء الأسود.

بعد عشرين دقيقة في ذلك الارتفاع المحلّق، سمعت وشعرت
بانطفاء المحركات، أعلن الطيار أننا بدأنا هبوطنا المنزلق إلى واشنطن
العاصمة.

لأول مرة بعد أكثر من سنة، أعود إلى الديار.

12

أظهرت ساعة لوحة العدادات الوقت: 6:45 مساءً، ومن وراء الزجاج بدا الجو مظلمًا وممتلئًا برذاذ المطر. كان منزلي قد دُهن - جُددت الكسوة الخشبية، وتغيرت الحواف من اللون العنابي إلى الأزرق الداكن، ودُهن الباب بطلاء أحمر.

شعرت لأول مرة منذ شهور بالتردد، كان المُبرّد الصغير الحاوي لتحسيني الجديد مثبتًا بالحزام في المقعد المجاور لي، كان يمكن أن أخذه في فيجاس، كان ينبغي لي أن أخذه في فيجاس، لكنني بدلًا من ذلك جئت إلى هنا.

لا أعرف ما سيكون في قابل الأيام، وأردت أن أرى أسرتي مرة واحدة أخيرة.

كنت أضبط شعري في مرآة الرؤية الخلفية، محاولًا أن أجعل نفسي أكثر أناقة، عندما انفتح الباب الأمامي فجأة.

ظهرت بث في المدخل.

كانت ترتدي فستانًا أخضر لم أره من قبل، وقد غيّرت شعرها من قصّة طبيعية بطول الكتف إلى قصّة مستديرة منسدلة غير متساوية الجانبين.

أغلقت بث الباب وراءها وهبطت الدرجات الحجرية نحو الشارع.
تلك لحظتي المناسبة.

لكن عندما مددت يدي لأفتح باب السيارة، ظهرت أضواء سيارة أمامية من بعيد، تشتت الضوء عبر قطرات المطر التي كانت تنزلق منسابة على الزجاج الأمامي.

انتظرتُ، مراقبًا السيارة بلا سائق التي توقفت عند الرصيف.

فتحت بث باب الراكب الخلفي وصعدت إلى السيارة.

بعد ميلين، توقفت سيارة بث المستأجرة أمام مطعم اسمه (لا فلور) حيث أكلنا معًا في حفنة من المناسبات الخاصة. كان مكانًا للمناسبات السنوية وأعياد الميلاد، مكانًا تحاول فيه أن تثير إعجاب أحدهم بقائمة طعام تخلو من الوجبات الصناعية وأسعار خيالية. كانوا يبيعون ما كان بعض الناس مستعدين لدفع سعرٍ عالٍ مقابله: اختبار ما كان يشعر به الناس عندما يأكلون خارج بيوتهم في هذا العالم.

قفزت بث خارجة، وهرعت عبر الرصيف، واختفت بالداخل.

أوقفت سيارتي في أول مساحة صف فارغة رأيتهَا وخرجت إلى المساء المطير.

رغم الطقس، كانت الأرصفة تعج بالمارة.

تحركتُ عبر سُحُب من العطر.

كان هناك أناس يتقاطرون من المدخل المؤدي إلى (لا فلور) ويقفون في طابور خلف منصة المضيفة. لم تكن بِث بينهم، وكانت منطقة تناول الطعام الرئيسية محجوبة وراء جدار من الستائر الحمراء.

انحشرت وشققت طريقي معتذرًا بين الحشد، منفلتًا عبر الستائر بينما كانت المضيفة تحدق إلى قائمة الحجز لديها بكشّافٍ على شكل قلم.

كانت قاعة الطعام صاخبة ومظلمة.

كل الطاولات مشغولة، وكثير منها عليه دلاء الشامبانيا ومغطى بمفارش بيضاء وشموع يتراقص لهيها.

عندما تنحيت عن طريق نادل بربطة عنق سوداء يحمل صينية من كوؤوس المارتيني، لمحت فستان بِث الأخضر.

كان ظهرها لي، وهي تجلس إلى طاولة لفردين في أبعد ركن نحو مؤخرة القاعة.

وقبالتها كان رجل.

انطلقْتُ نحوهما، عبر الفوضى المحكومة من النُدل ومتناولي العشاء.

كل شيء يتلاشى من حولي.

لم أر إلا وجه الرجل الجالس قبالة زوجتي. كان وسيماً ومهندماً بطريقة رائعة، يرتدي سترة سوداء مفصّلة خصيصاً على تيشيرت أبيض باهظ الثمن.

كان يميل إلى الأمام ويضحك، وعندما اقتربت أكثر، رأيت ذراعه اليمنى مستقرة على الطاولة، ويده على بُعد بوصات من يد بِث.

- سيدي؟

التفتُ لأواجه المضيفة.

- أتبحث عن طاولتك؟

"نعم.. قلت كاذبًا: "لكني لا أرى جماعتي، اعتقدت أنهم هنا بالفعل".

- ما اسم القائم بالحجز؟ سأرى إن كانوا قد أكدوا حضورهم.

- لست واثقًا من قام بالحجز.

- لا بأس، ما اسمك؟

- روبي.

- إذا أحببت، يمكنك الانتظار قرب البار.

احتلت المقعد الوحيد الخالي، والذي كان يملك زاوية رؤية جيدة بلا عائق لطاولة بث، معترفًا بالغيرة المستعرة التي شعرت بها تجاه الرجل الذي كانت معه. لكن الآن، مثل كثير من مشاعري، قوبل هذا الشعور أيضًا بقدرتي على تنحيته جانبًا، على رؤية ما وراء عاطفتي ذاتها.

طلبتُ شرابًا لم أمسسه وراقبتُ طاولة بث.

طلبًا كوكتيلاً ونبيرًا وطعامًا.

تدفق الحديث من دون مجهود.

لغة الجسد، الخلفية، حقيقة أنها ليلة الخميس في مطعم فرنسي مظلم - كل شيء حول هذا كان يصرخ بأنه موعد غرامي، الثالث، وربما الرابع.

أتى نادل إليهما بزجاجة النبيذ. استعرض رفيق بث مهارته بفحص السدادة والمراقبة الحريصة للون أول دفقة من النبيذ في كأسه.

بعد أن انصرف ساقى النبيذ، تراجع رفيقها في مقعده ونهض. راقبته وهو يتحرك نحو رواق على الناحية الأخرى من المطعم كان من المفترض أن يؤدي إلى دورات المياه.

تركّت بعض المال على البار وانطلقت نحو طاولة ب٣.

كانت على مبعدة عشرين قدمًا فقط الآن، ترسل رسالة نصية إلى أحدهم على هاتفها.

حلّق نبض قلبي إلى 160 نبضة في الدقيقة. بدا كما لو أن شخصًا آخر سكن جسدي، وبالطبع كنت أعرف من يكون، لوجان القديم، ما زال أسيرًا للاحتياج البشري، أطاحت به في محيط وجوده رياح لم يستطع البدء في السيطرة عليها أو فهمها.

أما لوجان الجديد فلم يكن يصرخ بقدر ما كان يقول بصوت هادئ حاسم: أنت تعرف أن هذه ليست الطريقة الصحيحة، ستعرضها للخطر.

كنت على مبعدة عشرة أقدام من الطاولة.

أنت تعرف أن هذه ليست الطريقة الصحيحة.

عبر كل الروائح المتنافسة في المطعم، ميزت رائحة زوجتي: كيمياء عطرها، سائل استحمامها، محاليلها المعطرة، وخلف كل هذا الخيمياء الغامضة للفيرومونات^(١) وأريجها الأولي، الذي اخترق ما تبقى من عقلي القديم، كان التأثير العاطفي أقوى من أي شيء شعرت به منذ تحسيني.

(١) الفيرومونات كيماويات تتركب من جزيئات عضوية معقدة. تستعمل لنقل الإشارة من حيوان إلى آخر، وهي أكثر تخصصًا من الروائح بحيث يستطيع الكائن المستهدف استكشافها بكميات ضئيلة جدًا وهي محمولة بالهواء، وعادةً تكون مخففة جدًا ونوعية التأثير على الأحياء، تهدف إلى جذب الحيوانات لبعضها كل حسب نوعه في موسم التزاوج، أو للتنبيه من خطر محقق.

ما زلت أحبها.

وفي هذه اللحظة اختفى... رحل لوجان القديم.

رأيت نفسي في المطعم في شهقة وضوح مفاجئة، انكشف الحجاب،
رأيت القوى التي أتت بي إلى هنا.

المخالب القديمة للغيرة والخوف والأسى.

تبرير استبعاد الحقيقة، انطلاقاً من الأنانية.

كنتُ خطراً على بـث، على ابنتنا.

لم أعد أفضل شيء لهما.

أحسّت بـث باقتراي من طرف عينها.

بدأ رأسها يلتفت نحوي.

قمتُ بانعطافة حادة، وتجاوزت طاولتها، ثم رقيقها، الذي ظهر
للتوّ قادمًا من دورة المياه. لم يرني، كان تركيزه كاملاً على بـث،
واستطعت أن أقرأ في وجهه التعبيرات متناهية الصغر عن الاهتمام،
والإثارة، والشهوة.

في الخارج، جلست في السيارة بينما المطر ينهمر، مراقبًا المارة على
الرصيف.

فككت حزام المقعد الذي كان يؤمّن المبرّد وفتحت الغطاء، مددت
يدي في الماء الذائب، وقبضت على الحقنة الأولى من الحقن الثماني
الكبيرة - كل واحدة مكتوب عليها مكان محدد للحقن في جسدي.

وضعت مكونات تحسيني الجديد على لوحة التحكم المركزية،
وشمّرت كُـم ذراعي الأيسر، وربطت شريطاً مطاطياً أعلى كوعي،

ومسحت موقع الحقن أعلى وريدي المرفقي بقطنة مغموسة في الكحول.

ملأت الرائحة الحادة الفاقعة للكحول السيارة.

رفعت الحقنة، ودفعت قطرة محلول واحدة عبر الإبرة. بعد الحقن، ستصيني التأثيرات في غضون ساعة. كانت لدي غرفة تنتظرنني في فندق (ماندارين أورينتال). كنت أستخدم حقناً مضغوطاً من أجل التصادم الهيدروديناميكي للتحسينات النظامية الأساسية، وبخاخة أنف معدلة كي تمر الجسيمات النانوية من حاجز الدم-المخ وتستهدف المخ مباشرة. سأنتظر حتى أعود إلى الفندق كي أستنشق جسيماتي النانوية؛ بما أن تأثيرات هذه الجسيمات ستحدث على الفور.

فيما وراء الزجاج الذي لطّخه المطر، لمحت ومضة خضراء. كانت بث تسير على الرصيف، تحميها من المطر مظلة أمسك بها الرجل الذي تناولت العشاء معه. كانت متشبثة بذراعه. لا خاتم زواج في إصبعها. كانا يتحدثان، لكنني لم أستطع أن أسمع الكلمات من طرُق المطر على سقف السيارة.

اختفى أغلب وجهها وراء المظلة، لكنني استطعت أن أرى فم زوجتي.

كانت تبتسم.

أكانت هذه آخر لمحة أراها من بث؟

أسأل من أجل لوجان القديم.

سارا بجوار نافذتي مباشرة، وسمعت جزءاً من ضحكة بث عبر الزجاج، عالية ومنغمة، شيء ما فيها كان يُذكرني دائماً بنور الشمس. ثم اختفيا - مجرد اثنين آخرين معاً في بحر المظلات. ومرة أخرى اندهشت - كمراقبٍ خارجي - من القدر الذي يحتاج به أفراد نوعنا

أحدهم إلى الآخر. كل هؤلاء الناس خارجًا في المطر البارد، كي يضحكوا ويشربوا، كي يتحدثوا عن لا شيء، كأن هذا الاحتياج إلى الاتصال والتلامس هو شريان حياتنا... حياتهم.

لم أكن وحيدًا.

لوجان القديم كان وحيدًا، لكنه كان يحتضر.

نظرت إلى الحقنة.

وبعدئذٍ غرست الإبرة في وريدي.

الجزء الثالث

"في القرن الواحد والعشرين، سيكون المشروع الكبير الثالث للجنس البشري هو إكسابنا القدرات الإلهية الخاصة بالخلق والتدمير، وتحسين الإنسان العاقل كي يصبح الإنسان الإله".

– يوفال نوح هراري، (الإنسان الإله)

13

أمطرت نارًا في دماغي.

دارت عيناى في رأسى، تشنّج جسدى، التوت ذراعاى، وطفح الزبد
من فمى.

مرّت النوبة.

شعرت كأن عظامى تذوب، وكما لو أن شيئًا يحاول أن يشق طريقه
خارجًا من جمجمتى كمعول ثلج. بلغت البلاط البارد الرحيم للحمام
في جناحي الفندقى ورفعت جسدى إلى جانب حوض الاستحمام، الذى
كنت قد ملأته بالثلج.

عندما هبطت مستقرًا في الماء المجمّد، تأوّهت.

شعرت بالألم في كل مكان.

كانت خلاياى تصرخ.

وبينما كان جلدي الساخن يذيب الثلج من حولي، فكرت: أنا سأموت.

كان عقلي يتفكك. غاب المركز الذي يمكن استيعاب الأشياء فيه. لا تحديد لأولويات المحفزات الواردة. الزوايا القوسية لكل شعرة على ذراعي محتدمة مثلها مثل الماء المتقاطر من الحوض في فواصل مدة كل واحد منها اثنان وأربعون ثانية مثله مثل ضربات سكين المعجبون على السقف الحُببي مثلها مثل تكرار رَمَش عينيّ مثله مثل نقش البلاط على الجدار وفروق السُمك في الملاط مثلها مثل معدل نبضي المنحدر إلى الأربعينيات، معتقداً أن مهادي، تلك الكتلة تحت القشرية في مخي التي تنقل المعلومات الحسية من المحيط الخارجي إلى قشرة المخ، والتي تُنقّي وتنظم المعلومات الحسية، الدوائر المهادية القشرية التي تتحكم في السيطرة الانتباهية على المعلومات الحسية عن طريق تعديل وتغذية التفاعلات الوظيفية داخل المناطق القشرية وبينها- لقد فشختها!

لقد فشختُ كل شيء.

دمرتُ عقلي.

كنت أئن.

عذاب دماغي.

الوقت يتباطأ إلى درجة الزحف بلا نهاية.

كنت أرفع رأسي محدقاً إلى طوفان من المعلومات الحسية بطيئة الحركة وكلها تسيل على وجهي، وانتباهي معلقٌ بحدة على كل قطرة في حد ذاتها، ووعيي ينقسم وينقسم وينقسم و...

ثمة حجرٌ ملتهب في الجانب الأيسر من صدري.

يزداد سخونة أكثر وأكثر، ودمي راكد بداخلي.

أعضاء مشدودة.

مترنحة.

ألم ينفجر في كل مكان. لا أستطيع التنفس...

... شهقت مبتلعًا الهواء من جديد، ونبض قلبي من جديد.

لقد غبتُ عن الوجود لمدة 148 ثانية طاحنة وما زلتُ غارقًا في عاصفة من البيانات الحسية، وأفكاري أشبه بصوت خارج جسدي، مثل أصوات كثيرة، وذهني ينقسم وينقسم.

أفكر في ثمانية أشياء معًا في نفس اللحظة.

ثم ستة عشر شيئًا.

ثم...

أغلق عينيك.

ظلام.

راحة لحظية.

عدت إلى الوعي مرتعشًا في حوض استحمام درجة حرارة الماء فيه 20.5 مئوية. أمسكتُ بالناحيتين وحاولت أن أرفع نفسي كي أنهض، لكن لم تكن لديّ القوة حتى لأقف.

نظرت حولي.

رحل ذلك الإحساس بغياب الدفة، بالرعب المجنون، لكن ما بقي
مرثياً رأي العين هو ذلك الشك إن كان قد مرّ ذلك الإحساس حقاً، أم
أني في قلب عاصفة جينية.

زحف خيوط من ضوء حارق عبر المساحة بين الستائر، لم تكن
لديّ فكرة عن أي يوم كنت فيه، كم قضيت من الوقت في هذه
الغرفة. كل ما عرفته أني ظمآن بشدة وما زلت أعاني من حمى ملتهبة.
جررت جسدي فوق السرير، وقبضت على أقرب زجاجة مياه،
وشربتها كلها. كنت قد أعطيت نفسي محلولاً ملحيّاً في الوريد قبل
أن أستنشق الجسيمات النانوية، لكنني ضربت الهواء من حولي كثيراً
خلال النوبة الأولى لدرجة أني انتزعت الأنبوب الوريدي.
بعد زجاجتين من الماء، حاولت الوقوف.

ترنّحت متجهاً إلى إحدى النوافذ واسترقت النظر إلى الخارج، لكنني
رفعت عيني على الفور لأحمي عينيّ من هجمة الضوء.
أظلت سماء شتوية غائمة عاصمة البلاد. من جناحي في الطابق
الثامن، استطعت أن أرى مراسي قناة واشنطن والقبة البيضاء البعيدة
لنصب جيفرسون التذكاري.

بالفعل كانت قوتي تتداعى.

انهرت على مقعدٍ بالقرب من النافذة.

أحلامي تلك الليلة كانت عرضاً لخيال ظلّ دائم التغير.
شاهدت عقلي ذاته وهو يعيد تركيب وتحويل نفسه.
امتطيت نصل الأم والنشوة.

أدركت كل القوى -الجينية والبيئية، وشلال اختياري المحتومة-
التي جعلتني على ما أنا عليه في هذه اللحظة. رأيت نفسي النتيجة
الحتمية لمعادلة وجودي. فهمت أخيراً أنه لا توجد إرادة حرة، لأنني لم
أستطع أن أختار رغباتي، اخترت فقط السعي وراءها أو التوقف دونها.

رأيت كل النسخ القديمة من لوجان عبر الوقت.

من البويضة المخصبة إلى هذه اللحظة.

تساءلت ترى من أصبحت.

ماذا أصبحت.

بكيّت.

صرخت.

ضحكت بطريقة هستيرية.

خربشت جلدي ونزعت شعري.

أردت أن أموت.

أردت أن أعيش إلى الأبد.

عندما استيقظت في الصباح، عرفت أنني خرجت من العاصفة. قمت
من السرير وسرت إلى مساحة المعيشة الأساسية.

نظرت حولي، تاركاً كل شيء ينهمر عليّ.

كنت ما زلت فائق الوعي بكل محفز حسي وارد، لكن شيئاً ما قد
تغير. صار الآن بمقدوري أن أقسم عقلي عن عمدٍ إلى أكثر من خططين
من الوعي فقط، والأهم من ذلك، صار بمقدوري أن أصد الهجمة
الحسية لو أردت.

أجريت اختباراً، مركزاً على...

الطريقة التي جعلت التدفئة المركزية بها السائر تبدو أشبه برئات مخلوق غريب.

ذبابة تطن بجنونٍ داخل صفيحة قمامة بالقرب من البار الصغير.

الثلاجة الصغيرة تنزُّ بتردد 49 هرتز بسبب ضاغط هواء شنيع.

عقلي وهو يوجه بالفعل محركه عالي القوة نحو كارا.

عطشي - نتاجٌ عصبيّ هو في الحقيقة تحفيز من هرمون أنجيوتنسين يؤثر في مستقبلات هذا الهرمون في العضو المُسمّى بالعضو تحت القبو، وهي المنطقة الدماغية القريبة من البطينين ذوي الأوعية الدموية العالية، ردًا على انخفاض كمية الدم.

جوعي - نتاج حسي آخر أدرك الآن من دون تفكير وببساطة أن الناقلات العصبية مثل السيروتونين (5-HT) والكاتيكولامين في خلايا العصبية السيروتونينية، وعضيرتي العضلية المعوية، وخلايا المعوية في الغشاء المخاطي لجهاز الهضمي، وصفائحي الدموية... تطلب مني أن أكل.

وكلما سمحت لنفسي باستقبال ومعالجة المزيد من الأفكار والمدخلات الحسية، حدث شيء غريب.

بدا أن الوقت يستطيل، يمتد، مثل رد فعل الخوف الذي ينشط اللوزة الدماغية كي تخزن المزيد من الذكريات، كان وعيي متعدد الجوانب أيضًا يخزن المزيد من الذكريات مضروبة في مُعامل س، حيث س هو عدد المرات التي أقسم بها وعيي. وكان هذا يعطي وهمًا بتباطؤ الوقت إلى كسر منه يتطابق مع س.

بعبارة أخرى، عن طريق تقسيم وعيي والتركيز على محفزات متعددة في الوقت نفسه، استطعت أن أبطل من إدراكي للوقت، وكلما زدت من تقسيمي لوعيي، بدا الوقت أبطأ في التجلي.

تساءلت إن كان بمقدوري أن أتلکأ في اللحظات، جاعلاً كل ثانية تصبح عاملاً في حد ذاتها، هناك في مختبر فيلد، توقعت بسهولة الحركات البدنية لحراسه، لكن هذا لا يقارن بذلك.

حدث هذا في حوض الاستحمام وكان عذاباً لأني لم أستطع السيطرة عليه، لم أستطع إيقافه، والآن أستطيع. كان الأمر كأني أستطيع بالفعل أن أبطئ الزمن.

كان الصوت القادم عبر النوافذ المحجوبة بالستائر مختلفاً، صوتاً مكتوماً، كانت تمطر ثلجاً.

سرت نحو الباب المنزلق، وخطوت إلى الخارج.

تركت وعيي ينقسم وينقسم وينقسم وينقسم إلى أن وقفت ندف الثلج بلا حراكٍ تقريباً. راقبت واحدة ترحف عبر الهواء، وتمر بالكاد إلى جوار طرف أنفي. وكانت السيارات ثابتة، والناس على الأرصفة بالأسفل على مبعده ثمانين قدمًا يتحركون بالكاد، وطائرة فائقة السرعة تتقدم ببطء شديد في السماء.

رمشت بعيني، عائداً إلى وعي واحد.

عاد العالم إلى سرعته الطبيعية من جديد.

وعرفت: هكذا راوغت كارا الرصاص.

وعرفت أيضاً شيئاً آخر، قبل ذاك، لم أكن أملك إلا نظريات مبهمة وتخمينات معرفية، أما الآن، بينما يذوب الثلج على وجهي، صرت أملك في عقلي أوضح نموذج للطريقة التي ستطلق بها أختي تحسينها. بل وعرفت أين.

غرست الإبرة سريعًا في وريده بمهارة كبيرة حتى إنه تحرك حركة بسيطة فقط. وبعد أن ضغطت على المكبس، وضعت قطعة من شريط لاصق على الإبرة، التي كانت ما زالت مغروسة في جلده، وتحركت عائداً إلى المقعد.

كانت غرفة النوم مظلمة، وأصرّ المقعد تحت ثقلي وأنا أستقر فيه.

أخذت بضعة أنفاس عميقة في الصمت.

كانت الثواني تمر متكتكة بنصف سرعتها، بما أني كنت في هذا المكان، وفي نفس الوقت كنت أفكر أيضًا في أختي.

احتكت قطعة سوداء بساقي، وهي تهرّ في رضا.

تحرك إدوين روجرز، وانقلب على جانبه، وسكن من جديد.

لم يكن هناك غير صوت غطيطة الهادئ، وهمس الهواء المركزي وهو ينفث الدفء عبر فتحات التهوية، وهرهرة القطة.

أراد مخي أن ينخرط في تسعة وعشرين مصدرًا مختلفًا للمدخلات الحسية، لكنني لم أكن لأسمح له، كانت عملية الإنكار ما زالت جهدًا واعيًا، قريبًا، سأتكيف.

كنت في الطابق الثاني من منزل المدير المشيّد من الطوب الأحمر وسط صفّ من البيوت المتلاصقة في جورجيتاون، على مبعدة أربعة مربعات سكنية من نهر بوتوماك.

كانت الساعة 2:27 صباحًا.

تنحنحت بصوتٍ عالٍ، تحرك إدوين تحت الأغطية، تنحنحت بصوتٍ أعلى هذه المرة، جفل إدوين واعتدل جالسًا في فراشه، محدقًا إلى الظلام.

قلت: "لم تكن تحلم بهذه الضجة..".

اندفع بجسده نحو الخزانة الجانبية لسريره، وجذب الدرج ليفتحه.

قلت: "المسدس ليس فيه، أنا أمسك به".

نظر إدوين إلى اتجاهي، كان الظلام شديدًا في الغرفة حتى إنني شعرتُ بالثقة بأنه لا يستطيع أن يرى إلا خطوط جسدي الخارجية، أما أنا فكنت أراه بوضوح تام.

تساءل: "من أنت؟".

- تجربتك العملية السابقة.

للحظة، ظل إدوين ساكنًا تمامًا، رأيتَه يطرق برأسه ناظرًا إلى ذراعه اليسرى، رأيتَ يده تلمس الحقنة التي ألصقتها بذراعه، رأيتَه يلاحظ المكبس المضغوط، جذب اللاصق وأزال الإبرة من جلده.

- بم حقنتني؟

- سنتحدث عن هذا لاحقًا.

- هل جُننت يا لوجان؟ لو أن زوجتي...

- أعرف أنها خارج المدينة.

- لديّ أمن في الخارج، كيف...

- لا يهم.

ملت إلى الأمام، وأضأت مصباح الطاولة الجانبية للفراش.

حدّق إدوين إليّ بعينين متسعيتين من الرعب.

قبل التحسين، كان أغلب البشر لغزًا كاملاً بالنسبة إليّ - مثل جبال متسرّبة بالسحب والضباب. كنت أعرف أنهم موجودون، لكن

أشكالهم الحقيقية ظلت مخفية. لقد ثبت أن قدرتي على التنبؤ بسلوكيات الآخرين -حتى زوجتي وابنتي- قدرة مراوغة بلا نهاية، جاء التحسين الأول ليجلو بعض الضباب.

أما الآن، عندما بدأ تحسيني الثاني يتجلى، ثمة شبكة مترابطة من القوى غير المرئية سابقًا تكشف عن نفسها لي. لم أرَ فقط خوف إدوين لكن كل الضغوط الماثلة عليه لتبرز هذا الخوف، هوياته المتعددة المتصارعة كزوج وأب وجد ومدير للجوي بي إيه وضابط إنفاذ للقانون ومشرف وصديق وخائن وعالم وكائن حي يتنفس لا يريد أن يموت. كان الأمر يشبه رؤية الفرق بين الأشجار وهي تتمايل وسط الرياح والرياح قادمة قبل أن تبدأ الأشجار في الانحناء، وأن تعرف مقدار انحنائها بالضبط.

لقد ضاقت المسافة بين ما اعتقدت أن إدوين يكونه وما كانه بالفعل. كانت لدي كل ذكرى عن الرجل، كل كلمة سمعته ينطقها، كل رد فعل صنعه في سنواتي ما قبل التحسين - كل هذا كان يعمل معًا لبناء نموذج عقلي بلا شائبة تقريبًا لما كان عليه في هذه اللحظة وما سيفعله في اللحظة التالية. لم يكن هذا يعني أنه صار بمقدوري فعليًا أن أقرأ أفكاره، مثلما لم أبطئ الوقت بالفعل. لم تعطني أي من هذه الملاحظات معلومات دقيقة، لكن الانطباعات التي نقلتها خلقت أساسًا غنيًا للاستدلال والاستنتاج.

كنت أرى ما بداخله.

وقفت البنية السرية لهويته ماثلة أمامي من دون حجاب ولا عائق.

جبل ظاهر تمامًا، في يوم خريف صحو.

لم يعد هناك أي لغز، كان حبيسًا في حلقة لا نهائية من رغباته الأصلية، وستقوض هذه الرغبات أي دافع نحو عدم القدرة على التنبؤ.

سينصرف بطريقة محتومة.

سينحني عندما تهب عليه الريح.

وكان بمقدوري أن أرى الريح.

وكان بمقدوري أن أكون الريح.

في هذه اللحظة، كان يفكر: لم أعرف ماذا أفعل معك، لم أعرف كيف سيغيّرك التحسين، أنا آسف.

وعندئذ قال: "أنا آسف على كل شيء، عاملتك كفأر تجارب، كذبت على أسرتك".

ذكي، نقطة لصالحك.

"كنت تؤدي عملك، أفهم دوافعك وراء هذا، الضغوط العديدة على عاتقك" نظرت إلى المسدس عيار 357 الذي أخذته من طاولة فراش إدوين الجانبية. "لكن من فضلك، لا تنس أبدًا... كان بمقدوري أن أقتلك الليلة عمّا فعلته بي وبأسرتي".

تسلّل الارتياح إلى قلبه.

قلت: "الشخص الذي أخرجني من موقعك الأسود كان أختي، قتلته متعهديك، حسّنتها أُمي كذلك".

- لماذا؟

- لأن ميريام كانت تحتضر. كان هذا التحسين تحفتها الأكبر، وكانت تعرف أنها لن تعيش طويلًا بما يكفي لأن ترى اكتمالها، لذا قامت بتحسين طفليها الباقين وتركت المراحل الأخيرة من التحسين لنا كي نكملها. لم أرغب في إكمال هذا، لكن كارا أرادت.

بينما كنت أحيي له كل شيء، شاهدت خوفه على سلامته يتحوّل إلى رعب مما تخطط له أختي.

تساءل إدوين: "إذن جلاسجو اختبار تجريبي؟".
أومات برأسي.

- أنهينا للتوّ تسلسل بضع جينومات للموتى.
قلت: "اعتلال بريوني...".

"نعم" وبدا مندهشاً من معرفتي بذلك.
قلت: "هذا أقلّ مشاكلك. في هذه اللحظة، أختي تنقي الفيروس، وهي على مبعدة أسابيع، وربما أيام، من الحصول على تحسين قابل للنقل. تخيل جلاسجو على نطاق عالمي".

شاهدت الذعر يستوطن عينيّ إدوين.
تساءل إدوين: "كيف ستفعل هذا؟".

- ما إن تبدأ الوفيات في الحدوث بأعداد جماعية، ستستجيب الحكومات بفرض الإغلاق والحظر. أعرف أن بلاداً كثيرة تعمل على علاجات مضادة لسايت. لو كنت مكان كارا، أنا بحاجة إلى التأكد من أن التحسين موجودٌ في كل مكان قبل أن تحدث هذه الأشياء. سأكون بحاجة إلى نقل العدوى إلى حفنة من الناقلين الراغبين وبعد ذلك إرسالهم إلى أطراف الأرض في وقتٍ واحدٍ.

تساءل إدوين: "كم تكون هذه الحفنة؟".

- بحساب معدل الخلل، ما بين خمسة وسبعين ومائة وخمسين.
- وعندما تقول أطراف الأرض...

- توجد 128 مدينة تعداد سكانها خمسة ملايين أو أكثر. لو كنت مكانها لأرسلت ناقلي العدوى إلى أماكن مثل طوكيو، دلهي، شنغهاي، ساو باولو، مكسيكو سيتي، دكا، القاهرة، بكين، مومباي، أوساكا، إسطنبول، موسكو. كنت لأعرف بالتحديد الإطار الزمني للعدوى، وكنت لألضم ذلك الخيط بحيث ينشر هؤلاء الناقلون فيروسهم شديد العدوى في أثناء مرورهم بالمطارات وذهابهم إلى الحفلات الموسيقية والمهرجانات والأحداث الرياضية والمظاهرات.

بدا إدوين مذعورًا.

- وكيف تجد ناقلين راغبين؟ تحدّ، أليس كذلك؟

سؤال عظيم. وكانت لديّ بالفعل نظرية.

قلت: "طبعًا، يجب أن يعرفوا بدقة ما يفعلونه، يجب أن يعرفوا احتمال الموت الذي تصل نسبته إلى 13.6 في المائة، يجب أن يرغبوا في مساعدة كارا على إتمام هذا الحدث التطوري الإجباري".

- أنا فقط أحاول تخيل من قد يرغب...

قلت: "علماء الوراثة، علماء الوراثة الموصومون الناقمون المحبّطون، الناس الذين يعتقدون أن قانون الحماية الجينية كان خاطئًا. لكن أيضًا -وبشكل خاص- هؤلاء الذين يؤمنون أن العالم سينتهي على أي حال، إذن لماذا لا يلقون مرة أخيرة صلاة (السلام عليك يا مريم). بعبارة أخرى، علماء الوراثة الذين يمكن تعريفهم أيضًا بمناصري البيئة المتشددون... المؤمنون".

قال إدوين: "أنت بحاجة إلى الدخول إلى مستيك، هل تعتقد أن بإمكانك اقتفاء أثرهم؟".

- نعم، وأريد أن تكون نادين معي، فهي واحدة من قلائل أثق أنهم لن يطلقوا النار على ظهري.
- تمام، أتعرف أين أختك حاليًا؟
- لديّ نظرية.
- سأساعدك على إيجادها، كل ما تحتاج إليه.
- تفحّصت وجه إدوين، لاحظت نبض قلبه. في هذه اللحظة، لم يكن يكذب عليّ، لكن هذا لا يعني أنه لن يغير رأيه لاحقًا، عندما ينجو من الخطر الوشيك، أو يسمح لقوى أخرى بقلبه ضدي.
- تساءل إدوين: "لماذا جئت إليّ؟ قمتَ بمجازفة هائلة".
- لأنني لا أعتقد أن أختي ستتوقّع عودتي إلى الناس الذين خانوني، وقد يمنحني هذا إمكانية العثور عليها.
- كيف أعرف...
- أن بإمكانك الثقة بي؟
- أوما برأسه.
- ستبحث عن البيانات بنفسك، ستأكد من معدل الوفيات، ستخيل ما سيحدث لو اجتاح هذا الكوكب، وستقرر أنه لو كان هناك حتى احتمال بأني أقول الحقيقة، فلا خيار أمامك إلا مساعدتي.
- هذا منطقي إلى درجة كافية.
- لقد حققتك بعبوة جينية خاملة، أعددتها سريعًا في مختبر تاي فيلد. لست في خطرٍ حاليًا، لكن يمكنني أن أطلقه في أي وقت، ولو حدث لي شيء، سيجري تفعيله عن طريق زناد بيئي.
- ماذا سيفعل؟

- سيطلق شللاً من الفوضى الرهيبة داخلك.

- لا رغبة لديّ في...

- أعرف.

صدقْتُ نوايا إدوين، ما لم أثق به ولا كان بمقدوري السيطرة عليه هم الناس الموجودون في مراكز السلطة الأعلى منه، خاصة في وزارة الدفاع. نفس الرؤساء الذين لن يسمحوا لإدوين بالقبض على تاي فيلد ومحاكمته سيكونون مهتمين جدًا بي لو سقطت مرة أخرى في شبكة رادارهم.

وقفت: "عذرًا عمّا سأقول، لكن لو قُتلتُ أو تم القبض عليّ، أو لو خنتني مرة أخرى، ستموت".

- لن يحدث هذا يا لوجان.

صدّقته.

سيحاول حمايتي الآن، بل قد يضحي بحياته من أجل ذلك، لأن رصاصة أو زنزانة سجن ليسا إلا رعبًا معروفًا، أما ما حقته في مدار حول شريطه الوراثي فكان نوعًا من الكوابيس لا يعرفه أحد.

كنّا واقفين في سهل منبسط بلا ملامح.

كانت السماء بنفس اللون الرمادي الحالك الذي كانت عليه الأرض، ولم يكن هناك أي بُعد للفضاء على الإطلاق - لا أفق، ولا إحساس بالعمق - لولا أن الأرض كانت أغمق قليلًا.

فجأة، انشَقَّت بيننا.

هوة سوداء تزداد اتساعًا.

كانت آفا وبث تصرخان باسمي بينما تزداد المسافة بيننا، نظرت
آفا إلى أمها، وعادت بنظرها إليّ عبر المسافة، ثم أخذت عدة خطوات
إلى الوراء وبدأت تجري نحو الحافة.

صرخت: لا! أنت لا تريدن هذا!

لكنها استمرت في الجري.

أسرع، وأسرع.

شاهدتُ قدمها تلمس حافة الهوة، وقفزت...

ذراعاها تسبحان، وساقاها ما زالتا تجريان في منتصف الهواء.

تبحر نحوي من فوق الهاوية.

التفت أعيننا للحظة، وكانت آفا تبتسم.

أنا قادمة يا بابا، أنا قادمة معك.

ارتطمشت بجانب الجرف، وتشبثت ذراعاها بالحافة، وبحثت
قدمها عن موطن. اندفعتُ نحوها، لكن عندما انحنيت لأمسك بيد
آفا، فقدت قدرتها على البقاء متشبثة، وأفلتت أصابعها من أصابعي.

جثوت محدقًا إلى الهاوية السوداء وآفا تسقط مبتعدة عني.

تغوص عميقًا في تلك العتمة التي بلا قرار.

استيقظتُ فجأة.

كان قلبي يدق بعنفٍ في عتمة غرفتي بالفندق.

كنت أردد اسم ابنتي في هدوء مرة بعد مرة.

غادرت السرير، وذهبت إلى الحمام وملأت كوب.

شربته كله، وملأته، وشربته كله مرة أخرى.

بدأت أهدأ، وهبط معدل نبض قلبي الذي وصل إلى ما يزيد على 120 نبضة في الدقيقة. لقد حدث شيء ما خلال الحلم؛ تحررت مشاعري من قفص فاراداي الذي حبسها كثيرًا، وشعرت -للحظة مؤلمة- بالوقت الذي ابتعدت فيه عن أسرتي.

انهرت على بلاط الحمام.

وخرج مني نسيج من البكاء، ثم نسيج آخر. انفجر خزان أحزان، ولمدة ستين ثانية تركت نفسي أذهب بددًا، محدقًا من دون أن يرمش لي جفن إلى كل ما فقدته.

التقطني إدوين من أمام الفندق في منتصف الليل. صعدت إلى سيارته البورش 911 إي، وانطلقنا عبر المدينة.

كانت السيارة البورش واحدة من السيارات الكهربائية الجديدة طويلة المدى بها ملامح تصميم كلاسيكية وهيكل رباعي المحركات يمكنه الانتقال من الصفر إلى الستين في تسعة أعشار الثانية ويمكنه أن يقطع ألف ميل بعد شحنه كاملاً. ظل إدوين يحاول التفاعل معي، لكنني كنت في مكان آخر عقليًا، أستعد لوقتي على ميستيك.

أوقف سيارته عند الرصيف في شارع دي ستريت ساوث ويست، وأسرعنا في الممشى المؤدي إلى باب في الجانب الهادئ من مركز الدستور، الذي كان -بالصدفة- نفس الباب الذي خرجت منه محاولاً الهروب من هذا المبنى منذ أكثر من عام وتحسينين.

لم أعتقد أنه غبي إلى درجة خيانتني بهذه السرعة، بعد اثنتين وعشرين ساعة فقط من ظهوري في غرفة نومه في منتصف الليل، لكنني أملت ألا أكون قد أسأت قراءته. كان هناك دائمًا احتمال بأنه

يمكن أن يُخضعني لتحقيق وتعذيب افتراضي، مع بعض الملحقات الكيميائية الاختيارية، محاولاً أن يجعلني أفسّر ما حقنته في نظامه. عندما اقتربنا، انفتح الباب. وقفت شريكتي القديمة، نادين نيتمان، على العتبة تبتسم.

قال إدوين: "هي تعرف كل شيء...".

عندما خطوت إلى بئر السلم وانغلق الباب ورائي، ألقى نادين ذراعها حول عنقي.

- هل أنت بخير؟

كان هناك الكثير مما يمكن البوح به هناك. لكنني قلت فقط: "أفضل الآن".

كانت اللمسة البدنية الأولى غير العنيفة التي أمرُ بها منذ اختطافي من هذا المبنى قبل ما يقرب من أربعة عشر شهراً، وشعرت بالتفاعل يحاول أن يكسر قفل الباب المؤدي إلى محفزاتي العاطفية.

تساءلت نادين: "ماذا؟ ألم تعد تعانق؟".

عانقتها.

بعد لحظة، انفصلنا.

تطلعت إلى عيني، رأيتُ تعاطفاً، شفقة، وما يشبه الخوف. لكن هذا كان طبيعياً في وضعها - أن تراني لأول مرة بعد أكثر من عام، متسائلة عما قد أصبحت عليه يا نرى، أليس كذلك؟

- تبدو مختلفاً.

- قمت ببعض التغييرات.

مكتبة

t.me/soramnqraa

قال إدوين: "هيا بنا؟".

قالت: "أعددت كل شيء، بالضبط ما طلبته يا لوجان".

صعدنا السلام إلى الطابق الثاني، الذي كان يضم خوادم ميستيك. كانت الممرات صامتة. ومضت الأضواء -المضبوطة على مجسات تنشط بالحركة- فوقنا ونحن نقطع رواقًا خاليًا.

"أعددت لك مكانًا هنا.." قالتها نادين وهي تفتح بابًا يؤدي إلى مكتب صغير قاحل. كانت الجدران عارية، لا أثر لزينة شخصية. كان خاليًا لفترة. وكان المكتب الخشبي داخله خاليًا إلا من جهاز الحاسوب المكتبيين ولوحتي المفاتيح الذين طلبتهم.

بسبب خطر الهجمات السيرية وقوائم البيانات فائقة الحساسية الموجودة، لم يكن من الممكن الدخول إلى ميستيك إلا عن طريق محطات قائمة بذاتها داخل عمق مركز الدستور.

قالت نادين: "ستدخل ببياناتي، ماذا تحتاج إلى غير ذلك؟".

- كم لدي من وقت؟

قال إدوين: "ربما ينبغي لك أن تكون خارج المبنى قبل السادسة صباحًا، سنُبقى أعيننا على الممر، لا أعتقد أن أحدًا سيتعرف عليك، لكن من الأفضل أن يعرف أقل عدد ممكن من الناس بأمر عودتك".

سألني نادين: "أتريدني أن أبقى هنا معك؟ أقدم يد العون".

- شكرًا، لكن ربما من الأفضل لو عملت وحيدًا في هذا الجزء.

غادرا، مغلقين الباب خلفهما.

قبل تحسيني الثاني، كنت لأحار أمام فكرة العثور على كارا باستخدام ميستيك - أمام كل هذا العدد الكبير جدًا من طرق الاستكشاف الممكنة. لم أكن أبحث عنها الآن بقدر ما كنت أتأكد من صحة النظرية. كنت أشك في أن كارا تعمل إما من مدينة نيويورك وإما ميامي، سأعرف حالًا.

بدأت العمل، مقسمًا وعيبي حتى أتمكن من الكتابة على كل لوحة مفاتيح في نفس الوقت.

طوع بناني الآن كان واحد من أقوى محركات البحث التي جرى صنعها، ولو تمكنت من الإسناد التبادلي لحفنة من مجموعات البيانات المنسقة، سأجدها.

أهم الأشياء أولًا - ستحتاج إلى عالم فيروسات. كانت لدي خلفية أكبر في علم الوراثة وعلم الفيروسات مما لدى كارا. حتى الآن، وأنا أقرب من عتبة تحسينها الثاني، كنت ما زلت بحاجة إلى عالم فيروسات ليهندس الفيروس المثالي لنقل التحسين.

منحتني قاعدة البيانات 378 اسمًا. قمت بفلتر المجموعة إلى 24 مرشحًا مرتبين بناء على عوامل مساعدة يمكن أن تؤدي إلى الإجرام. بما أنهم كانوا في النظام بالفعل، كانت لدى جميعهم صور حديثة يمكنني استخدامها لمسح قواعد بيانات نظم المراقبة. أسميت الصور التي أخذتها من مجموعة بيانات علماء الفيروسات المحتمل تورطهم: "بلوك أ".

في نفس الوقت، على الحاسوب الآخر، كنت أبني مجموعتي الثانية. في جلاسجو، أخبرني الرجل الذي أجريت له ثقب قنينة هوائية طارئ أنه كان صديقًا لكارا من أيام خدمتها في الجيش. وعندما كنّا أنا وكارا مقيمين في ذلك النزل في فيرجينيا الغربية، سألتها إن كانت ما زالت على اتصال بالناس الذين أنقذوها في ميانمار. وأجابتنني: "هم بعض أفضل أصدقائي".

لقد حسّنت أندرو، وأظن أنها فعلت الأمر نفسه مع بعض رفاقها العسكريين الآخرين على الأقل. في ضوء ما مضى، أمكنني أن أرى الآن أن هؤلاء هم الأشخاص الوحيدون في العالم الذين كانت تثق بهم بالفعل.

كان أندرو في الفريق الذي أنقذها من محاربي ميانمار، اسمه الكامل كان أندرو كيجان. كان هناك سبعة آخرون من القوات الخاصة الأمريكية، أصحاب البيريهات الخضراء، في مهمة إنقاذ كارا. قُتل اثنان منهم خلال العملية، لكنني أجريت بحثًا عن الخمسة الباقين بالتصريح الذي أتاني به إدوين للدخول إلى خوادم وزارة الدفاع.

ناثانيال جاكس، أليكسيس هيرلي، رودلي فيانا، ديشون براون، مادلين أورتيجا، وكلهم ما زالوا أحياء.

كان ناثانيال جاكس متمركزًا حاليًا في بيونج يانج، وأليكسيس هيرلي مسجون في أريزونا (مرة أخرى) بعد القبض عليه مخمورًا ومثيرًا للقلق.

أما مادلين وديشون ورودني فجميعهم جرى تسريحهم من الخدمة بعد تكميلهم.

أشارت منشورات ديشون براون على وسائل التواصل الاجتماعي إلى أنه مطلق حديث ويعيش في مدينة بينساكولا بولاية فلوريدا.

وكان رودني فيانا سعيدًا في زواجه ويقضي عامه العاشر من العمل في شرطة تنفيذ الأحكام في كولومبوس، أوهايو.

أما مادلين أورتيجا فتقود الشاحنات لصالح شركة فرايتلاينز.

انتزعت أكبر عدد استطعت أن أجده من صور مادلين ورودني وكيجان وبراون، وأسMIT هذه المجموعة من البيانات "بلوك ب".

مددت يدي في حقيبة ظهري، وأخرجت الاسكتش الفوتوغرافي الذي رسمته بالقلم الرصاص لكارا أمس، هكذا بدت بالضبط في منزل أمانا في كولورادو، مع تعديلات وجهها الجديدة، كانت كارا هي "بلوك ج".

كي تكمل تحسينها القابل للنقل، سيكون على كارا أن تصمم ناقلًا فيروسيًا صناعيًا وتنقل العدوى صناعيًا إلى الخلايا المساعدة، التي

ستنتج عندئذ فيروسةً مجهزاً وقابلًا للعدوى، جرت تنقية حمضه النووي بتقنية العمود الدوّار. بعد ذلك ستحتاج إلى اختباره للتأكد أنه يعمل كما تريد، بمستوى عالٍ من الحدة والقابلية للانتقال بين البشر، يمكن القول إن هذه هي الخطوة الأصعب، وهي خطوة ستطلب مجموعة اختبار راغبة.

تضمنت مجموعة "بلوك د" نتائج استهداف العلماء السابقين في نظامنا ممن لديهم عوامل مساعدة (مرض قاتل، ديون، علامات على موقف راديكالي، ميول متشددة في مناصرة البيئة) قد تقودهم إلى المخاطرة بحياتهم بأن يصبحوا حقل تجارب لكارا، أو يصبحوا موزعيها الفائقين - مقاتلي جبهتها الأمامية الذين سترسلهم إلى أطراف الأرض. حصلت على قائمة مرتبة من 291 مرشحًا وحملت أحدث صورهم.

كتبت استعلامي الرئيسي: النتائج المستهدفة = أي كاميرا مراقبة التقطت صوراً لأي عنصر من بلوك أ + أي عنصر من بلوك ب + بلوك ج + أي عنصر من بلوك د، في مدى زمني... اثني عشر شهراً.

أردت أيضاً أن أعرف إذا جرى شراء تذكرة لأي واحد في مجموعة بلوك د (مجموعة الاختبار المحتملة والموزعين الفائقين).

كتبت استعلاماً فرعياً: النتائج المستهدفة = خطوط جوية، هايبرلوب، حافلات، تذاكر قطار مشتركة بواسطة أو لصالح مجموعة بلوك د، في مدى زمني... اثني عشر شهراً.

ومضت الشاشة اليسرى بنتائج استعلامي الرئيسي، كانت قائمة بأرقام متسلسلة لكاميرات مراقبة. طلبتُ خريطة بالقمر الصناعي لأمريكا ووضعت الأرقام المتسلسلة في مواقعها المطابقة.

في الوقت الذي تناثرت فيه بضع نتائج في أنحاء البلاد، تكتل عددٌ كبير حول أطراف مدينة نيويورك، ولم تكن هناك أي نتائج في ميامي.

جردت كل المجالات ما عدا علماء الفيروسات في بلوك أ. من بين أربعة وعشرين مرشحاً محتملاً من علماء الفيروسات، التقطت عدة كاميرات اثنين في مناسباتٍ عديدة داخل وحول مدينة نيويورك.

فعلت الأمر نفسه فيما يتعلق بطاقم كارا من القوات الخاصة في بلوك ب وحصلت على لقطاتٍ عديدة لمادلين أورتيجا وديشون براون ورودني فيانا داخل وحول نيويورك.

والآن جاء دور رسمتي لوجه كارا. منذ خمسة أيام، التُقط وجهها في دورانجو، كولورادو. بعد ذلك، لا شيء. كانت هناك محطة هايرلوب إقليمي هناك. لعلها أقامت في نُزل وكَبُرَت ملامحها قبل أن تفر من كولورادو. ولعل الوجه الذي رأيته في مسكن أُنما قد عُذِّل هناك، وهو ما يفسر لماذا لم تكن هناك لقطات لتلك الصورة قبل كولورادو.

بالنسبة إلى بلوك د، مجموعة الاختبار الفيروسي والموزعين الفائقين، من بين المرشحين المحتملين البالغ عددهم 291، رأيت لقطات عديدة بالكاميرات داخل وحول مدينة نيويورك لـ 38 شخصاً. بدا الرقم قليلاً. أكان هذا لأن الموزعين الفائقين لم يصلوا بعد إلى نيويورك ليتلقوا تحسيناتهم القابلة للنقل؟ ربما كان هؤلاء الثمانية والثلاثون هم مجموعتها التجريبية.

فتحت النتائج القادمة لاستعلامي الفرعي - المعاملات المالية المتصلة بالسفر. كانت هناك قائمة بأرقام تذاكر الطيران والقطار الفائق السرعة لبلوك د.

غمрни الارتياج.

من بين المرشحين الـ 291 الذين حددتهم الذكاء الاصطناعي، نال 94 من بلوك د تذاكر طيران دولية مشتراة باسمهم، بجهات وصول إلى كل المدن الكبرى التي ذكرتها لإدوين، ومدن أخرى أكثر. وكلهم سيطيرون

من نيوارك، لا جارديا، مطار كينيدي، فيلادلفيا، ومطار بوسطن لوجان الدولي، خلال فترة يومين، تبدأ بعد اثنتي وسبعين ساعة.

كبرت الصورة على مدينة نيويورك وطلبت نتائج كاميرات المراقبة التي لديها أعلى تردد التقاط للصور بالنسبة إلى المجموعات أ وب ود. عادت إلي ثلاث نتائج.

كاميرا عند تقاطع شارع فورمان وشارع دوتي بالقرب من المتنزه المطل على الماء في مرتفعات بروكلين.

وكاميرا عند تقاطع متنزه ريتشموند تيراس وشارع نيكولاس، بالقرب من متنزه نورث شور ووتر فرونت إسبيلاندي عند الطرف الشمالي من جزيرة ستاتين.

وكاميرا عند تقاطع شارع واشنطن وشارع دودلي، بالقرب من متنزه موريس كانال في مدينة جيرسي.

طيب. قبل الآن، كنت أعمل على خليط من النماذج العقلية لعملية تفكير كارا وحدها الخالص، لكن هذا الاستعلام الأخير بدا صلبًا، لقد وضع أساسًا لنظريتي عن الطريقة التي كانت تبني كارا بها تحسينها سرًا.

شككت أن هذه المتنزهات -التي تطل كلها على المياه- كانت نقاط الرحيل والوصول عندما تتحرك كارا وفريقها ذهابًا وعودة من مختبرها.

كانوا يبحرون بالزوارق عبر ميناء نيويورك، والنهر الشرقي، ونهر هدسون، إلى أرض منطقة مانهاتن السفلى المغمورة المهجورة - المكان المثالي لإكمال تحسينها.

كانت مانهاتن السفلى تحمل ميزات عديدة بالنسبة إلى كارا، منطقة معتمدة بلا كاميرات مراقبة، بنية تحتية موجودة في هيئة

مختبرات بيولوجيا جزئية مهجورة يمكن لكارا تشغيلها، القرب من عدد كبير من المطارات الدولية، ومركز به أكبر كثافة سكانية في أمريكا، وهو ما يوفر غطاءً كافياً لقائمة العلماء المراقبين المسافرين إلى مدينة نيويورك كي يكونوا المتعرضين لآخر مراحل الاختبار والموزعين الفائزين، وبهذا يتجنبون أي شك من جانب الجي بي إيه.

فقط باستدعاء صورة قمر صناعي لنيويورك، عرفت بوجود ما يقرب من أحد عشر مبنى في مدينة الأشباح المتمثلة في مناهاتن السفلى. قبل غرقها، كانت مناهاتن السفلى موطنًا لأكثر من أربعمئة شركة من شركات علوم الحياة - أقل كثيرًا مما كان عليه الحال قبل صدور قانون الحماية الجينية. بعض هذه الشركات فقط كانت تملك مختبرات في مقارها، وبعض هذه المختبرات فقط ستكون مناسبة لاحتياجات كارا، وبعض هذه المختبرات المناسبة فقط ما زال سليماً ويمكن الوصول إليه.

يمكنني أن أقوم بالبحث كي أطلع بقائمة أهداف، ومع ذلك سيكون عددًا مرهقًا من المباني التي يجب مراجعتها، ولن يكون لدي الوقت أبدًا لتفتيشها كلها.

لكن لو كانت نظريتي صحيحة، لن أضطر إلى ذلك.

بعد تسعة وعشرين دقيقة من دخولي المكتب، خرجت من جديد. كانت نادين تجلس قبالة إدوين في الممر الصامت الطويل. قالت نادين: "كان هذا سريعًا..".

راقبني إدوين بانتباه، اتجهت إليه وقلت: "أنا بحاجة إلى فريق تدخل سريع بيولوجي، اثني عشر شخصًا، معدات وقاية تكتيكية كاملة من المواد الخطرة، طائرة من دون طيار للتصوير الحراري،

التجهيزات، سيحتاجون إلى عوامات، سأحتاج إلى زورقٍ جلدي لشخصين. بالنسبة إلى عتادي، أريد نظارات رؤية ليلية، درعًا حديدًا، ستة عبوات ناسفة للأبواب من مادة سي 4، كشاقًا، سكّين سبايديركو هاربي الفولاذي، أسطوانة هواء مضغوط، مسدس نصف آلي إف إن فايف-سيفين مع أربع خزانات من الطلقات المخترقة للدروع. آه، وشريطًا لاصقًا، دائمًا شريطًا لاصقًا" نظرت إلى نادين: "هل ستأتين معي؟ هجوم أخير وحيد؟ مثل الأيام الخوالي؟".

"إمم..." نظرت إلى إدوين، ثم إليّ: "طبعًا، متى سوف...".

- الآن، نحن بحاجة إلى إنهاء هذا الهجوم قبل الفجر.

"آسف.." قالها إدوين وهو يجاهد كي يقف على قدميه: "إلى أين سنذهب؟".

لم أتردد: "ميامي".

14

سرنا أنا ونادين عبر المساحات الملقَّبة في القاعة الكبرى، وقع أقدامنا يتردد صداه في السكون الشبيه بصمت الكنائس الذي ران على محطة يونيون في الساعة الثانية صباحًا.

توقفت عند كشك واشتريت تذكرتين إلى مدينة نيويورك، ودفعت مبلغًا إضافيًا للحصول على كبسولة خاصة.

قالت نادين: "اعتقدت...".

- لقد تأمر إدوين.

- كيف عرفت؟

- رأيت ذلك في وجهه.

- متأكد؟

- طبعًا.

دخلنا ممراً، تحت لافتة تقول ((إلى جميع القطارات المتجهة شمالاً)). قبل مرورنا من الأمن، كنّا رقم اثنين في الطابور.

مسحت تذاكرتنا عند البوابة، وأرشدني عامل الخدمة إلى كبسولتنا. صعدنا عبر الباب المفتوح إلى داخل مساحة ضيقة ذات مقعدين متقابلين، جلسنا في مواجهة أحدهما الآخر، وربطنا جسمينا بالأحزمة في نظام الأمان ذي المستويات الثلاثة.

قال صوتٌ أنثويٌّ مُعدَّل إلكترونيًّا: المغادرة إلى مدينة نيويورك في خلال ستين ثانية، زمن الوصول إلى الوجهة: تسع وعشرون دقيقة. من فضلكم أمّنوا كل الأمتعة الشخصية تحت مقاعدكم. نشكركم على ركوب خطوط فيرجين المنزلقة.

توهجت الكبسولة في الداخل بضوء أرجواني هادئ وشريط صوت مهديّ لنغمات موسيقية مركبة على خلفية من أمواج المحيط. بدأنا نتحرك.

كانت هناك شقوق نوافذ مصنوعة داخل أنبوب الهايرلوب في فواصل كل عشرة أمتار، لمحت البوابات أسفل محطة يونيون أربع مرات وبعد ذلك انغلق علينا النفق تحت المدينة.

تساءلت نادين: "إذن ما الخطة؟".

- سيكون علينا أن نفعل هذا وحدنا.

- أتعرف أين تكون كارا في نيويورك؟

تلاحقت أضواء النفق تحت الأرضي مازّة بسرعة أكبر وأكبر حتى لم تُعدّ إلا خطًّا متقطعًا من الضوء عبر الزجاج الذي المقوس لكبسولتنا. في السرعات الأبطأ، مثل الآن، كان التأثير مزغلاً للعين بطريقة مؤلمة، وهو يقدم لمحات مذبذبة للعالم الخارجي. لكن في سرعة الانطلاق القريبة من حاجز الصوت، تتدفق هذه الفتحات بسرعة شديدة

لدرجة أنها تصنع ما يشبه الزويتروب⁽¹⁾، يحرك العالم الخارجي بسلاسة ويخلق وهم أن الكبسولة تسافر تحت قطعة ثابتة من الزجاج. ضغطت على شاشة اللمس بين المقعدين واخترت أيقونة تعميم الزجاج حتى لا نرى الفتحات.

- مانهاتن السفلى.

شعرت برجة التسارع في الجاذبية بمقدار 0.5 ج، وشاهدت السرعة تتصاعد على شاشة اللمس:

300 ميل في الساعة.

325 ميلًا في الساعة.

350 ميلًا في الساعة.

375 ميلًا في الساعة.

أخرجت نادين هاتفها لأول مرة منذ غادرنا مركز الدستور، أخرجت هاتفها أيضًا، وأرسلت إلى إدوين الرسالة النصية التي كنت قد كتبتها في طريقنا إلى محطة يونيون.

بدت نادين محبطة فجأة.

سألتها: "هل كل شيء على ما يرام؟".

- ألدك إشارة؟

- نعم، أرسلت للتو رسالة نصية إلى إدوين.

- ماذا تقول؟

- أن يغلق هاتفك.

(1) أحد أجهزة الرسوم المتحركة السابقة للسينما ينتج وهم الحركة من خلال عرض سلسلة من الرسومات أو الصور الفوتوغرافية التي تظهر مراحل تقدمية من تلك الحركة.

اندفع وجهها نحوي بحدة مفاجئة.

شعرتُ بكبسولتنا ترتفع من النفق تحت الأرضي.

سألتها: "متى وصلت إليك؟".

كدت أشعر بجسدها يتوتر. للحظة طالت، كان الصوت الوحيد هو أمواج المحيط القادمة عبر مكبرات الصوت. بالنظر إلى معدل سرعتنا، كانت الرحلة هادئة بشكل خارق للطبيعة.

ظل وجه نادين متصلبًا، أو بالأحرى كانت تحاول يائسة أن يكون كذلك، لكنني لاحظت اضطرابها الداخلي. قطار أفكارها المهووس وهو يندفع عبر عقلها، متسائلًا ماذا كنت أعلمه علم اليقين وأين كنت في ظلمة الجهل.

لجزء من الثانية، فكرتُ في الكذب، وبعد ذلك رأيتُ أنها أدركت ألا جدوى من ذلك، مالت إلى الورا في مقعدها، وأطلقت تنهيدة هادئة.

قالت: "في الصيف الماضي. أخذت إجازة لبعض الوقت، وذهبت إلى تولوم في المكسيك، رأيت الأطلال. سبحت في برك المياه الجوفية، كنت وحدي. وذات يوم، كنت جالسة قرب المسبح عندما ظهر شخص لم يكن إلا أختك. في البداية، اعتقدت أنها مصادفة مجنونة، وتركتني هي أصدق ذلك. أخبرتني أنها تسافر أيضًا وحدها، دعتنني إلى العشاء، كانت قد نشأت بيننا بعض الكيمياء منذ تلك الليلة التي قضيناها في كوخها بمونتانا، وكانت ما زالت موجودة.. هذه الكيمياء، كانت ساحرة وذكىة بشكلٍ لعين.

لبثنا معًا لبضعة أيام، وخلال تمشية معًا في الأدغال، أخبرتني أخيرًا بحقيقة ما حدث لك، ظننتك ميتًا".

- ألم تكوني...

- مرتبكة، غاضبة، خائفة، أخبرتني أنها أخرجتك من موقع أسود تابع للجبي بي إيه، أخبرتني أن أمكما قامت بتحسينكما أنتما الاثنين، أخبرتني عن معركتك في نيو مكسيكو، وبعد ذلك قدمت عرضًا لِمَا أرادت أن تحققه، والأسباب، والطريقة.

- أقتعتك؟

- لم أستطع رفض منطقتها. عندما كنت أعمل في اليونسكو، كان عملي هو نشر التعليم البيئي، نحن في مشكلة، تلك الليلة، قدمت لي التحسين في غرفتي بالفندق، كيف عرفت؟

- من دون مستيك، ستكون مخاطرة ومضيعة للوقت واستحالة فعلية أن تجد جيشًا من الموزعين الفائقين الراغبين، وكانت كارا بحاجة إلى أن يكونوا راغبين. في ضوء الإجراءات الأمنية المفروضة، حتى كارا فائقة التحسين لا يمكنها أن تصل إلى مستيك وحدها.

كنت متأكدًا أن لديها أحدًا ما في الداخل، شخصًا يجتذب المرشحين إليها. لم أعرف إن كان هذا الشخص أنت أم إدوين، أم شخصًا آخر، شككت فيك؛ إدوين مؤمن حقيقي. لكنك تشعرين بنفس ما أشعر به حيال قانون الجين. وعندما كنّا في مونتانا معها تلك الليلة، تحدثت عن عملك في اليونسكو، تحدثت عنه بشغفٍ. و... كنتِ صديقتي، تعرفين زوجتي وابنتي. وعرفت كارا أنك ستغضبين ما إن تخبرك بما فعلته وكالة الحماية الجينية بي.

بعد ذلك كانت لغة جسدك غريبة الليلة عندما رأيتك لأول مرة، لذا أجريْتُ اختبارًا واحدًا آخر. عندما خرجتُ من ذلك المكتب وسألني إدوين أين سيحدث ذلك الهجوم، قلت ميامي، بدت عليه الدهشة، وبدأ عليك الارتياح.

مدّت نادين يدها نحو شاشة اللمس، وأزالت تعتيم الزجاج الذي.
حدقنا خارج النافذة الوهمية بينما كان ريف ماريلاند يمر منزلًا
بأنافة سريعة بمقدار 760 ميلًا في الساعة، وكل شيء لامع تحت القمر.
- مليار إنسان يا نادين. أي شخص سيصاب بفيروس التحسين
ويموت، سيكون هذا في عنقك، أشخاص تعرفينهم وتحبينهم
سيموتون.

قالت: "لو منعْتَ هذا، قد تكون مسؤولًا كذلك عن انقراض
الإنسان العاقل، سيكون هذا في عنقك".

- تأملي هذا، ذات مرة، كنّا أنا وكارا الإنسانين المحسّنين الوحيدين
على هذا الكوكب، وماذا فعلنا؟ حاول أحدهما على الفور أن
يقتل الآخر بسبب اختلافات في الرأي. تلقيتِ أنت التحسين
وقررتِ أن تساعد كارا في إطلاق فيروس سيؤدي إلى معاناة
وموت جماعيين. لا يبدو أن الذكاء في حد ذاته هو الحل، أشعر
بالذعر عندما أفكر في عالم لدينا فيه جميعًا نفس المشكلات،
وفقدنا مليار صديق، والكل يفكر أنه ذكي بما يكفي لأن يكون
معصومًا من الخطأ.

- إذن أنت تفضّل ألا يكون هناك عالم على الإطلاق؟

- تلك ثنائية خاطئة. نحن في مشكلة، لكن هذا لا يعني أن ذلك
هو الحل الوحيد، إن رفض شيء يتضمن قتل مليار إنسان
ليس مثل دفن رأس في الرمال بينما العالم يحترق.

- ماذا سيحدث الآن؟

"ستؤخذين إلى زنزانة في جراندي سنترال"، ضغطت شاشة اللمس،
وألقيت نظرة على لوحة رحلتنا، "خلال سبع عشرة دقيقة، ما
سيحدث بعد ذلك، يعود أمره إليك جزئيًا".

- لن أخبرك بمكانها، ربما تعرف المنطقة بشكلٍ عامٍّ لكنك لا تعرف المبنى، وهناك مبانٍ كثيرة في مانهاتن السفلى.

أضاء هاتفني - إدوين يرسل إليّ نتائج الاستعلام عن مباني مانهاتن السفلى الذي طلبت منه أن يضعه في مستيك. كانت قائمة بسبع وثلاثين شركة مرتبة بشكل تنبؤي كأماكن مرشحة لمختبر كارا، عدد أكبر مما يجب.

أرسلت إليه ردًّا:

قلّص هذه القائمة إلى الأبنية ذات الخمسمائة قدم أو أعلى.

ألقت نادين نظرة على حقيبة يدها، كان معدل نبضها يتسارع، صار بمقدوري أن أشمّ بداية تعرّق.

لم نواجه أي مشكلة حكومية في ما يتعلق بوجود أسلحة نارية في حوزتنا عند عبورنا من الأمن، لكن لو كانت تعرف أن هناك احتمالاً بعودتي، أتراها قامت باستعدادات مسبقة؟

كبسولة في فمها يمكنها أن تطحنها لتطلق بخارًا قاتلاً؟ وسيلة ما أخرى للتسميم موجودة في تلك الحقيبة؟

كانت تمّد يدها نحو المشبك المعدني الذي يفتحها.

تحرّرت من أحزمة الأمان الثلاثية، واندفعت عبر الكبسولة، وخطفت حقيبة يدها.

- ما هذا الخراء يا لوجان؟

- ماذا فيها؟

- أشياء نسائية، أعدها.

لسلامتك، من فضلك أعد ربط حزام مقعدك.

لويث المشبك المعدني، وفتحت الحقيبة، راقبتني نادين عن قرب.

عندما رأيت الشرائط السوداء والبرتقالية تظهر من الداخل، تولى دماغي الثلاثي القياد، ألقى الحقيبة إلى الناحية الأخرى من الكبسولة. اللعنة.

لقد أحضرت نادين سلاحًا.

السلاح الأخير.

مدت يدها نحو شاشة اللمس، وأطفأت الأضواء.

ميزت طنينًا قويًا بلغ تردده 6 كيلو هرتز.

قالت نادين: "أنا آسفة، أكره هذا، أنت صديقي، وكنت شريكي، لكن لا يمكنني السماح لك بالتدخل".

استطعت أن أرى شكلًا يحلّق بيننا الآن. كنت قد مررت بالخوف منذ تلقيت تحسين أمني، لكنني لم أشعر بما يقارب الذعر الذي شعرته وأنا أحرق إلى مجموعتين من الأعين -مجموعة مركبة، ومجموعة بسيطة- لزنبور آسيوي عملاق هائل الحجم حلّق على مبعدة ست بوصات من وجهي.

من فضلك اربط حزام مقعدك حالًا.

أرّ واحد آخر خلف أذني اليمنى. استطعت الشعور بالدوامات الناعمة الناشئة عن أجنحته القوية.

قالت نادين: "حصلت كارا على حمض النووي من مسكن أمكما في كولورادو، اخترقت هذه الزنابير، وبرمجتها على البحث عن بصمتك الجينية الفريدة باستهداف الفيرومونات في عرق إبطيك".

- وبم استبدلت سمهم؟

- سُم ثعبان التايان البرّي.

تذكرتُ برنامجًا عن الطبيعة شاهدته عندما كنت في الرابعة عشر. ثعبان التايان البري، وموطنه الأصلي أستراليا، يحمل أقوى سمّ في العالم، الجرعة التي تحملها عضه واحدة كافية لقتل مائة رجل ناضج. يضم سمومًا عصبية، وسمومًا تدمر كرات الدم الحمراء، وسمومًا فطرية، وسمومًا كلوية، وسمومًا مدمرة لخلايا وأوعية الدم.

كان صوت الزنبور عند أذني اليمنى يزداد علوًا.

والآخر يقترب أكثر بدوره.

لقد أحكما الحصار حولي.

بدت لواسعهما قادرة على أن تخترق الفولاذ.

فهمت خطة نادين - كانت خطة جيدة. ما إن يلسعني الزنبوران، ستجذب فرامل الطواريء، وتوقف الكبسولة تحت إحدى منصات الخروج، ستهرب عبر فتحة السقف، تاركة إياي هنا لأموت.

همُشتُ الخوف، مقسمًا وعيي إلى أربعة أقسام: الزنبور الأول، الزنبور الثاني، نادين، أضواء ضواحي فيلادلفيا التي كنّا نسرع نحوها.

كان الزنبوران يقتربان ليهاجما، وكنت أسرع إدراكي للوقت، مدرّغا كل شيء الآن.

السرعة: 589 ميلًا في الساعة.

زمن الوصول: 15 دقيقة.

ننطلق عبر مراعي، وثمرّة بيت ريفي قديم يتوهج من بعيد.

نادين بعينين متسعيتين تعاني ثمانية مشاعر متضاربة، لكن الخوف والشعور بالذنب هما الأبرز.

فكرت أني لا أملك شيئاً أضرب به هذين الزنبورين، ولو اخترقتني هذه اللواسع -واحد منها فقط، في أي مكان- فقد انتهيت. كان طولها نصف بوصة، وستخترق بسهولة ملابسني.

غدوت ساكناً جداً.

إذا لم تربط حزام مقعدك، ستدفع غرامة خمسمائة دولار وتُمنع من السفر مستقبلاً على هايرلوب فيرجين.

رفعت ذراعني ببطء، والزنبوران على مبعدة بوصتين من جلدي، ولواسعهما تتقوس نحو وجهي وعنقي.

شاهدت إبهامي وسبابتني ينغلقان بهدوء حول بطنيهما.

تلويهاً، وهما يطانان بجنون، ويمطآن جسديهما كي يطعنا يدي، وأطراف لواسعهما على مبعدة ميلليمترات من بشرتي.

شاهدت الصدمة تجتاح وجه نادين.

وبينما كانت يدها اليسرى ترتفع لتفك حزام كتفها، قضمت رأسي الزنبورين، ونفضت بأصابعي الجزء الأساسي من جسديهما عبر الكبسولة، وتنحيت عن الطريق بينما كانت نادين تلقي بنفسها عليّ.

ارتطمت بمقعدي وحاولت أن تعدل وضعها، لكنني كنت فوقها بالفعل، ويدي اليمنى تعتصر حلقها، وعيناها تجحطان، ويدها تخمشان وجهي.

قلت: "اهدي..".

ظَلَّت تقاتل.

- اهدي!

هدأت، خففتُ ضغطي حول عنقها لكنني لم أفلتها. أقيت نظرة نحو هاتفي، وأنا أدعو أن يكون إدوين قد أرسل إلي القائمة الجديدة، كان قد أرسلها. سبعة عشر متنافسًا.

"إيه جاي فاكسينز" تفحصت وجهها عن قرب أكبر مما تفحصت أي شيء في حياتي، "أليكسيون، بيوكريست، إنوجين".
تساءلت: "ماذا تفعل؟".

"إنجينكس".

أغلقت عينيها وأشاحت بوجهها عني، ملت نحوها أكثر، مثبتًا إياها في مقعدي. "افتحي عينيك يا نادين" لم تفتح. اعتصرتُ رقبتها، "انظري إلي!" نظرتُ إلي. تابعت تلاوة قائمة الشركات التي أرسلها إلي إدوين. "كورا هيلثكير" لا، "لايدن دلتا" لا، "ميرك، أوميجا، فونيكس لابز".

كانت الدموع تسيل على وجهها.

- ريدج فارما، ستيرلينج أندرز، تيفا فارماكوتيكالز، تور، أوندريل سوليوشنز، فيفور، زنتيفا.
- أعتقد أن عليك أن تقتلني.

جلستُ على حجرها، وقبضت على حلقها بيد، وعلى وجهها بالأخرى، ذلك الوجه الذي ضحكْتُ وبكيتُ معه. الوجه الذي واساني في آخر مرة رأيته فيها قبل أن تنقلب حياتي- عندما تداعيت أسي أمام نصب تذكاري لعبت أفعالي دورًا في بنائه.

"افتحي عينيك" قلت الأسماء بسرعة أكبر هذه المرة: "إيه جاي فاكسينز، أليكسيون، بيوكريست، إنوجين، إنجينكس، كورا هيلثكير، لايدن دلتا، ميرك، أوميجا، فونيكس لابز، ريدج، فارما، ستيرلينج أندرز، تيفا فارماكوتيكالز، تور، أوندريل سوليوشنز، فيفور، زنتيفا".

ومرة أخرى، أسرع...

"إيه جاي فاكسينز أليكسيونبيوكريستا نو جينا إنجينكسكورا هيلثكيرلايدندلتا
ميركا أوميجا".

توقفت.

حدقت نادين إلي.

مرتعدة.

- هي أوميجا.

لم تقل شيئاً.

أفلتُ حلقيها وارتميت عائداً إلى مقعدها، كنت واثقاً إلى حدٍ معقول
من أن مختبرات أوميجا استخرجت منها رد فعل؛ زاد نبضها المتسارع
5 نبضات في الدقيقة، وارتفع ضغط دمها الانقباضي، لكن النظرة في
وجهها الملطخ بالدموع وهي تتراجع منهارة في مقعدي وتحقق خارج
النافذة قالت كل شيء.

لقد فشلت.

أخرجتُ هاتفي وأرسلت إلى إدوين:

هي أوميجا، ابعث لي الرسومات الهندسية للمبنى بأكمله.

نظرتُ إلى نادين وقلت: "لو أكملتِ مساعدتك لكارا، لدمرك هذا".

- لعلك على حق.

تباطأت سرعتنا إلى 250 ميلاً في الساعة، ومن النافذة تمكنتُ من
رؤية خط أفق مدينة نيويورك -أو ما بقي منها- يتوهج في الليل.

15

كانت شرطة نيويورك في انتظارنا عند البوابة في محطة جراند سنترال، وبينما كانوا يضعون يدي نادين في الأصفاد، خرج إدوين من كبسولته، التي كانت خلفنا ببضع دقائق.

سار نحونا، وتفحص نادين من رأسها إلى قدميها بغضب هادئ قال أكثر مما كان يمكن لكلماته أن تقول. وبينما كنت أراقبهم يقودونها بعيدًا، خشيت مما سيحدث لها. أسيأخذها إدوين إلى موقع أسود لدراساتها مثلما فعل بي؟ يُخضعها إلى استجواب افتراضي؟ هي تستحق معاملة أفضل مما حدث معي. لم أستطع أن أصدق أن يكون هذا مآلها، لكن كان عليّ أن أنحي بعيدًا ذلك الأسى في الوقت الحالي. "سيادة المدير روجرز؟" التفتنا إلى الشرطية الشابة التي ظلت وراءنا، "مفترض بي أن أصطحبك إلى فريق التدخل السريع".

تبعناها إلى خارج نفق جراند سنترال، وصعدنا عبر البهو الرئيسي إلى جادة بارك، حيث تركت سيارتها الكروزر واقفة صف ثانٍ.

عندما انطلقنا جنوبًا، تفحصت الرسومات الهندسية التي أرسلها إليّ إدوين للمبنى 140 برودواي، ناطحة السحاب التي كانت تؤوي مختبرات أوميجا. كان أوميجا مختبرًا للمراحل التجريبية، يشغل الطابقين الثالث والثلاثين والرابع والثلاثين بأكملهما. كانوا يصنعون فيه لقاحات الأنفلونزا للتجارب السريرية، قبل الدفع بمنتج المرحلة النهائية إلى الإنتاج الضخم لتوزيعه في السوق. بالطبع، كان هذا كله قبل أن يغرق الفيضان مانهاتن السفلى.

قال إدوين: "ربما هذا خطأ..".

- ماذا؟ هذا الهجوم؟
- لا فكرة لديك عما ستدخل إليه، سيموت أشخاص. ربما يمكنني أن أجعل السلطات تقوم بهجوم بالطائرات دون طيار، تضرب المبنى قبل الفجر، تدكه تمامًا. مكتبة .. سُر من قرأ
- سمعت تقديرات بأن عشرة آلاف شخص يعيشون في مانهاتن السفلى.
- ستكون هناك بعض الأضرار الجانبية.
- ولن نعرف يقينًا أننا نلنا منها، أو من الفيروس الذي صنعته، أريد أن أراها بعيني.

كان 140 برودواي مبنى على الطراز العالمي من الزجاج والفلودا الأسود، اكتمل بناؤه الأولي منذ 101 عام. تصفحت بسرعة كل طابق من طوابقه الواحد وخمسين، مودعًا في الذاكرة تخطيطاتها المختلفة.

تهاديننا بجوار متنزه يونيون سكوير بارك، ثم سرنا في برودواي حتى انتهى عند تقاطعه مع شارع هاوستان، أحد الحدود الجنوبية

الجديدة لمانهاتن الصالحة للسكنى. لم تكن منطقة الفيضان تمثل خطأً مستقيمًا عبر الجزيرة، بل كانت هناك تباينات. غرقت منطقة سوهو كلها تحت الماء، لكن كانت هناك مناطق لم يغمرها المد العالي، مثل أجزاء من الحي الصيني.

عندما خرجنا من السيارة، اقتربنا من خط حواجز جيرسي والسياس المتصل من السلاسل الذي يمنع التحرك لمسافة أبعد إلى الجنوب. من بعيد، وراء الحاجز، كان بمقدوري رؤية المياه تتلاطم عند الشارع الذي توقف عنده المد.

خلفي، توهجت أضواء المدينة في ظلالها الأيقونية من الأبيض والذهبي. إلى الأمام مباشرة، كان الشيء الوحيد الظاهر للعيان شريطاً من سماء تضيئها النجوم، مختنقة بين الأبنية السوداء، كنت قد رأيت صوراً لمدينة الأشباح هذه ليلاً، لكنني لم آت قط إلى هنا.

ثمّة شيء مخيف في غابة القوالب السوداء عديمة الملامح التي صارت تشكّل الآن مانهاتن السفلى. بالطبع لم تكن مهجورة تماماً، استولى عليها المشردون منذ ثلاثة أعوام، أطلقوا عليها فينيسيا الجديدة. من بعيد، استطعت أن أرى مصادر إضاءة منبعثة من النوافذ المكسورة، نيران موقدة في مخيمات صعدت إلى الأدوار العلوية.

اقترب إدوين من ورائي: "يعرفون أن القيادة لك هنا".

- أتثق فيهم؟

- هم فقط قوات تدخل بيولوجي سريع تابعة لشرطة نيويورك، يفعلون ما يؤمرون".

صعدت فوق الحاجز الخرساني وانزلقت عبر فتحة في السياج.

هتف إدوين من ورائي: "إيه!" التفت إليه: "احترس لنفسك".

في منتصف الطريق إلى المربع السكني التالي الطويل، رأيت ظلالاً وأضواءً كشافات.

أعلنت عن وجودي وأنا أقترّب من مجالهم، ورؤيتي الليلية الأصلية تكشف التفاصيل باستخدام ضوء النجوم والمدينة المتاح. رأيت أربع عوَّامات ودسته ضباط تدخّل سريع يقومون بفحص أخير للأسلحة. أنهى شخصان يرتديان بدلات واقية للتمويه الليلي شحن المعدات داخل عوامة وسارا.

تبادلنا التعارف، كان قائد الفريق يُدعى بوب نوز، رجل ملتج قوي البنية بدا قادرًا على إلحاق بعض الأذى بمن يعترض طريقه. إلى جانبه وقف رجلٌ أشيب جذاب اسمه آرون براندز، كان مشغولًا بدفع بطارية ليثيوم داخل طائرة من دون طيار. نادى نوز الجميع: "فلنركز جميعًا!".

لم يكن أعضاء الفريق قد أسدلوا أغطية الرؤوس بعد، لذا تفحصتهم سريعًا، محاولًا أن تلتقي عيناي بعيني كل واحدٍ منهم، لأرى ما يمكنني قراءته في الضوء الكايب.

لم ألاحظ شيئًا يوحى بالخداع، رأيت إرهاقًا. وفي إحدى الحالات رأيت سُكرًا خفيفًا، حالتين من الاعتلال الاجتماعي، متعطشين للعنف. لكن قبل كل شيء، قرأت التردد والخوف، ولم يكن بمقدوري أن ألومهم. كلما زدت فهمًا للمبنى 140 برودواي، فهمت أكثر لماذا اختارته كارا؛ هناك بالأعلى في الطابقين 33 و34، كانت تملك وضعًا دفاعيًا مثاليًا، وضعًا سيجبرني على إتيان فعل مجنون.

"الهدف كارا رامزي" لم يسأل أحد إن كانت هذه أختي، شككت أنهم يعرفون من أكون فعلاً. "ستحصلون على رسم حديث لها، هي تعمل من 140 برودواي، بعد أربعة وعشرين مربعًا سكنيًا جنوب

موقعنا الحالي. يجب أن تكون الرسومات الهندسية قد وصلتكم قبل قليل".

تساءل نويز: "كم مقدار المقاومة التي تنتظرن؟".

- عدة حراس مدربين تدريب قوات خاصة، لكنهم ليسوا جنودًا عاديين، لديهم قدرات لم تروها من قبل.

- يعرفون أننا قادمون؟

- لا أعتقد هذا، لكنهم سيكونون مستعدين. أشك في أن المختبر في الطابق الثالث والثلاثين أو الرابع والثلاثين، من الواضح أنه لا سبيل للوصول بالمصعد. هناك أربعة سلام، اثنان منهم يوصلان إلى آخر المبنى. عندما نصل إلى هناك، سأسبقكم بعشرين دقيقة. اتخذوا مواضعكم خارج مداخل السلام في الطابق الأرضي وانتظروا إشارتي. أربعة سلام، أربع فرق. ستكون هناك كاميرات مراقبة تنشط بالحركة، لذا استخدموا أجهزةكم الشخصية للتشويش على الإشارة، أتوقع متاريس، نقاط عبور ضيقة.

قال نويز: "ميادين رماية..".

- أساسي، والآن تعرفون كل ما أعرفه، سنتوجه جنوبًا، ولتجعلوا نقطة التوقف المؤقت عند تقاطع فولتون لتحضير طائرة المراقبة من دون طيار والاتصالات الأخيرة، أي أسئلة؟

عندما عاد أفراد الفريق إلى عواماتهم، ناولني براندر عتادي. ارتديت الدرع الحديدي وربطت الأشرطة المغناطيسية، ثم علقت نظارة الرؤية الليلية في مقدمة يافتي وفتحت العلبة الصغيرة، وأخرجت منها السلاح الذي طلبته - مسدس إف إن فايف-سيفين بلجيكي الصنع قليل الارتداد وسعة خزانته عشرون طلقة. وضعت في

جيبى ثلاثة خزانات، وأدخلت الرابعة في المسدس، وألقت رصاصة في الماسورة.

أنهى أفراد فريق التدخل السريع رصّ معداتهم، ثم سحبوا عواماتهم إلى حافة الماء. تبعتهم، وأنا أجر الزورق الجلدي خلفي إلى أن طفا ثماني بوصات فوق الخطوط المنقطة البيضاء التي كانت تشير فيما مضى إلى حارة حافلات فقط.

ركبت الزورق، واستقر بي المقام في حفرة القيادة، ثم قبضت على المجداف ودفعته نفسي إلى الماء الأعماق.

الساعة الآن الثالثة صباحًا.

طفت العوامات الأربع أمامي بمسافة قصيرة، وأصوات المدينة خلفنا تتردد أصدائها في ممر الأبنية السوداء. السارينات والأبواق تدوي من بعيد كأنها تملأ العالم. والضجة المخمورة لمن يطلبون شرابًا أخيرًا تخرج متعثرة من الحانات، وكل هذا يخبو أكثر وأكثر.

بعد سبعة مربعات سكنية، صار كل ما كان بمقدوري أن أسمعته ضربات المجاديف وهي تغوص في الماء الأسود.

جدفنا إلى الجنوب من برودواي، والماء يزداد عمقًا. مررنا بالمتاجر الغارقة، دوين ريدرز، سيفورا، فوريفر 21، بلومينجديلز، ومصارف ومحلات بقالة غمرها الماء.

من وقتٍ إلى آخر، كنت ألمح ومضة من نور نار عبر نافذة مكسورة، وأشم اللسعة اللاذعة لدخان الحطب أو أيًا كان ما يُحرق طلبًا للدفع.

مررنا بمبنى البلدية وكنيسة سانت بول.

عاليًا من إحدى ناطحات السحاب، سمعت نغمات بعيدة لآلة كمان - شخص يعزف أغنية "الليلة" من فيلم (قصة الحي الغربي).

ترددت أصداؤها في الجادة المظلمة والغارقة، بين الظلال الثقيلة لما كانت فيما مضى أعظم مدينة في العالم. الليلة، الليلة، كل شيء بدأ الليلة، رأيتك وغاب العالم.

بعد ميلين تقريبًا من حيث بدأنا التجديف، ووراء تقاطع فولتون وبرودواي تمامًا، بدأت العوامات تنجرف إلى الجانب الأيسر من الشارع، متجمعة تحت اللافتات القديمة لمطعم (شيك شاك).

قضينا وقتًا طيبًا، ونحن الآن على مبعدة مربعين سكنيين فقط من 140 برودواي. أبطأت زورقي حتى توقف محاذيًا إحدى العوامات. رفع براندز طائرة من دون طيار من قاع عوامته، وأدارها، ثم فتح حاسوبًا محمولًا صغيرًا، ألقى بالطائرة في الهواء، ومراوحها تدور مبتعدة بها في الشارع.

بعد لحظة قال: "لديّ صورة"، راقبته من زورقي، كان منحنيًا فوق الحاسوب الصغير الذي اتصلت بجانبه عصا تحكم.

سألته: "أي شيء يستحق الذكر؟".

- ليس بعد. مجرد... غنيمة... طويلة سوداء.

- ماذا؟

- معلوماتك كانت صحيحة، يبدو أن أحدهم أقام ألواح أشعة تحت حمراء حول طابق كامل.

كانت ألواح الأشعة تحت الحمراء دفاعات مدمجة في المبنى ضد المراقبة بالتصوير الحراري، عادةً في شكل جدران تضيء المختبر كله، لتجعل من المستحيل تحديد مكان وعدد الأشخاص العاملين، كما جعلت من المستحيل استهداف الأشخاص في الداخل بالبنادق ذات المناظير الحرارية.

قام ببضع لفات أخرى حول المبنى، مستكشفًا البهو والسطح والمداخل الثانوية، قبل أن يقود الطائرة الصغيرة معيّدًا إياها إلينا. ناولني نوبز سماعة أذن وجهازًا لا سلكيًا. قال: "للتحويل إلى الاتصال، القناة الثانية".

لاح المبنى هيكلاً أسود على خلفية السماء المرصّعة بالنجوم عندما اقتربنا من تقاطع برودواي وشارع لايبيري. ارتدى أعضاء فريق التدخل السريع أغطية رؤوسهم، وانفصلت عوامتان من الأسطول الصغير، متوجهتين نحو لايبيري.

تبعثُ العوامتين الباقيتين، اللتين انسابتا بخفة عبر الساحة نحو مكعب إيسامو نوجوتشي، تلك المنحوتة التي كانت فيما مضى حمراء زاهية، تصدأ الآن وهي مغمورة تحت الماء بستة أقدام، كانت تحفة المدخل الرئيسي قبل أن تغرق المدينة.

تابعت التجديف إلى أن وصلت شارع سيدار، بين 140 برودواي ومبنى إيكواتيبل المكتبي. وبينما كنت أطفو في الظلام بين ناطحات السحاب السوداء، أتي صوت نوبز عبر سماعتي: "معك الفريق أ. نحن نقرب من مدخل البهو الرئيسي، نشغل أجهزة التشويش الشخصية على الإشارات. لوجان، أي سُلّم ستأخذه؟ حوّل".

قلت: "لا سلام، حوّل".

- "هل هناك طريقة أخرى للصعود؟ حوّل".

- لا، سأتسلق. حوّل.

ساد صمت قصير وبعد ذلك: "آسف، اعتقدت أنك قلت إنك ستتسلق. حوّل".

- ما سمعته صحيح. حوّل.

- تتسلق المبنى؟ حوّل.

- نعم. حوّل.

- الفريق ج يقترب من مدخل شارع ناساو. حوّل.

جدفت بزورقي إلى جانب المبنى ورفعت رأسي محدقًا في جدار أسود تمامًا.

"الفريق ب في موقعه عند السلم الجنوبي الغربي. حوّل."

فتحت حقيبة ظهري وأخرجت عبوة ناسفة للأبواب -قطعة محشوة بمادة سي فور شديدة الانفجار في حجم قالب حلوى بها جهاز لضبط الوقت وغطاء تفجير. دسستها في جيبتي، ثم فككت أربطة حذائي، وربطت الفرديتين معًا، وعلقتهما في حقيبة ظهري.

كنت أعرف أن السلام -خاصة المداخل والطوابق الأدنى- ستكون تحت المراقبة ولعلها مفخخة. في اللحظة التي يضع فيها أحدهم قدمه داخلها، ستعرف كارا. سيكون الوصول إليها سابقًا مجنونًا عبر جنبات مبنى مظلم أشبه بالمتاهة وكل أنواع المصائب القذرة تنتظر في الأركان. لكن لو استطعت الوصول إلى الداخل أولًا، والدخول من سلم عالٍ فوق الطوابق الأدنى، قد تكون لدي فرصة للوصول إليها من دون كشف.

"الفريق د في موقعه عند السلم الجنوبي الشرقي. حوّل."

ارتفع الماء إلى منتصف الطابق الأرضي. وقفت بحرص على الزورقي، الذي تآرجح تحت ثقل.

رفعت ذراعي، وقبضت على عارضة عمودية تفصل مقصورات النوافذ البارزة. كانت شريطًا عرضه ثلاث بوصات من الألمونيوم

الأسود الخشن، وهي العنصر الوحيد في البناء الخارجي الذي أمكنني الإمساك به فعليًا.

رفعت جسدي، قابضًا على العارضة العمودية بكلتي يديّ، وقدمائي الحافيتان متمركزتان على الزجاج البارد. مددتُ يدي اليسرى فوق اليمنى، وضغطت الدعامة، ثم اندفعت إلى المَقْبُض التالي.

بعد ثلاث حركات متطابقة، وصلت إلى أول مَقْبُض أفقي - حافة هزيلة عند قاعدة مقصورات نوافذ الطابق الثاني. لم تكن بالشيء الكثير، لكنني استطعت أن أغرس أصابعي في فجوة عرضها نصف بوصة، ومنحت عضلات عضدي ثلاثية الرؤوس استراحة.

"الفريق أ في موقعه عند السلم الشمالي الغربي. حوّل."

"الفريق ج في موقعه عند السلم الشمالي الشرقي. حوّل."

قال نوبز: "كل الفرق مستعدة. حوّل".

تابعت التسلق، يَدًا فوق يد، على قطعة المعدن العمودية. كنت أعرف أنني قوي، لكنني لم أكن قد اختبرت تحسيني إلى هذا الحد. في حياتي قبل ذلك، لم أكن لأنجح في تسلق طابق واحد من هذا المبنى، لكنني الليلة تسلفت الطوابق الثلاثة الأولى بسلاسة ومن دون جهد.

فقط عندما وصلت الطابق الخامس لاحظت أول رعشة إعياء عضلي في عضدي، كنت أعرف أنه سيكون بخير. كان الإجهاد الحقيقي يزداد في العضلة المقربة للإبهامي، والعضلات بين الأصابع، والعضلة المثنوية القصيرة للإبهامين... أي عضلات الأصابع واليدين المنخرطة في القبض والضغط.

جاء صوت نوبز عبر سماعة أذني: "لوجان، كيف يسير بنا الحال يا صاحبي؟ حوّل؟".

سمعت التوتر في صوتي وأنا أجيبه: "صعدت خمسة طوابق، أحتاج إلى التركيز الآن. انتهى".

ألقيت نظرة سريعة إلى أسفل، مقصيًا إلى ضوضاء الخلفية ذلك الجزء من وعيي الذي أراد أن يصرخ لمرأى المسافة الباعثة على التقيؤ بيني وبين الزورق الضئيل. رفعت ذراعي مرة أخرى، قابضًا على العارضة العمودية، ومشطًا قدمي الداخلان يزحفان على الزجاج بينما أصعد من الطابق السابع إلى الثامن.

كان العرق ينساب على ظهري وساقَيَّ ويقطر من كعبيّ. تشبّثت مرة أخرى بالحافة الفولاذية القاسية ذات النصف بوصة عرضًا، وعضلات سمانتي ترتعش. كانت مستويات الجلوكوز لديّ، التي تغذي عضلاتي، تنخفض بشكل خطير، دافعة إياي نحو التداعي بفعل نقص السكر في الدم. ورغم أن عضلات عضدي وصدري كانت مشتتة، فإنها لم تكن بالمشكلة الحقيقية، بل كانت أصابعي، كانت تقترب من نهاية قدرتها على إبقائي على هذا الجدار. ولم يكن الألم هو المشكلة، كان يمكنني أن أقصي هذا الألم، لكن في النهاية -بالألم أو من دونه- ستنهار عضلات وأوتار أصابعي ببساطة.

نظرت إلى أسفل.

ستكون سقطة من ارتفاع 37 مترًا إلى عمق ستة أقدام من الماء. كان وزني أربعة وثمانين كيلوجرامًا، سأسقط في 2.75 ثانية. ستكون السرعة عند التصادم 26.93 مترًا في الثانية، 96.95 كيلومترًا في الساعة. 30.458 جول من الطاقة عند التصادم؛ النجاة غير محتملة لكن ممكنة، رغم أن ستة أقدام من الماء ليست شيئًا. لن تمنعني من الارتطام بسرعة كبيرة بالرصيف الغارق.

ساقان مكسورتان بالتأكيد - وربما أغرق.

رفعت رأسي ناظرًا إلى واجهة المبنى، التي بدت كأنها تمتزج بسماء الليل، كنت أمل أن أصل إلى الطابق العاشر، لكن أصبح الأمر إما الآن وإما لن يحدث أبدًا.

مددت يدي في جيبي، وأنا متعلق بيد واحدة الآن بالمبنى، محاربًا موجة أخرى من التقلصات العضلية وأنا أخرج عبوة السي فور وأنتزع بحرص الغطاء اللاصق بأسناني.

بيد واحدة، ضبطت جهاز ضبط الوقت فوق غطاء التفجير على ثلاثين ثانية، كنت أود مزيدًا من الوقت كي أتسلق بعيدًا عن العبوة، لكنني حسبت أن ما تبقي في من قدرة على التشبث بالمبنى 140 برودواي يكفي لأقل من دقيقة.

شغلت عداد الوقت وألصقت العبوة بالنصف الأسفل من نافذة الطابق التاسع. حتى هذه اللحظة، كنت أمسك مخزوني من الأدرينالين، عارقًا أنني سأحتاج إليه في النهاية، والآن سمحت للخوف بالتسلل إليّ، قليل من الذعر الأعمى، ومعه ما أحتاج إليه من الأدرينالين كي لا أسقط.

نزلت أربعة عشر قدمًا إلى الطابق التالي، وأمسكت بقبضتيّ الاثنتين العارضة العمودية.

كاد الانفجار يطيح بي من المبنى، لكنني قاتلت كي أتشبث به، والزجاج ينهمر عليّ، وقبضتي تنفلت.

مددت ذراعي نحو المقبض التالي، ضاغطًا بكل ما في كياني، ضاغطًا بقوة شديد حتى إني خشيت أن أكسر أصابعي، وظلمت أتسلق، والعرق يجري سائلًا على وجهي، لاسعًا عينيّ، واستطعت أن أرى الثقب المفتوح الذي فجرته العبوة في جانب المبنى. كانت قد لوت بعض المعدن في الأشكال الأفقية التي كانت تدعوني إلى التشبث بها، ولم أثق بها.

ظللت على العارضة العمودية السليمة إلى أن صارت فتحة الطابق التاسع في المتناول. اعتماداً على يدي اليسرى التي ضغطت بأقوى ما لديّ، قذفت نفسي إلى الطابق التاسع، والزجاج يحزّ في ساعدي الأيمن وأنا أتشبّث بالحافة، وقدماي تتدليان في الفراغ المفتوح.

كنت ساقع.

دفعْتُ ذراعي اليسرى داخل الغرفة، باحثاً عن شيء، أي شيء، وتشبّثت بما بدا أشبه بساق مكتب.

كان أول مَقْبُض حقيقي منذ غادرت الزورق، ورفعت نفسي فوق الحافة وتدحرجت داخل غرفة مظلمة.

للحظة، رقدت ألّهت على الأرضية - ساقاي وذراعاي ويديا كلها ترتعد من الإرهاق والإجهاد. بعد ثلاثين ثانية، اعتدلت في جلستي وفحصت الأضرار التي لحقت بذراعي، برزت ثماني شظايا زجاجية من عضلة عضدي الأيمن - اثنتان منهم انغرستا بعمق في عضلة الساعد. مددت يدي داخل حقيبة ظهري، وأخرجت لفة من الشريط اللاصق. اقتطعت قطعة طويلة، ألصقتها بالمكتب، وبدأت أنزع الزجاج، سال الدم على ذراعي. لاح الألم منذراً، فأقصيته بعيداً. وعندما أخرجت الشظية الأخيرة الأعمق، ضغطت الجروح معاً بحرص ولففت ساعدي كله بالشريط اللاصق على أمل أن يللمم الوضع إلى أن أمكّن من خياطة جروحي بشكل صحيح.

ارتديت جوربي وحذايي من جديد، متسائلاً إن كان أحد من الطوابق الأعلى مني قد سمع صوت الانفجار.

كنت جالساً فيما بدت أنها مكتبة، محاطاً برفوف مليئة بالمجلدات القانونية. نهضت واقفاً، ووضعت حقيبتني على كتفي، ودرت حول مائدة اجتماعات متربة متجهاً إلى داخل رواق.

ارتديت نظارة الرؤية الليلية. أمامي مباشرة قام مكتب استقبال،
مررت بصف المصاعد المعطلة إلى الجانب الشمالي من المبنى.
كنت في الطابق التاسع، وكان المختبر فوقى بخمسة وعشرين طابقاً،
وكان لدي أربع مجموعات من السلام كي أختار منها.
انعطفت يساراً، واتجهت إلى السلم الشمالي الغربي.
انقضت سبع عشرة دقيقة وتسع وعشرون ثانية منذ بدأت
صعودي، جذبت مسدسي عندما اقتربت من باب السلم.
فتحته ببطء.

ظلام تام.

دون ضوء محيط تعمل به، كانت نظارة رؤيتي الليلية بلا فائدة.
اتجهت إلى أقرب مكتب، وعندما تناولت دباسة أوراق من المكتب، أُرْ
هاتفني في جيبى، أخرجته - إدوين يتصل.
قلت: "أهلاً..".

"أين أنت؟" ثمة خطب ما.

- لماذا؟

- هل أنت في المبنى؟

- نعم.

- هناك فريق ثان في الطريق.

- لماذا؟

- سيهبطون على السطح...

- لا، لا يمكنك أن تسمح بهذا...

"أبلغتُ فقط..." وخفض صوته. "... لم تعد هذه العملية عمليتي".

- كيف يمكن هذا؟

"الفترة التي قضيتها في فيرجينيا..." كان يعني الفترة التي حبسني فيها داخل قفص زجاجي. "كان هناك مقطع فيديو، اكتشفه الناس، أناس أعلى بكثير من درجتي الوظيفية والمالية. ظننت أننا لو تحركنا بسرعة في هذا الأمر، يمكننا أن نبقى بعيدًا عن الرادار، لكن من الواضح أنني أسأت حساباتي، كانوا يراقبونني، ولم تكن لدي فكرة".

لا بد أنها وزارة الدفاع، هل كانوا يبحثون عني أنا وكارا طوال هذا الوقت؟ إن التطبيقات العسكرية للبشر المحسنين كانت دائمًا من أحلام وكالة مشاريع البحوث المتطورة الدفاعية، التي هي بشكل ما أحلام مرعبة أكثر من خطة كارا، على الأقل أتت دوافعها من منطلق الرغبة في مساعدة نوعنا، أرادت أن تحسّن الجميع، ولديّ حدس بأن حكومتنا لن تتخذ هذا المسلك المتكافئ.

- هم على وشك الدخول بعنف.

"من؟" لم يجب إدوين. "إدوين، قل لي من سيواجهني".

"قوة جي تي إف السوداء" اللعنة! إنها وحدة قوة المهام المشتركة الداخلية المكونة من ضباط سابقين في فرق دلتا، وفريق ستة من القوات الخاصة البحرية، والعمليات الخاصة بالجيش، وغزة البحرية، وضباط إنفاذ القانون الفيدراليين من مجموعات مثل فريق إنقاذ الرهائن بمكتب التحقيقات الفيدرالي، باختصار هم نخبة النخبة.

سألته: "استخلاص هدف عالي القيمة؟".

- أعتقد من الأمن افتراض أنهم يريدونكما أحياء، أنتما الاثنان، وما صنعه كارا أيًا كان. أريدك أن تعرف يا لوجان، أنا لم أبعك، لم تكن لدي فكرة...

- كم العدد؟

- هم عادة يتحركون في فرق من ثمانية أفراد.

- وماذا عن فريق التدخل السريع؟ بدوا بخير عندما..

- لم يعودوا يعملون تحت إمرتك. أنا أسف. قوة جي تي إف السوداء على مبعدة ست دقائق، لذا أيا ما كنت تخطط له، افعله بسرعة واخرج من هناك.

انقطع الخط.

بعد خمس ثوان، أتي صوت آخر عبر سماعتي.

"لوجان، معك نويز. هل دخلت؟ ما هو موقفك؟ حوّل".

استطعت أن أميز الخداع في صوته، كان في صوته شيء يشبه السم في العسل، انتزعت سماعة أذني وألقيت بها مع جهاز اللا سلكي من وراء كتفي.

فتحت الباب المؤدي إلى السلم، ووضعت الدباسة عند عضادة الباب. عندما أضأت الكشاف وسلطته على مجموعة السلام التالية، سمعت وقع أقدام وصوت نويز يتصاعد من تحتي بستة طوابق.

"أعتقد أنه كشفنا، كما أننا اصطدمننا للتو بـ.." فالتنني بعض الكلمات "... الطابقين الثالث والرابع، سنهبط لنجرب طريقا آخر".

عندما بدأوا يتحركون من جديد، أضأت الكشاف وانطلقت صاعداً السلام، محاولاً أن أمنع تردد صدى وقع أقدامي داخل عمود الخرسانة.

عندما عبرت بسطة الطابق الرابع عشر، اهتز المبنى، سمعت صوتاً يشبه رعداً بعيداً، وطففت ذرات الغبار في شعاع الضوء. ألقيت نظرة إلى أسفل، لم أرَ ناراً ولا سمعت أي صرخات. أياً كان ما انفجر فقد حدث في سُلّم آخر، وإذا لم تكن كارا قد علمت بوجودنا قبل ثانيتين، فقد علمت الآن.

طرت صاعدًا السلام.

.17

.18

.19

.20

أربع دقائق وتهبط قوة جي تي إف السوداء على السطح، لن يهتم
كم يحملون من عتادٍ، لن تكون أمامهم أي فرصة أمام رفاق كارا من
القوات الخاصة المحسّنة. الأسوأ من هذا، أن كل هذه الفوضى القادمة
لن تساعد إلا على إبطائي وتوفير غطاء لهروب كارا.

.24

.25

.26

شممت رائحة غريبة في الهواء - أكان هذا قطران؟

.27

لمع شيء في الضوء أعلاي. أبطأت حركتي إلى هرولة، وتوقفت أخيرًا
عند البسطة بين الطابقين الثامن والعشرين والتاسع والعشرين.
كانت الرائحة أقوى هنا.

لفات من الأسلاك الشائكة امتدت من درابزين إلى درابزين ومن
الأرض إلى السقف، مثل زينة للكريسماس في الجحيم، والتمعت أمواس
في الظلام. مما استطعت رؤيته، كانت تمتد صاعدة مجموعة كاملة
من السلام.

عرفت ما كنت أشمه، مادة سي فور شديدة الانفجار المعبأة داخل الغلاف الأخضر الزيتي للغم للأفراد، على مبعدة ستة أقدام فقط من مكان وقوفي، على البسطة، لغم يجثم على حامل وأسلاكه تمتد تحت الباب المؤدي إلى الطابق التاسع والعشرين. في مواجهتي الجسم الأساسي للغم الذي يجري التحكم فيه عن بُعد. كان يضم ما يقرب من 1.5 رطل من مادة سي فور و700 كرية فولاذية. بعرض واجهته، استطعت أن أقرأ تلك الكلمات: مُوجَّه نحو العدو.

استدرت وجريت، هبطت قافراً إلى البسطة التالية وتابعت نزولي عدواً إلى أن وصلت باب الطابق السادس والعشرين.
موصد.

أخرجت عبوة أخرى ناسفة للأبواب من حقيبتني، وألصقت العبوة قرب المقبض، وضبطت عدّاد الوقت على عشرين ثانية، وجريت هابطاً إلى الطابق الرابع والعشرين.

بعد الانفجار القابض للصدر، عدت إلى الطابق السادس والعشرين. كان الباب قد أطيح به لمسافة خمسة عشر قدماً داخل الطابق التالي. خطوط عبر الحطام، وعيناى تدمعان من رائحة السي فور الثقيلة المكونة من القطران وزيت المحركات.

كان بمقدوري هنا الرؤية من دون كشّاف. كان الطابق في أغلبه مساحة مقسمة إلى مقصورات، به بضعة مكاتب وغرف اجتماعات على طول الجدران الخارجية. أسرعت إلى السلم الشمالي الشرقي، وفتحت الباب. أضاء الكشاف عبر طبقة كثيفة من الدخان، وكانت هناك رائحة أخرى في الهواء: الرائحة الحلوة المثيرة للغثيان للحم متفحم.

أعلاي بأربعة طوابق، رأيت التماع المزيد من الأسلاك الشائكة.

عدت جريًا عبر صفٍّ من المقصورات.

لم يكن هناك دخان في السلم الجنوبي الشرقي، لكنني سمعت أصواتًا بعيدة بالأسفل ورأيت المزيد من الأسلاك تسد السلم أعلاي بعدة طوابق.

عندما جريت نحو السلم الأخير، تعجبت من تخطيط كارا. لقد شيدت حاجزًا مهلئًا بينها وبين أي خطر، لكن كي تخرج من هذا المبنى، سيتوجب عليها أن تشق طريقها نزولًا على هذه السلم، وتقاتل المهاجمين على طول الطريق. ولا شك أن وزارة الدفاع -أو أيًا كان من أرسلوه لمطاردتنا- سيكون لديها تعزيزات تحرس المداخل أيضًا. على الأقل، سيكون هناك قناصة من فرق التدخل السريع رابضين يراقبون.

حتى لو مضت كل الأمور بخير معي، سأواجه نفس المشكلة.

أراهن أن كارا لديها سبيل للهروب تخفيه في جعبتها، فتحة مصعد؟ سُلّم سري ما لم يكن موجودًا في الرسومات الهندسية؟ إذا لم يكن لديها -أو إذا لم أستطع تصويره في الوقت المناسب- ستكون هذه مهمة انتحارية.

دقيقتان -لو كان ما أخبرني به إدوين هي الحقيقة- قبل وصول قوة الجي تي إف السوداء.

خطوت إلى السلم الجنوبي الشرقي.

لا دخان. لا ضوضاء. لا أسلاك أعلاي مباشرة.

طرت فوق السلم، شاقًا طريقي عبر الطابق 28.

29

30

انفجرت طلقات نارية في مكان ما من المبنى، ضجة إطلاق نار من بندقية آلية، ثم انفجار آخر، لا أعلاي ولا أسفلي، بل في موضعي حرفيًا.

تابعت الصعود.

عبر الطابق 31.

32.

أنا على مبعدة طابقين فقط، وكنت أفتش بدقة، لكنني لم أرَ خطرًا - لا أثر لأسلاك أو متفجرات.

تسرب الضوء من حول شقوق الباب المؤدي إلى الطابق 34. أكان مجهراً للانفجار؟ ضغطت وجهي على حواف الباب واستنشقتَه - لا أثر لتلك الرائحة لزيت المحركات.

ستهبط فرقة الجي تي إف السوداء خلال دقيقة.

أمسكت مقبض الباب، وحاولت أن أديره.

موصد، وستكشف عبوة نفس الأبواب وجودي.

لكن هذا السلم هو سُلم الحريق، يمكن أن تكون الأبواب موصدة من الخارج، لكن من الداخل لا بد أن تكون سهلة الفتح في حالة حدوث أي طارئ. عادةً، كان هذا يتحقق بواسطة مستشعر ريكس (طلب الخروج) على الجهة الداخلية من الباب، الذي يستخدم الأشعة تحت الحمراء السلبية لكشف التغيرات في درجة الحرارة بالقرب من الباب. إذا كشف المستشعر تغيراً في درجة الحرارة - بسبب اقتراب شخص ما - ينقل رسالة لفتح قفل الباب.

كلمة السر إذن هي التغير في درجة الحرارة، وليس بالضرورة زيادتها.

نبشت في حقيبتني، وعثرت على أسطوانة الهواء المضغوط. مزّقت غلافها، وأدخلت الشفاطة في الفوهة، ونزلت على الأرضية، آملاً أن يكون هناك فراغٌ كافٍ بين أسفل الباب والعتبة لتمرير الشفاطة عبره. وجدت كسرة صغيرة في العتبة، اتسعت لمروور الشفاطة، وأمسكت بالعلبة مقلوبة. لو رششتها معتدلة، لن ينطلق إلا بخار الفلوروكربون في أعلاها. لكن عند قلبها، يُجبر السائل على الخروج. وهذا السائل، تحت الضغط الكبير، يتبخّر بسرعة وينتشر ليصبح غازاً في درجة حرارة الغرفة.

والأمل أن تبرّد العملية الديناميكية الحرارية للتبريد ثابت الحرارة تلك المنطقة المباشرة على الجهة الأخرى من الباب و-إذا كنت محقّقاً في كل هذا- تخدع المستشعر كي يعتقد أن شخصاً ما يقترب من الجهة الأخرى.

ضغطت الزر، واستمعت لصوت السائل وهو يفتح خارجاً في الناحية الأخرى، والعلبة تبرّد في يدي.

خلعت نظارة رؤيتي الليلية، ومددت يدي، وأمسكت بمقبض الباب. دار هذه المرة.

خطر لي أنه ربما يكون هناك أيضاً مستشعر ثانوي في الباب نفسه، بحيث إنه لو فُتح ينقطع الخط بينه وبين مستشعره الآخر على جدار مواجهه ويطلق إنذاراً - شيء في بساطة رسالة هاتفية لكارا وفريقها الأمني.

لا شيء يمكنني أن أفعله حيال ذلك، لا وقت لديّ.

عندما فتحت الباب ببطء، سمعت إطلاق نار من بندقية آلية في مكان مرتفع بالأعلى، تبعته تلك الضجة المكتومة المتواترة لرشاش آلي. وبعد ذلك صوت انفجار مزلز.

اندفعت إلى الضوء، رافعًا مسدسي، ومصابيح الفلورسنت تتوهج عبر ممر أبيض، وشيء ما يجذب انتباهي إلى اليسار...

التفت في الوقت المناسب تمامًا لأرى مروحية بلاك هوك محترقة تسقط أمام جدار من النوافذ، ومراوحها ما زالت تدور، قاطعة واجهة المبنى في طوفان من الزجاج المتفجر والمعدن المشقوق، والطيرون يصرخون في مقصورة القيادة - ثم اختفت.

بعد 3.8 ثانية، هز انفجار المبنى بينما المروحية تنهشم في شارع سידار.

وانطلقت مهرولًا في الممر مازًا بحجرات مليئة بالأسرة النقالة والمعدات الطبية، متسائلًا إن كان هذا هو المكان الذي أعطت فيه كارا لمجموعتها التجريبية الفيروسية تحسينها التجريبي لأول مرة.

على الناحية الأخرى من المصاعد، رأيت مفاعلاً حيويًا من الفولاذ الذي لا يصدأ.

أعمدة زجاجية.

أجهزة طرد مركزي.

تسللت داخل مختبر ممتد شغل النصف الشرقي من الطابق الرابع والثلاثين، غير قادر على الفكك من فكرة أن كارا قد رحلت بالفعل.

بامتداد الحائط البعيد كله، كانت الرفوف الحاملة للخوادم تطن بهدوء. خلف باب معدني، استطعت أن أسمع الطنين المكتوم الأعلى للمولدات التي تمم المختبر بالطاقة.

مررت بجوار ثلاجة درجة حرارتها -80 درجة مئوية، ثم مجمدين بمعدل خاضع للسيطرة.

من خلال رائحة المذييات القوية، التقطت رائحة مألوفة - نفس رائحة الشامبو الذي كانت كارا تستخدمه في بيت أمنا في كولورادو.

سمعت شيئاً وراء المنعطف التالي: طقطقة معدنية ناعمة، من حقيبتني أخرجت عبوة أخرى ناسفة للأبواب وضبطت عداد الوقت على ثلاث ثوان.

استرقت النظر من وراء الزاوية.

كانت كارا تقف أمام خزانة أمان للاختبارات الحيوية الدقيقة، وظهرها لي، وهي تعبئ بجنون ما بدا أنها محاقن ذاتية في حقيبة ظهر صغيرة. إلى جوارها كانت مادلين أورتيجا، تمسك رشاشاً خارقاً للدروع يستدير في اتجاهي بالفعل، التقت أعيننا، وومضت عيناها بالدهشة.

لكن كانت لها الأسبقية.

لم أتمكن من رؤيتها قبل...

اندفعت عائداً وراء الزاوية بينما الرصاصات المخترقة للدروع عيار 30×4.6 ملم تمزق الجدار بمعدل 950 طلقة في الدقيقة. كانت لغة جسد مادلين تدل على أنها ستأتي ورائي، لذا شغلت عداد عبوة نسف الأبواب، وألقيتها وأنا أجري.

ثلاثة.

اثنان.

عندما اقتربت من المصاعد، ألقيت نظرة ورائي.

واحد.

رأيت مادلين تستدير عند الزاوية، وترفع رشاشها.

ثم اختفت في انفجار ساطع مدوّ، والتفتُ إلى صف المصاعد بينما كانت كارا تنطلق كالسهم عبر الممر إلى جهة الشمال.
إلى أين هي ذاهبة؟

لا يمكن للسلم الشمالي الشرقي أن يوصلها إلى الطابق الأرضي. ولا يستطيع ذلك السلم الجنوبي الغربي أو الشمالي الغربي. كلهم بهم حواجز بين الطابقين الثلاثين والثاني والثلاثين. سيتوجب عليها أن تأخذ السلم الجنوبي الشرقي إلى الطابق السادس والعشرين، ثم تقطعه إلى السلم الشمالي الغربي، وتهبط إلى الطابق السادس، ثم تقطعه إلى السلم الجنوبي الغربي، الذي كان السلم الوحيد بلا أسلاك ولا ألغام في أول ستة طوابق.

إذا كانت متوجهة إلى أسفل، سأحتاج إلى انتظارها في السلم الجنوبي الشرقي، الذي سيتوجب عليها أن تمر منه، لكن لم يبدو هذا صحيحًا. حتى لو تجاوزتني، سيكون من السهل للغاية على القوات أن تحيط بمخارج المبنى الأربعة في الطابق الأرضي.

لكنها لو صعدت إلى أعلى، ستضع نفسها في المصيدة فقط ... أليس كذلك؟

لا. اللعنة، طبعًا. كانت تتوجه إلى أعلى، كل شيء يبدو منطقيًا الآن. عرفت إلى أين هي ذاهبة، وما كانت تحاول أن تفعله، ولم يكن لدي وقت طويل لمنعها.

استدرت، واندفعت عائداً عبر الممر نحو الزاوية الجنوبية الغربية من المبنى، قافراً فوق ما تبقى من مادلين أورتيجا.

على مبعدة عشر ثوان من السلم، انفجر الباب.

ميزت نويز وبراندز عبر واقبي وجهيهما، كانا واقفين في المدخل، وكنت أستوعب كل شيء في نفس اللحظة:

عينا نويز تتسعان في الدخان المنقشع.

براندز يرفع بندقيته الهجومية.

دماء مادلين تسيل على الجدران.

كل شيء تتباطأ سرعته.

كان يمكنني أن أريهما أرضًا في أقل من ثانية، لكنني لم أرغب في قتلهما؛ هذان شرطيان أوقظا من سريريهما في منتصف الليل، ولا فكرة لديهما عمًا تورطاً فيه.

كنت ما زلت أجري نحوهما، وقد مرت نصف ثانية منذ فجّرا الباب وخلعاه من مفاصله، وتخطيط الطابق الرابع والثلاثين يتوهج في بؤرة عين عقلي - أمامي مباشرة، يجب أن يكون هناك رواق يقطع الطابق.

أسند براندز بندقيته إلى كتفه بإحكام، وصوّب -مترددًا- نحو ساقّي، وجذب نويز مسدس إكس 30 من خاصرته، سلاح عسكري بذخيرة غير فتاكة يطلق رصاصات شبيهة بالصواعق الكهربائية.

انحرفت يسارًا -في أقل مراوغة ممكنة- ورأيت براندز ونويز يستجيبان بصورة مبالغ، وميض الفوهة انفجر من البندقية الهجومية في ورده من نار، والطلقات تخدش الجدار، وعندما دفع الارتداد كلا الرجلين ليخل بتوازنهما قليلًا، اندفعت يمينًا في الرواق الآخر. ضيق.

مصابيح الفلورسنت ترتعش.

أربعة مداخل إلى اليسار، أربعة إلى اليمين.

أول بابين يفتحان على مكتب وخزانة تخزين، بالترتيب، والثالث حجرة استراحة، غطست داخلها.

منضدتان دائريتان، مطبخ صغير، مُبرّد مياه، رائحة قهوة قديمة محروقة وشيء يتعفن في صفيحة قمامة.

وقفت عند العتبة تمامًا. ووقع أقدامهما يقترب.

انفتح باب وانغلق.

ثم باب آخر.

نويز يقول: "وجدنا لوجان في الطابق الرابع والثلاثين، اصعدوا إلى هنا إذا استطعتم، نحن مشتبهون".

بدلتاهما الواقيتيان تخبخشان.

اقتربا الآن.

قال براندز: "غَطِ هذا الباب، سأفتحه.." ومن الأسلوب الذي حمله صوته، استطعت تمييز أنهما يهاجمان حجرة في الجهة المقابلة من الرواق، ما يعني أن ظهريهما الآن سيكونان في مواجهتي.

اندفعتُ خارجًا من حجرة الاستراحة.

وانقسم وعيي...

أخذتهما على حين غرة، التفت نويز نحوي بإيقاعٍ زاحفٍ، وأنا أسرع نحوه، مَادًا يدي -ليس نحو السلاح- وإنما نحو إصبع نويز على الزناد، لأكسره بينما كان هو يصوب نحوي، وبراندز متخلف عنّا بدهور - استطعت أن أرى الرعب البازغ ببطء في عينيه عندما أدرك أنه خُدع خدعة بذئنة. صرخ نويز بينما كنت أخطف منه الإكس 30، وأنحني لأراوغ لكمة ساحقة، وأطلق النار على ساقه من مسافة شديدة القرب لأتجنّب أي درع للجسد. وإذ ينحني أُمًّا ويتعثّر ساقطًا، أتجنّب بخفة طلقة براندز الطائشة وأطلق النار على ساقه أيضًا. التوى الرجلان بعنفٍ على الأرض، والطلقات المكهربة تقطع التيار عن نظام جسميهما. أنتزع قيودًا بلاستيكية لاصقة من حقيبة خصر نويز،

وبسرعة أقيد رسغي وكاحلي كل واحد منهما، أملًا أن يكون ما زال
لدي وقت كي أوقف كارا.

كان السلم الجنوبي الغربي مضيقًا بالدخان.
أضأت الكشاف وأسرعت صاعدًا الدرجات.

عندما وصلت البسطة بين الطابقين السادس والثلاثين والسابع
والثلاثين انفتح بقوة الباب المؤدي إلى الطابق الثامن والثلاثين، أي
أعلى مني بطابق ونصف. أخفيت كشافي، ولمحت ضوء كشاف آخر
يمسح الجدران بخطوطه، وسمعت طقطقة وقع خطوات أختي في
سرعة البرق تندفع نحو السماء.

تبعته بحرص.

سمعت بابًا ينفتح مصدرًا صريرًا.

واختفى ضوءها.

شعرت بالثقة بأنها غادرت السلم في الطابق الأربعين، وعندما
وصلته، فتحت الباب بهدوء وانزلت عبره، بالضبط في الوقت الذي
انغلق فيه باب السلم الشمالي الغربي بصوت مجلجل.
جريت عبر الطابق الأربعين.

تعرفت مرة أخرى، ومررت بمكاتب مهجورة، وحجرة نسخ أوراق،
ودورات مياه، إلى أن وصلت باب السلم الشمالي الغربي.

جذبه لأفتحه على صوت وقع أقدام تصعد أعلاي. أضأت
الجدران ومضأت متقطعة من كشاف أختي، لكنني لم أطاردها هذه
المرة، أنصت فقط وأنا أحسب الطوابق بينما هي مستمرة في الصعود.

42

صغتُ صورة لتقدمها في صعود الدرجات بناء على سرعة وقع أقدامها.

سمعت بابًا ينغلق ويوصد بقفلٍ؛ لقد غادرت السلم في الطابق الرابع والأربعين، وعرفتُ أنها لن تصعد أكثر من هذا، لم تكن بحاجة إلى هذا.

جريت بطول المبنى كله، عائداً إلى السلم الشمالي الشرقي، وبينما كنت أصعد نحو الطابق الرابع والأربعين، سمعت وقع أقدام حذاء ثقيل على الدرجات أعلاي وصوتين مختلفين يحملهما الهواء إلى أسفل. هل نجح بعض أعضاء قوة الجي تي إف السوداء في الخروج من المروحية؟ لأن هذا كان شيئاً يمكن التعامل معه. لكن لو كان هذان من رجال كارا...

أرهفت أذناي لسماع الصوتين.

أحدهما يقول: "... آمناً، سنراك هناك، نعم، سنكون بخير".

عرفت ذلك الصوت، وافق الصوت الذي سمعته في أثناء تصفح وسائل التواصل الاجتماعي الليلة - فيديو لديشوان براون قبل عام في حفل عيد ميلاد ابنته الأصغر، وهو ما يجعل الشخص الآخر رودني فيانا، الشرطي السعيد في زواجه القادم من أوهايو، كلاهما من القوات الخاصة بعد التحسين.

كنت أحاول أن أفكر كيف سأتخلص منهما. كانت الفرص أكثر من متكافئة، لكن ليس كثيراً، في جميع الاحتمالات، سأقتل واحداً منهما وسيقتلاني، فتدريبهما الأصلي يمنحهما ميزة هائلة.

لذا لن أحاول التخلص منهما.

أطفأت كشافي، وأنا في حاجة إلى تسريع كل شيء الآن أكثر من أي وقت مضى.

وقع الأحذية الثقيلة، إيقاعان مختلفان، الرجل الأخف وزناً والأقصر قامة في المقدمة.

رائحتهما تسبقهما: ملح وأضعف آثار عطر ما -أولد سبايس؟- والرائحة النفاذة للنتروجلسرين نتيجة إطلاق نار منذ قليل.

أشعة كشافيهما ترسم خطوطاً على الجدران.

وقفت على البسطة تحت الطابق الثالث والأربعين تماماً، واستطعت أن أرى المساحة كاملة في عين عقلي،

كانا على مبعدة خمس عشرة ثانية.

في السواد الدامس، صعدت الدرجات إلى الطابق الثالث والأربعين، وقفزت فوق الدرابزين، وتدلّيت حتى تعلقت في الدرجة الثانية من أعلى - بعيداً عن نظر أي شخص يهبط.

مكتبة

t.me/soramnqraa

كانا أعلاي بطابقين.

يمرّان الآن بالطابق الرابع والأربعين.

والآن البسطة بين الرابع والأربعين والثالث والأربعين.

ثم الثالث والأربعين، فردة من حذائيهما تمر على مسافة ملليمترات من أصابعي وأنا أتشبث بحافة الدرجة. كانا يهبطان رأساً إلى البسطة بين الطابقين الثالث والأربعين والثاني والأربعين، وعندما وصلا البسطة جذبت جسدي إلى أعلى، وأرجحت ساقيّ بنعومة من فوق الدرابزين وابتعدت تماماً عن خط رؤيتهما عندما انعطفا، وقطعا البسطة في صمتٍ، ثم هبطا الدرجات مستمرين في نزولهما على مجموعة الدرجات التالية.

تأرجح شعاع من الضوء نحوي، على مبعدة ثانية واحدة، هل سمعني أحدهما؟

انزلتُ من دون صوتٍ على السلم، مراقبًا الضوء وهو يمر فوق الدرجات التي كنت متمدّدًا عليها تمامًا، واحتضنت الجدار ملتصقًا به قدر ما استطعت، بلا أنفاس، بلا حركة، ووقع حداثيتهما ما زال يهبط.

بعد لحظة، لم يعد بمقدوري أن أرى الأضواء.

انتظرت، متخيلاً تقدمهما، راغبًا فقط في رحيلهما قبل أن...

اندلع صراخ، وومضات فوهات بنادق تضيء الممر تحتي بثمانية طوابق، لقد اشتبكنا مع شخصٍ ما. نهضت وجريت صاعدًا إلى الطابق الرابع والأربعين، كان الباب موصدًا، أخرجت عبوة نفس أبواب، وضبطتها على عشر ثوان، وجريت هابطًا إلى الطابق الثالث والأربعين. انفجر الباب.

اندفعتُ عائدًا إلى الطابق الرابع والأربعين وأسرعت عبر المدخل المفتوح. كان الطابق مفتوحًا على اتساعه، لا شيء غير المصاعد والسلام. لقد هُجر خلال عملية إعادة بناء، تركت وراءها مواسير تكييف الهواء مكشوفة، والأسلاك الكهربائية متدلية من السقف. رأيت هيكلًا منحنيًا في الطرف الأقصى من المبنى.

ألقيت نظرة ورائي نحو المدخل المنزوع الباب حديثًا للسلم الشمالي الشرقي - خاو.

إحدى عشرة ثانية لأصل إلى كارا.

كانت جاثية تؤمّن شيئًا ما إلى ظهرها، وعندما رأنتني، قفزت واقفة وبدأت تجري، على مسافة ثلاثين قدمًا فقط من نافذة فقدت لوحًا كاملاً من الزجاج.

توقفتُ عند صف المصاعد، على مبعدة ثمانية وتسعين قدمًا، تاركًا وعيي ينقسم والوقت يتباطأ وأنا أسجل الألم في أصابعي، وطلقات الرصاص التي ما زالت تتردد أسفلنا بعدة طوابق، والرياح الباردة التي تهب عبر النافذة المفتوحة قادمة من مرفأ نيويورك، وأضواء مدينة جيرسي من بعيدٍ، وشلالًا من انكسارات القلب تجاه ما أنا موشك على فعله، والتي أقصيتها على الفور.

رفعت مسدسي، مركزًا على ساق كارا اليمنى، التي كانت تتحرك الآن ببطء شديد بحيث لم يعد لديَّ شكٌ في هدي.

أطلقت النار، وسقطت -منزلة على الأرض نحو النافذة المفتوحة- وبعد ذلك كنت أعدو نحوها مرة أخرى وهي تنقلب على ظهرها، وتواجهني الآن، وفي يدها سلاح، وإصبعها على مبعدة كسر من الثانية من الضغط.

أطلقت النار مرة أخرى، أصبت مركز كتلتها، وراقبتها تترد إلى الورا، وذراعاها تسقطان إلى جانبيها، والمسدس يقع من يدها اليسرى مجلجلاً على البلاط.

كانت تمُد يدها نحو المسدس عندما وصلتُ، وركلته عبر البلاط الخرساني المصقول ليسقط من إطار النافذة المفتوحة.

كانت ساق كارا تنزف، واستطعت أن أسمع في صوت تنفّسها أن رثتها اليمنى اخترقت؛ مع كل نَفَس كانت تصدر صفيرًا. سال الدم من زوايا فمها، وأجبرتها على فتح يدها اليمنى. كانت تقبض على صرة قماش أسود، اتصلت بشريط مطوي على شكل حرف S اتصل بالحقيبة التي وضعتها على ظهرها.

كانت عيناها مفتوحتين، تراقبانني، وقد تفصد منهما ألم عميق، ولم أستطع أن أترك هذا الشعور يمسنني.

سألتها: «أما زالت هناك بقايا للتحسين الفيروسي في مختبرك؟ شيء يمكن أن تستولي عليه الحكومة و...».

«نعم، لكن المختبر لن يبقى هنا وقتًا أطول كثيرًا».

- متى؟

ألقت نظرة نحو ساعة يدها: "اثنتان وتسعون ثانية".

فككت شرائط ساقها وصدرها، وكارا تئن بينما ألقبها وأحرر كتفها. ناورتُ بطريقة خرقاء كي أستل الصديرية كلها من تحت ساقها. كانت ترتدي حقيبة ماركة تومي على ظهرها، وقد حزمته إلى صدرها. مزقتها، وفتحتها، وحدقت إلى ما يقرب من مائة محقن ذاتي.

تفحصت الصديرية والحقيبة بحثًا عن آثار دمار بسبب الرصاصة، لم أرَ شيئًا. كانت ما زالت داخل كارا. ارتديت الصديرية، ووضعت الحقيبة على كتفي أخيرًا، وأحكمت إغلاق شرائط الساقين، وشدت على شريط الصدر. انعقد الحبل الموصل بين الباراشوت الصغير والحقيبة، وخطوت بعيدًا عن كارا، تاركًا اللجام ينفك ببطء.

"هكذا إذن؟" تساءلت، وهي تجاهد بقوة كي تتحدث: "ستتركنا فقط لندمر أنفسنا؟".

بدأت أطوي اللجام من جديد، لا خبرة لديّ تتجاوز ما رأيته في يد كارا ومقطع فيديو شاهدته مصادفة عن القفز الحر بالمظلات في ليلة ثلاثاء مملة منذ سنوات كثيرة.

رفعت الحقيبة التومي، وحزمته إلى صدري، وقلت: "لا يمكنك أن تقتلي البشرية لتنقذ البشرية، البشر ليسوا وسيلة لغاية".

أخذت كارا نفّسًا بصعوبة: "لوجان".

- ماذا؟

- لا أستطيع أن أرى شيئًا.

ثمة أصواتٌ في السلم الشمالي الشرقي، كنت بحاجة إلى الذهاب، وبدلاً من ذلك، جلست خلف أختي وجذبتها نحوي، مطوّقًا إياها بين ذراعيّ.

قالت: "لا تتذكرني على هذا النحو.." كانت ترتعش بعنفٍ، واستطعت أن أشعر بدفء دمها الذي يسيل على ساقِي، شممت رائحته النحاسية. "كُنّا أكثر من هذا".

- أنا لا أراكِ في هذه اللحظة فقط، أراكِ في كل لحظاتك، كل لحظتنا، كانت لنا بعض اللحظات الطيبة.

قالت: "ثماني عشرة..".

- ماذا؟

سعلت دَمًا، "كانت لنا ثماني عشرة لحظة مثالية".

فكرت في هذا.

- تسع عشرة.

- كيف نلت التاسعة عشرة؟

- بهذه اللحظة، لكنني آسف لأن أنالها.

كانت كارا تبكي، كانت تموت وقد تركت دفاعاتها تنهار، واستطعتُ أن أشعر بدفاعاتي تترنح.

أردت أن أقول شيئًا في لحظتنا الأخيرة معًا، شيئًا عميقًا، قالته كارا بدلاً مني، كان أبسط الأشياء لكنه كان كل شيء.

مدّت يدها إلى الوراء، ولمست يدها وجهي.

- لا يمكنك ألا تفعل شيئًا يا لوجان.

أردت أن أخبرها كم سافقتها، كم كنت أسفًا على كل مرة كدت
ألتقط فيها سماعة الهاتف لأتصل بها ولم أفعل، أسف لأنني لم أكن
موجودًا بشكل أكبر في حياتها، لكن الكلمات علفت في حلقي.
انفلتت يدها بعيدًا.

- كارا؟

شعرت بشيء يخرج منها.

أيًا كان هذا الذي أمسك به فهو لم يعد أختي.

أرحتها على الأرض الخرسانية، وأغلقتُ عينيها الخاويتين. رأيتها،
ليس في صورة هذه القشرة الجسدية، بل في ذكرى مثالية: في الثانية
عشرة من العمر، تركب أمامي على دراجتها عبر الطريق الترابي خارج
بيت جدّينا، كان الوقت أصيلًا، وفي الضوء الذهبي، التفتت إليّ أنا
وماكس، ساخرة منّا وهي تقول: الحقّا بي! تحركا أسرع!

نهضت واقفًا، ومسدسي في يدي، ويدي الأخرى تمسك بالباراشوت
الصغير، سرت نحو حافة النافذة عديمة الزجاج ونظرت إلى أسفل.

لقد جاءت كارا إلى هذا الجانب من المبنى لأنه الجانب الوحيد
الذي لا تلاصقه ناطحة سحاب أخرى. تطلعت نحو الساحة وبرودواي،
وما كان فيما مضى متنزه زوكوتي بارك - واحة على مساحة 33000 قدم
في قلب حي المال. أما الآن فهو مجرد بقعة من الأشجار الميتهة الغارقة.
كانت ريح قوية ما زالت تهب قادمة من المرفأ، أحتاج إلى بعض
السرعة كي أغادر المبنى.

هرولت إلى الخلف أربعين قدمًا من النافذة، وعندما التفت لأواجه
مدرج إقلاعي، مرق شيء ما بجوار أذني.

كان طوفان من أشخاص يرتدون بدلات واقية يتدفق من السلم الشمالي الشرقي، ارتطم شيء بحقيبتي. انتزعت سهم التخدير، وألقيته جانبًا، وأطلقت اثنتي عشرة طلقة في أقل من ثانيتين، تناثر الجميع، وبعد ذلك جريت.

ثلاثون قدمًا تفصلني عن النافذة.

عشرون قدمًا.

ضرب سهمان آخران الحقيقة.

عشرة.

اندفعت بجوار كارا مفكرًا: هذه هي الصورة الأخيرة التي ستكون لدي لأختي إلى الأبد.

قدمان من الحافة، قفزت، خارجًا من المبنى بأقصى سرعة، ووعيي ينقسم...

كان أغرب إحساس في حياتي، أسقط بربع السرعة، معدني ترتفع في جوفي، الأرض تلوح متجهة نحوي، الريح تسفع وجهي، وبطرف عيني اليمنى، رأيت ضوءًا ينفجر من سطح ناطحة السحاب (وان لا يبرني بلازا). قناص.

كنت قد قطعت ثانيتين فقط من الثواني الـ 6.18 التي سأستغرقها لأصطدم بالأرض عندما ألقى الباراشوت الصغير أمامي. اختفى، والساحة ما زالت تتسارع نحوي وشريان أساسي من الذعر الحيواني ينتفض داخلي وأنا أنتظر كي ينفرد الباراشوت، متسائلًا إن كانت السهام قد مزقته.

انقلبت إلى أعلى - وأنا ما زلت أهبط، لكن بعد ذلك الجزء الصغير من السقوط الحر بدا كأنني أتحرك أفقيًا إلى الأرض. دوّت

الطلقات من خلفي، وومضت بندقية القناص مرة أخرى وأنا أنزلق فوق برودواي وأشجار متنزه زوكوتي الغارق.

رفعت ذراعي، وأمسكت بمقبضين. عندما جذبت الأيسر، انحرفت إلى اليسار. صححت مساري بالأيمن، وعدّلت نفسي في اتجاه أبحر بي فوق مركز المتنزه.

انفجر شيء ما ورائي في سلسلة من الفرقعات المكتومة المتتالية، وألقيت نظرة ورائي عندما كان جدار من اللهب المتصاعد يلحق نوافذ الطابق الرابع والثلاثين.

حتى من هذه المسافة، شعرت بالحرارة على وجهي والزجاج ينهمر كالطر فوق الساحة الغارقة. تمنيت ألا يكون شخص آخر قد قُتل في الانفجار، لكن على الأقل لن تخرج الحكومة بأي من نتاج عمل كارا.

أجدت اللعب يا أختاه!

كان هناك مبنى إلى الأمام مباشرة. اتجهت إلى اليسار رويدًا، وأنا الآن أعلى من الأرض بأربعمئة قدم وأنزلق فوق شارع سيدار بين ناطحات السحاب، وريح الشارع تعيثُ فسادًا في المظلة.

طفوت فوق مساحة أخرى مفتوحة، ولمحت قبة كنيسة من بعيد، وأعمدة الإنارة والأشجار الميتة في متنزه لايبرتي، وخلف كل هذا، الظل الأسود العملاق لمركز التجارة العالمي رقم واحد.

فوق الماء بعشرة أقدام، أخذت نفسًا عميقًا وجذبت مقبضًا في شبكة الرفع الرئيسية في مشد الصدر.

غصت مرتطمًا بماء مالح متجمد، محاولًا بشكل غريزي أن أصبح نحو السطح، لكنني غرقت كصخرة - ومعديتي أثقل مما يجب، وكل أجهزة جسدي ترسل إشارات إنذارها.

لمس حذائي الرصيف؛ غمرني الماء بالكامل.

أسكتُ الذعر.

استغرق الأمر مني دقيقة كاملة كي أحرر كتفي. في ظلام تام، أنزلت مشد الصدر من ساقي، مجاهدًا كي أجذب حذائي عبر الفتحات بينما الشرارات الأولى لحرماني من الأكسجين تنفدح في مجال رؤيتي. أخيرًا، مزقت سترتي ودرعي، وثنيْتُ ركبتي، وقفزت من الشارع.

صاعدًا إلى السطح، وأنا أشهق.

كنت في شارع ويست، قبالة واجهة متجر في فندق (ماريوت) مهجور.

سبحتُ داخل بهو الفندق، نحو سلم انحنى صاعدًا إلى الطابق الثاني. جررت جسدي من فوق آخر درجة غارقة، وتمددت فوق البسطة.

أرتعد منقطع الأنفاس، شاعرًا بالألم في كل مكان.

وفكرة واحدة تتكرر في ذهني.

لقد قتلت أختي.

ترددت هذه الكلمات في رأسي، وحاولتُ أن أتجنبها، لكن ضغطًا طاحنًا كان يتراكم في صدري. لم أعرف لكم من الوقت سأستطيع أن أعزل نفسي عن محيط انفجار موتها أكثر من ذلك.

كانت الصرخة قادمة.

أيقظني نور الفجر.

عدت إلى الوعي لأجد نفسي متكومًا لصق الحائط، وقد نمت ما يزيد على الساعة فقط، وعلى حافة انخفاض درجة حرارة الجسم لأقل من معدلها الطبيعي.

اعتدلت في جلستي، وشغلْتُ هاتفي - ثماني عشرة مكاملة فائنة من إدوين.

أجاب بعد أول رنة.

- أنت حي.

"ليس كثيرًا" لم أكن متأكدًا من يتنصت علينا، أو إن بدأ تعقب موقعي بالفعل.

قال إدوين: "لا جدوى من الهروب" بدا صوته جامدًا، كان يمثل وليس من أجلي "لدينا صور لوجهك، توجد نشرات موزعة في كل مكان، لن تتمكن أبدًا من الخروج من المدينة".

فهمت، كان يعرف أن هذه المكاملة مراقبة، أنه لا يمكن أن يجعلهم يرونه مساعدًا لي، لكنه كان يحذرنِي أيضًا: احتس، إنهم يبحثون عنك.

قال إدوين: "فلنلتق في مكان ما، سأساعدك على أن تصبح شاهد ملك".

قلت: "عليّ أن أخبرك بشيئين، وبعد ذلك سأغلق الخط. أولًا: من الأفضل لك أن تتعامل مع نادين بشكلٍ صحيح، عاملها جيدًا، عاملها بعدل. ثانيًا: أتذكر تلك المادة التي حقنتك بها؟"

- نعم؟

- لم تكن إلا محلولًا ملحيًا.

نزلت إلى الماء مرة أخرى، وانتابتنى الرعدة من جديد على الفور. سبحت خارجًا في نور الصباح، تسلقت شجرة ميتة، ووجدت مكانًا مريحًا كي أجنم عليه وسط الغصون، متلهفًا أن أدفئ نفسي في الشمس. عاليًا في الجانب الشرقي من الأبنية، كان الزجاج والفلواذ يلمعان في شمس أول النهار، وعلى مسافة قريبة من شارع ويست سمعت أصواتًا.

للحظة، اعتقدت أنها قد تكون مجموعة بحث، لكنني رأيت بعد ذلك تجمعًا من القوارب بالقرب من مركز التجارة العالمي رقم واحد. كانت مجموعة من الزوارق المتداعية. بعضها كان محملاً بفاكهة طازجة. وبعضها بالكتب والمجلات وأشياء متنوعة. أحدها يبيع البيرة والسجائر. من زورق آخر تصاعدت دوائر من الدخان؛ ثمة امرأة عجوز تشوي الكباب. تعالت الموسيقى صاعدة من الحشد؛ أحدهم يعزف الجيتار. ترددت أصوات الحوار والضحك من جنبات المباني.

كان إغواء السباحة في اتجاههم قويًا. المقايضة بشيء مقابل الإفطار. مناقشة إمكانية الحصول على قارب. لكن الفوضى في 140 برودواي ليلة أمس لا بد أنها بدت مثل معركة هرمجدون. أي شخص في الجوار لا بد أنه سمعها، وظهوري فجأة وسطهم لن يثير إلا شعورًا بالخطر. لذا استقررت على مراقبتهم من بعيد، تلك الشذرة المنسية من الإنسانية وأفرادها يصنعون الحياة معًا في أكثر الأماكن غير المضيافة في العالم.

بدوا سعداء حقًا، وجعلتني مراقبتهم سعيدًا - ألف مظهر صغير للطف بين أناس لا يملكون شيئًا يمنحونه.

ظللت طوال النهار في الماء، أشق طريقي نحو الطرف الجنوبي من
مانهاتن، مبتعدًا عن 140 بروودواي.

كان التقدم بطيئًا.

مضيت من مربع مبانٍ إلى آخر، بصبرٍ، وبحذرٍ.

عندما كنت أسبح فوق شارع فرانكلين روزفلت، لاحت أولى حرائق
المساء في ناطحات السحاب المحيطة، ونهادى كوكب الزهرة في السماء،
بينما الغلاف الجوي للأرض يحني ضوءه.

خرجت أخيرًا متعثرة من الماء، إلى الأرض الجافة للمنحدر المؤدي
إلى جسر بروكلين.

كان الصمت غريبًا ومخيفًا.

لا أحد في الخارج.

سرت على الجسر، قاطعًا حارات السيارات الخالية، وعندما وصلت
أعلى نقطة -127 قدمًا فوق سطح الماء- لمحت تمشال الحرية. في ذلك
المساء الشتوي، كانت المرأة حاملة الشعلة تقف كظلٍ مشووم على
خلفية سماء حمراء بلون الدم - أقرب لكبسولة زمنية منها لرمزٍ.

فتحت حقيبة كارا، وأخرجت محققًا ذاتيًا، كان خفيًا في يدي،
متواضعًا. من الغريب الاعتقاد أن قليلًا فقط من هذه الأشياء يمكن
أن تغير مسار نوع كامل.

أخذت وقتي متمهلاً وأنا ألقي صنع يد أختي واحدًا واحدًا
في المياه السوداء للنهر الشرقي، وقد عاودني ذلك الضغط الفظيع،
وصرخة الأسى تتوغل باحثة عن صوت.

أكان هذا آخر أثرٍ لإنسانيتي، يزعق في كي أحس؟

كان بمقدوري أن أوقف الشعور، لكنني لم أفعل. بدا عدم الشعور بأي شيء حيال موت أختي أشبه بعبور حدٍّ لا يمكنني العودة بعده. جاءت الدموع.

الصراخ.

وتركت نفسي أنهار.

مفكرًا في تلك اللحظات الثماني عشرة المثالية، ولحظتنا الأخيرة - ويدها تلمس وجهي قبل أن تموت مباشرة.

للحظة، شعرت كأني لوجان القديم، متسائلًا إن كان يمكنني بطريقة ما أن أمزج الرجل الذي كنته ذات يوم بالرجل الذي صرت إليه. ألقيت نظرة ورائي نحو مدينة الظلام، مدينة الضوء.

ووجدت نفسي أسير من جديد، متحرّكًا نحو أضواء بروكلين، وأفكاري تتسارع، وذهنِي متقد بوميض تصوّر مجنون، واستطعت أن أشعر بالأمل الطيب الدافئ لفكرة جديدة تتنفس أولى أنفاسها.

نحن نوعٌ وحشي، مفكرٌ، أناني، حساس، مخيف، طموح، محب، بغيض، متفائل. نحتوي بداخلنا إمكانات لشرٍّ عظيم، لكن لدينا أيضًا إمكانات لخيرٍ عظيم. ونحن قادرون على ما هو أكثر بكثير من هذا.

كانت أختي محقة في أمرٍ واحدٍ: لا يمكنني ألا أفعل شيئًا.

الخاتمة

"سنكون الطبيعة البشرية آخر جزء من الطبيعة يستسلم للإنسان. عندئذٍ سيتحقق الفوز بالمعركة، سننتزع خيط الحياة من يد كلوثو⁽¹⁾ ونكون أحرارًا من وقتها فصاعدًا في أن نجعل نوعنا على حسب ما نريده أن يكون. سيتحقق الفوز في المعركة، لكن من -بالتحديد- سيفوز بها؟"

— سي. إس. لويس (إلغاء الإنسان)

(1) واحدة من المويراي، وهن في الميثولوجيا الإغريقية ثلاث أخوات يُجسدن القدر. كلوثو (الغزاة أو الناسجة)، لاشيس (الموزعة)، وأتروبوس (حرفيًا «التي لا يمكن تفاديها»، أي الموت).

بعد ثلاثة أعوام

أنهت الطالبة المتفوقة للتو خطبتها، وأنا جالس في أعلى صف في المدرجات المظلة على ملعب كرة القدم والمنصة المقامة على خط المنتصف.

تبدأ الناظرة في مناداة الأسماء.

هي في مكان ما هناك مع الخريجين الآخرين، في بحرٍ من الأزرق الملكي، رغم أنني لم أحدد موقعها بعد. رأيت بِث وأنا أصعد الدرجات الخرسانية إلى المستويات العليا من الاستاد - جالسة مع الرجل الذي رأيتها تتناول العشاء معه منذ عدة سنوات في مطعم لا فلور. اسمه جون، بروفيسور اللغة الإنجليزية في الجامعة الأمريكية، حيث ما زالت بِث تعمل بالتدريس، وتخصصه هو الأدب البريطاني من عام 1485 إلى 1660. قرأت كل كتاباته المنشورة، كتابات جيدة.

"آفا. جراي. رامزي."

بينما أشاهد ابنتي تصعد إلى المسرح، تدمع عيناى.

متى بدأت تستخدم اسمى؟

بعد الاحتفال، أنتظر قرب سيارة بث في ساحة انتظار السيارات الخاصة بالمدرسة الثانوية.

حلّ المساء الآن، وأنا أراقب العائلات تمر مع أبنائها من الخريجين، والهواء يَمُور بالبهجة والحماس.

يسير جون بين آفا وبث، وكل واحدة منهما تمسك بذراع. يرتدي بدلة زرقاء، وحذاءه حديث التلميع، أنا مسرور لأنه تأنق من أجل يوم آفا، هذا ينبئ عنه خيراً.

يتوقف عندما يرانى.

يعتدل في مشيته.

تحس بث بالتغير في لغة جسده، ترفع عينها إليه، وإذا ترى حدة نظرتة، تتبعها إليّ.

لا يوجد تكبير ملامح يمكنني أن أصنعه سيخدع زوجتي وابنتي.

عندما تشهق بث، ترفع آفا عينيها عن هاتفها. كنت مستنداً إلى صندوق سيارتهم، أقف الآن وأسير نحوهم حاملاً باقة من الزهور الوردية وعلبة صغيرة. تُسقط آفا هاتفها وشهادتها وتجري إليّ، تلقي بذراعيها حول خصري، وهي تبكي بطريقة لا إرادية. بينما أحتضنها، أطلّع إلى بث. دموع كبيرة تسيل على وجهها على خلفية من تعبير عن صدمة كاملة.

يتصدع قلبي الحجري.

يقول جون: "أنا جون..".

- أعرف.

ينظر إلى بـث.

"أنا بخير.." تقول وهي تمسح عينيها، "هل يمكن لثلاثتنا أن نحظى بلحظة معًا؟".

- طبعًا، سأقوم بتمشية قصيرة.

ينظر إليّ جون بعينه الطيبتين، غير واثق إلى حد كبير من الموقف.

أقول: "ليس لديك ما تقلق بشأنه؛ أنا سعيد لأنك في حياتهما".

هي أول مرة نلتقي فيها بعد أربع سنوات، وأشعر بانفصالنا عميقًا حادًا، أنا متطفل على حياتهما الآن، نغمة نشار.

نجلس في السيارة - بـث خلف عجلة القيادة، أنا وآفا في المقعد الخلفي. تفوح السيارة من الداخل بأريج الزهور وعطر بـث، ماركة جديدة لم تكن تضعها قط عندما كنا معًا.

أقول: "آمل ألا أكون قد أفسدت يومك".

تهز آفا رأسها، وعيناها حمراوان ومتورمتان من البكاء.

تسأل بـث: "هل وجودك هنا آمن؟".

"ليس تمامًا" كنت قد عطلت نظم المراقبة في حيز مربعين سكينين من المدرسة، لكن الذكاء الاصطناعي سيشتّم رائحة الفيروس ويزيله خلال الخمس عشرة دقيقة التالية، سأكون قد رحلت قبلها.

أنظر إلى ابنتي: "الثالثة على دفعتك".

"هذا ممتاز.." تقولها بعد أن عثرت أخيرًا على صوتها: "كان لا بد أن يلقي الاثنان الأوليان خطبة، وأنا أكره الحديث أمام جمهور".

وجودنا معًا في مكان واحد أشبه بحلم، لا شيء وكل شيء يمكن أن يقال. عن قرب، يمكنني أن أرى الأثر الخفي الذي خلفته السنوات الأربع الماضية على بـث: معمقة خطوط الضحك وتاركة ثقلاً في العينين لم يكن موجوداً في المرة الأخيرة التي نظرت فيهما... مقام الأسى.

وفي غيابي، تغيرت آفا، أراها أقرب بكثير إلى المرأة التي ستكونها من الطفلة التي كانت عليها.

تقول بـث: "لا أستطيع أن أصدق أنك هنا..".

بعد نيويورك، كتبت لها رسالة - أصعب كلمات وضعتها في حياتي على الورق. حاولت أن أشرح كل شيء. اتساع تحولي، خطة كارا، وما اضطررت إلى أن أفعله كي أوقفها، أخبرتها أنني بقدر ما أردت أن أكون زوجها فإن وجودي في حياتهما لن يكون إلا عائفاً، شجعتها على أن تتجاوزني وتبحث عن السعادة، أخبرتها أنني سأحبها دائماً.

أناول بـث العلبة: "هذه لكما أنتما الاثنتين".

- ماذا تكون؟

- عندما كنت أبحث عن كارا، احتفظت بيومياتي. أحياناً كنت أكتب لكما رسائل لم أعتقد قط أنكما ستمكنا من قراءتها، ربما ستساعدكما هذه على فهم ما صرت إليه. توجد أيضاً رسالة في العلبة، لكما معاً. لا يمكنني البقاء طويلاً بما يكفي لإخباركما بما كنت أفعله طوال هذه السنوات القليلة الماضية. هذا ليس آمناً، أقرأها لاحقاً، بعد أن تحتفلا".

تحديق بـث إلى العلبة، مترددة. رغم أنني لا أملك بالفعل وقتاً كي أتلكأ، إلا أنني خائف أيضاً مما ستقولانه عندما تعلمان بما فعلته.

تقول آفا: "سنقيم حفلاً صغيراً في البيت..".

- لا يمكنني يا حبيبتي، سأعرض كل ضيوفك للخطر، أنا آسف.

تومئ برأسها، وهي تمسك الدموع.

أقول: "استخدمت اسمي..".

- لست خجلة منه، أما زلت تخجل منه؟

- لا.

- رائع، لا ينبغي لك أن تكون، أقصد أنك أنقذت العالم بطريقة ما.

يتطلب الأمر مني بذل كل ما في وسعي كي لا أنهار، كنت قد توقفت عن استخدام قفص فارادي لعواطفني منذ شهر؛ كي أنقذ الإنسانية، كنت بحاجة إلى إنسانيتي.

أميل إلى الأمام، ألمس يدِ بـث: "هل يجعلك سعيدة؟".

تبتسم من خلال الدموع، "كثيرًا جدًا، لكنني أفتقدك، كنت أفضل أن أحظى بك".

أحرق عبر الزجاج، متنفسًا من بين مشاعر الألم، الخسارة، كل اللحظات التي لن نحظى بها أبدًا، كل أدوار الشطرنج التي افتقدتها مع آفا، العشرة آلاف عشاء مع بـث، الانغماس آخر الليل في حوض الاستحمام، للحديث فقط. كنت لأتحمل رصاصة بهذا الألم، كنت لأعيد عقلي الجميل وأعود إلى لوجان صاحب معدل الذكاء 118 في لحظة واحدة.

الدافع إلى تحصين نفسي من الوجدع قوي، لكنني أريد أن أشعر به. لو فقدت القدرة على الشعور بالألم، سأفقد أيضًا قدرتي على الفرح، تلك اللحظات القصيرة من الرضا التي تجعل الوعي يستحق عناء الرحلة.

تقول بـث: "كان يمكنك أن تترك هذه اللعبة عند الباب الأمامي".

- جئت من أجل آفا، وكي أراك.

- ربما انتقلت إلى مستوى أعلى من الوجود، لكنني ما زلت أعرفك، لذا سأجرب أن أسألك مرة أخرى: لماذا جئت فعلاً؟ لماذا جازفت؟

أقول: "ينبغي لي أن أدعكما تعودان إلى احتفالكما..".

تنظر في عيني مباشرة.

أتردد.

مكتبة

t.me/soramnqraa

- لوجان.

أحدق فقط إلى يث.

تقول: "أعلم أنهم قد لا يسمحون لك أبداً بالعودة إلينا، وحتى لو فعلوا، فقد تغيرت بطرائق لا يمكنني فهمها".

- أنا آسف جداً.

"أنا لا أقول إن الأمر لا يؤلم - بشدة - لكننا سنتمكن منه، لذا أيا كان ما أنت بحاجة إلى فعله، اذهب وافعله. سنكون بخير" تنظر إلى ابنتنا، مشيرة إلى رداء تخرُّجها، وخلف الدموع، ألمح ومضة من السعادة المتحدية، المرونة: "لأنه بقدر ما كان الأمر صعباً، سارت الحياة".

أنظر إلى ابنتي.

عينها تملئان بالدموع، لكنها تقول: "أحبك يا بابا".

- أحبك أيضاً.

صمت، مزيد من الدموع. لنا جميعاً.

أخيراً أفتح الباب، نخرج من السيارة، وأمضي إلى ابنتي وأحيطها بذراعي. تنضم إلينا يث ويحتضن بعضنا بعضاً في ساحة وقوف السيارات، ومصابيح الصوديوم في أعمدة الإنارة تطنُّ بنعومة فوقنا.

أريد أن أخبرهما أني ما زلت أحبهما، وأيضًا كيف تغيّر ذلك الحب وتعمّق، صار أكثر تعقيدًا بلا حدودٍ من خلال حميمية كوني قادرًا على معاودة عيش كل ذكرى لهما بالتفصيل الكامل.

لكنني لا أملك الكلمات، أو لا توجد كلمات كافية.

وهكذا أستقر على تقسيم وعيي وإبطاء سرعة إدراكي للوقت إلى أبطأ زحف ممكن، متذوقًا على مهلٍ كل ثانية مطولة من لمستهما، ودفنهما، ورائحتهما، ووجودهما.

وإذ أسير عبر ساحة وقوف السيارات، مبتعدًا عن أهم شخصين في حياتي، أشعر أني أكثر وحدة مما شعرت به من قبل.

لكن أيضًا... أشعر بسلام أكبر.

حببتي بث.

حببتي آفا.

اعتقدت كارا وأمي أن بإمكانهما منع الإنسانية من تدمير نفسها عن طريق زيادة ذكائنا ومنطقنا الجمعي؛ أنشأتا تحسينًا لزيادة هذه القدرات، ورغم ذكاء كارا الهائل، كانت مستعدة لقتل مليار إنسان.

لكن أختي كانت محقّة في أمرٍ واحدٍ، سنموت في القرن القادم إذا لم يتغير شيء. وأعتقد أني اكتشفت لماذا يبدو أن نوعنا مستعد هكذا لأن يسمح بحدوث هذا.

يموت طفل في بئر، يشاهد العالم ويبيكي. لكن عندما يزداد عدد الضحايا، يميل تعاطفنا إلى التناقص. في حالة الأعداد القصوى من الإصابات -الحروب، موجات تسونامي، الأعمال الإرهابية- يصبح

الموتى إحصاءات لا وجوه لها. يسمون هذا بانخفاض التعاطف، لكن في الواقع، هو ميراثنا الجيني - تكيفات قديمة من أسلافنا مستمرة في حمضنا النووي.

في أواخر القرن العشرين، قدّم عالم أنثروبولوجي وعلم نفس تطوري اسمه روبن دنبار نظرية تقول إن البشر العاقلين يمكنهم أن يتعرفوا ويحافظوا على علاقات مستقرة مع 150 شخصًا. يرتبط هذا العدد بحجم الجماعات الاجتماعية في ماضيها التطوري. عندما كنّا في مرحلة الإنسان المنتصب، عشنا في مجموعات صغيرة تعمل بالصيد وجمع الثمار وتربطها روابط اجتماعية. وقتها، كان من المفيد الاهتمام فقط بجماعتنا المباشرة. كان هذا يساعدنا على الدفاع عن قبيلتنا. كان يساعدنا على التقدم والبقاء.

لكن هذه المحدودية انتقلت إلى تصنيف آخر. اليوم، في مأساة ما، يمكننا أن نميز من وجوه عائلتنا وأصدقائنا وزملائنا 150 شخصًا فقط. ما وراء ذلك، ينخفض التعاطف، لكن ليس لأننا أشرار. المسألة أن تركيبنا العاطفي لا يستطيع التعامل مع ذلك. نحن نعيش في مجتمع عالمي يتكوّن من عشرة مليارات إنسان، بأدمغة لا يمكنها أن تشعر بالتعاطف إلا مع عشيرتنا المباشرة.

ثمة عوامل أخرى تلعب دورًا، مثل المسافة. من الصعب أن نشعر بتعاطف تجاه مأساة ما في ناحية أخرى من العالم أكثر مما نحسه تجاه مأساة في منطقتنا. التحدي الأكبر هو أن نتعاطف مع أشخاص ليسوا مثلنا.

وإذا كانت لدى نوعنا مشكلة مع اللا مبالة والشعور بالتعاطف تجاه آلام الآخرين في الحاضر، كيف يمكننا أن نتوقع من أنفسنا أن تستحضر التعاطف تجاه مأساة لم تحدث حتى إلى الآن؟ إن ضحايا نهاية البشر العاقلين لم يولدوا حتى، ما هو الحافز العاطفي الذي

ملكه لصنع التضحيات التي ستنقذ الأجيال المستقبلية، إذا لم تكن أدمغتنا قادرة على الاهتمام بها إلى درجة كافية؟

افترضت أمي ذات مرة أننا لسنا كائنات عقلانية. نقرأ عن كل المخاطر الوشيكة في الجرائد، نشاهدها في الأخبار، وبعد ذلك نكمل يومنا. وبعض هذا -نعم- يحدث بفضل قدرتنا على الاختباء من الواقع بالإنكار، بالتنافر المعرفي، بالتفكير السحري.

لكن أمي نسيت أهم شيء: في غياب التعاطف، تكون الأنانية هي أكثر استجابة عقلانية من بين كل شيء،

إن القوى العظمى لنوعنا لا تبالي، نحن نمارس فقط هذه القدرة.

ليست لدينا مشكلة ذكاء، لدينا مشكلة تعاطف، وهذا، أكثر من أي عامل فردي آخر، هو ما يقودنا نحو الانقراض.

بعد موت كارا، قضيتُ عامًا منهمكًا في مطالعة بيانات أمي الجينية التي جمعتها من تطبيق (ذي ستوري أوف يو)، مع التركيز على النظم الجينية المرتبطة بالتعاطف. وجدت نظامًا يرمج مقدار المناطق الفرعية الأساسية لقشرة فص الجبهة، التي تحدد مهارات الفرد في التفكير، التي تحدد حجم جماعتنا الاجتماعية، والتي تتحكم بطريقة مباشرة في القدرة على الشعور بالتعاطف. وجدت أيضًا نظامًا يتحكم في الأجزاء الظهرية من قشرة فص الجبهة الوسطى، التي تضيء عندما يشعر الناس بالعطف على الغرباء. تطورت أدمغتنا لتساعد أعضاء مجموعتنا لسبب وجيه جدًا، لكن ما نحتاج إليه للبقاء كنوع هو القدرة على الاهتمام بالغرباء، خاصةً الأشخاص الذين لم يولدوا بعد.

لذا صنعتُ تحسينًا تعاطفيًا.

لقد مرّت مجموعتنا التجريبية بزيادات في التعاطف والفضول،
أبدوا اهتمامًا متزايدًا بالغرباء، واحتياجًا شبه إجباري إلى فهم
أحدهم للآخر.

منذ عشرة شهور، بعد اختبارات مكثفة، أرسلتُ مائة شخص إلى
أطراف الأرض، كلهم مصابون بناقل فيروسي يحمل تحسيني.

ينشر موزعي الفائقون الفيروس وهم يطرون عبر المحيطين
الأطلنطي والهادي. وهم يسرون وسط الحشود في مطاري شارل
ديجول وهيثرو. وهم يستمعون إلى أرقى موسيقى في العالم داخل
تياترو كولون في بوينس آيرس. وهم يطوفون بين أكشاك التسوق في
منطقة مونج كوك في هونج كونج، في معبر شيبويا، في ميدان تايمز
سكوير، في استادات كرة القدم من مدريد إلى مانشستر، في الميدان
الأحمر والمدينة المحرّمة.

حتى الآن، تلقى أكثر من خمسين في المائة من سكان العالم
تحسيني، ونحن نشهد بالفعل تغييرات متواضعة في السياسة العامة
والخطاب عبر الإنترنت، بل يمكنني أن أشعر به يضبط التأثيرات
الأسوأ لتحسيناتي الأسبق.

قررنا ألا نعلن عن التحسين، لكن من المهم لي أن تعرفوا أننا
الاثنان ما فعلته.

هل سيصيبكما الرعب من غطرستي؟ ألا أبدو مثل أمي أو كارا،
حيث أظن مثلهما أن ذكائي يعطيني الحق في تقرير مسار البشرية؟
لا أعرف الإجابة عن هذا السؤال. تمامًا كما أني لست واثقًا إن
كان تحسيني سيقوم بما أمناه أو من ماهية العواقب غير المقصودة
التي قد يتسبب فيها.

ما أعرفه يقينًا أنك يا آفا سترثين عالمًا على حافة الانهيار. جئت قبلك، وهو ما يجعل هذا غلطتي. لم أستطع ألا أفعل شيئًا. ربما لا يهم كل هذا. ربما فقط آن أواننا.

لقد قضى البشر 300.000 سنة على هذا الكوكب، عشنا من العصر الحجري إلى عصر الفضاء، شطرنّا الذرة وسلسلنا حمضنا النووي وبنينا آلات يمكنها التفكير.

لكن رغم كل تقدمنا، يموت عشرة ملايين شخص من الجوع كل سنة، لدينا شبكات هايبرلوب وانتشار لمفهوم الأهلانية⁽¹⁾. لدينا هواتف أقوى من الحواسيب التي أخذتنا إلى القمر، لكن لم تُعد لدينا شعاب مرجانية.

وسنة بعد سنة، لا شيء يتغير في الحقيقة.

لو أن هناك حلًا، فلا بد أنه يكمن في إنقاذنا من ازدواجيتنا، من لا مبالتنا.

مهما كان ما سيحدث بعد ذلك، فقد حاولت بأقصى ما لديّ. تركت كل شيء لم يؤخذ بالفعل مني، وخرجت أخيرًا من تحت ظل أمي الطويل، الطويل.

بينما تقرأن هذا، سأكون منطلقًا بسيارتي غربًا، لم أنته من العمل في جلاسجُو، مونتانا.

أريدكما أن تعرفا أنه لو كان بمستطاعي أن أجعل الأشياء تعود إلى الوراء بالطريقة التي كانت عليها، سأفعل هذا في لحظة، لكن، للأسف، لا توجد تروس عكسية في الحياة.

(1) الأهلانية هي نهج سياسي يقوم على حماية مصالح أهل البلاد الأصليين وتقديمها على مصالح المهاجرين. في الدراسات العلمية، تعد الأهلانية مصطلحًا تقنيًا. لكن أولئك الذين يحملون هذه النظرة السياسية، لا يقبلون عادة بهذه التسمية.

عندما أتذكر لوجان القديم، يشبه الأمر التفكير في كائن منفصل تمامًا، وفي اللحظات التي أختار ألا أتحكم فيها، أشعر بخسارتي الحادة له. أظن أنه لو امتلكننا جميعًا ذاكرة مثالية، سنأسى جميعًا على النسخ الأقدم مما اعتدنا أن نكونه بنفس الطريقة التي نأسى بها على أصدقاء راحلين.

لكن حتى على الرغم من أنني تغيرت عن لوجان الذي تعرفانه، فإن الجزء الذي أحبكم مني باقٍ بجنونٍ.

بينما أنهى هذه الرسالة، أنا جالس في سيارة أمام مكان اعتدت أن أسميه بيتي، إنها الليلة السابقة على تخرج آفا، وعبر النافذة الأمامية، يمكنني أن أراكما أنتما الاثنتين ومعكما جون في غرفة المعيشة. أعتقد أنكم تلعبون لعبة، يوجد بالقطع كثير من الضحك، ولا يمكنني الهروب من فكرة أنكم تبدون كأسرة.

يؤلمني هذا بعمق، ويجعلني سعيدًا.

بمّ تسميان قلبًا يمتلئ طمأنينة وانكسارًا في ذات الوقت؟ ربما لا توجد كلمة لوصف هذا، لكن لسبب ما، يجعلني هذا أفكر في مطرٍ يسقط والشمس ساطعة.

شكر وتقدير

ساعدتني مجموعة استثنائية من الأشخاص في مراحل مختلفة خلال كتابة هذا الكتاب، وأود أن أتوقف لحظة لشكرهم.

عن كل خط أحمر، عن كل ملحوظة، عن كل وقت قاطعت فيه ما كنتِ تفعلينه لأخرج منكِ بفكرة، أشكرك يا جاكلين بن زكري، محررتي وشريكتي في كل شيء. نزلتِ معي إلى الخنادق وأنا أحاول أن أصارع (تحسين) كي تصعد إلى السطح - في الأيام الطيبة، لكن أيضًا وخاصةً في الأيام القاسية عندما تشككت في كل شيء، لم أكن لأتمكن من إنهاء هذا الكتاب من غيرك.

عن بقائها على إيمانها في أصعب كتاب في مسيرتي، شكر خاص جدًا لجوليان بافيا، محررتي الآن لثلاثة كتب وسبع سنين، أراؤك الثاقبة وغرائذك أكثر حدة مما كانت أصلًا. أنتِ الضغط الذي يصنع ألماسة.

عن المشورة والصداقة (والوجبات الملحمية دائمًا!) أشكرك يا ديفيد هيل سميث؛ وكيلى الأدبي لأكثر من عقد الآن. يا لها من رحلة يا صديقي!

وشكرًا للجماعة في وكالة إنكويل لإدارة الأعمال الأدبية وبشكلٍ خاص ريتشارد باين، أليكسيس هيرلي، ناثانيال جاكس، ناعومي آيزنبيس.

عن التعامل مع مشاريعي السينمائية والتلفزيونية برباطة جأش خالصة، شكرًا لأنجيلا تشينج كابلان وجويل فاندركلووت.

عن دعمكم الذي لا يمكن الاستغناء عنه، والذي يسمح لي بالتركيز على الكتابة والحفاظ على ترتيب تفاصيل حياتي، شكرًا لتايسون بيم، براندون كلاين، موللي فيكس، كاريسا جايلورد.

عن كونهم محرك الصاروخ في كتبي، شكرًا لكل فرد في دار نشر بنجوين راندوم هاوس وبالانتين بوكس، لكن بشكلٍ خاص جينا سنتريللو، كارا ويلش، كيم هوفي، جينيفر هيرشي، كوين روجرز، كاثلين كوينلان، سيندي بيرمان، كارولين ويشون.

عن عملك الذي لا يكل لصالحي، وعن كونك أفضل خبيرة دعاية عملت معي، أشكرك يا ديانا ميسينا.

عن أغلقتي الجميلة في روايات المادة السوداء واستدعاء ذاتي، والآن تحسين، أشكرك يا كريس براند.

عن نشري في المملكة المتحدة، حضن كبير لواين بروكس الذي لا يبارى، ولكل فرد في بان ماكميلان.

عن قراءة المسودات الأولى البشعة لتحسين ومشاركتي آراءكم، التي حسّنت هذه الصفحات بما لا يمكن قياسه، شكرًا لقرائي الأوائل: تشك إدواردز، باري إيسلر، جوي هارت، تشاد هودج، مات آيدن، ديفيد كوب، ستيف كونكولي، آن فوس بيترسون، ماركوس ساكي.

تحية كبيرة، حيث لم يكن من الممكن حرفيًا كتابة هذا الكتاب من دونك، إلى عالم الوراثة الجزيئية الذكي والبارع دكتور مايكل ف.

وايلز . تعلمت كثيرًا جدًا منك. شكرًا على صبرك ووقتك وبئر معرفتك العميق. أنت المقياس الذهبي لخبراء هذا الموضوع. كنت محظوظًا جدًا بأن ألاقبك.

عن استقطاع لحظة من وقتك للحديث معي عن تطبيقات الحوسبة الكمومية في مقابل استغلال مجموعات البيانات الجينية، شكرًا دكتور هومان محسني.

عن الحوارات الملهمة حول تقاطع العلم والفلسفة في أثناء كتابة (تحسين)، شكرًا فيل وايزر، براين جونسون، دكتور ج. بير دي فريز. عن مساعدتي في العثور على أعظم خبراء الموضوعات في رواياتي الثلاث الأخيرة، شكرًا من القلب لبرنامج (تبادل العلوم والترفيه) وبشكل خاص ساشي سي. جيربين، ريك لافرد.

وعن كونه ليس فقط متجري المحلي العظيم للكتب لكن واحدًا من متاجر الكتب المستقلة العظيمة في العالم، ألف تحية لكل فرد في متجر ماريا للكتب، وبشكل خاص إيفان شيرتز، أندريه أفانتجيو، بيتر شيرتز.

عن حبكم ودعمكم بينما كنت أعمل على هذا الكتاب الذي بدا كأنه لن ينتهي أبدًا، شكرًا لأسرتي الرائعة: جاكلين، ماما، بابا، وأخي جوردان، وأطفالي الثلاثة الموهوبين والطيبين والرائعين آيدان، آنسلي، أدلين. وشكر خاص لآيدان على كل الحوارات الفلسفية الساحرة، وبشكل خاص على توجيهي لكتاب إلغاء الإنسان لسي إس لويس، الذي صار غذاءً أساسيًا للفكر خلال الجزء الأخير من الكتاب.

عن منحي حياة مذهشة تسمح لي بفعل ما أحبه، أشكركم يا قرائي المذهلين، خاصة هؤلاء الذين كانوا معي منذ البداية.

أخيراً، في عام 2019، فقد صديقي الأعز وأقدم أصدقاء الطفولة
براین روجرز ابنه إدوین أليخاندر روجرز. شخصية إدوین روجرز
مهداة لذكراه.

بليك كراوتش

مكتبة

t.me/soramnqraa

نبذة عن الكاتب

بليك كراوتش Blake Crouch

كاتب وسيناريست أمريكي من مواليد 1978. يُعد كراوتش من الأسماء المعروفة في قائمة أفضل الكُتّاب مبيعًا؛ تضم رواياته تحسين، استدعاء ذاتي، المادة السوداء، وثلاثيته *The Wayward Pines* التي صدرت ما بين 2012 و2014، وتحوّلت إلى مسلسل تلفزيوني من إنتاج شركة فوكس عام 2015. كما شارك كراوتش أيضًا في كتابة مسلسل تلفزيوني لقناة تي إن تي بعنوان سلوك حسن *Good Behavior* اعتمد على روايته القصيرة ليتي دوبيش، يعيش في كولورادو مع زوجته جاكلين بن زكري وأطفالهما الثلاثة.

نبذة عن المترجم

عبد الرحيم يوسف

شاعر ومترجم مصري من مواليد 1975. صدر له سبعة دواوين بالعامية المصرية، وسبعة وعشرون كتاباً مترجماً، نشر عدداً من الترجمات الأدبية في عدد من الدوريات المصرية والعربية وشارك كمحرر مساعد في مجلة (ميناء) الثقافية التي صدر منها ثلاثة أعداد في الفترة من 2005 إلى 2009.. ترجم عدداً من التقارير لمكتب اليونسكو بألمانيا وصندوق الأمم المتحدة للسكان وموقع مدى مصر. وحصل على جائزة الدولة التشجيعية في الآداب فرع ترجمة الأعمال الفكرية عام 2017 عن ترجمته لكتاب (ثلاث دراسات حول الأخلاق والفضيلة) لبرنارد ماندفيل.

telegram @soramnqraa

تحسين

أريدكما أن تعرفا أنه لو كان بمستطاعي أن أجعل الأشياء تعود إلى الوراء بالطريقة التي كانت عليها، سأفعل هذا في لحظة. لكن، للأسف، لا توجد تروس عكسيّة في الحياة. أظن أنه لو امتلكننا جميعًا ذاكرة مثاليّة؛ سنأسى جميعًا على النسخ الأقدم ممّا اعتدنا أن نكونه، بنفس الطريقة التي نأسى بها على أصدقاء راحلين.

"عمل غامض، فائن، ومؤثّر بعمق. يستكشف الطبيعة ذاتها لما يعنيه أن تكون إنسانًا".
أليكس مايكل لايدز، روائي وسيناريست بريطاني

"هنا أنت لا تتعاطف مع الشخصية الرئيسية بقدر ما تعيش بداخلها".
ديانا جابالدون، كاتبة أمريكية

ISBN 978-977-313-921-6



المحررة